هناء يونس

الحياة بين الشرق والغرب

الحياة اليومية للناس في سراييفو في نهاية القرن التاسع عشر



WITH THE COMPLIMENTS
OF THE EMBASSY OF THE ARAB REPUBLIC OF
EYGYPT
IN SARAJEVO

Autor:
Hana Younis

Naslov originala:
Život između istoka i zapada,
svakodnevni život u Sarajevu krajem
19. stoljeća

Izdavač:
K.C. "Kralj Fahd"

Prijevod:
Kenan Musić

Lektura i korektura prijevoda:
Ali Amish

DTP:
Teufik Mešić

Štampa:
Amos Graf d.o.o.

Tiraž: 1000

Razglednice na koricama: Sarajevska čaršija i Pozdrav iz Sarajeva,
Zbirka fotografija — fond / razglednica Historijskog muzeja Sarajevo

تمت الترجمة والإعداد والإخراج وطباعة هذا الكتاب
بدعم من مركز الملك فهد الثقافي بسراييفو



CIP – Katalogizacija u publikaciji
Nacionalna i univerzitetska biblioteka
Bosne i Hercegovine, Sarajevo

329 (497.6 Sarajevo) "1861/1869"
930.85 (497.6 Sarajevo) "1861/1869"

YOUNIS, Hana
Život između Istoka i zapada : svakodnevni život u Sarajevu krajem 19. stoljeća / Hana Younis ; (prijevod Kenan Musić) . - Sarajevo : Kulturni centar "Kralj Fahd", 2012. - 272 str. : ilustr. ; 21 cm

Publikacija je prijevod mag. rada "Svakodnevni život u Sarajevu u doba Topal - Osman paše : (1861 - 1869)", odbranjenog na Fil. fak. u Sarajevu, 2007. - Tekst na arap. jeziku. - Bibliografija: str.251-252 ; bibliografske i druge bilješke uz tekst

ISBN 978-9958-880-44-5

COBISS.BIH-ID 19519238

هناء يونس

الحياة بين الشرق والغرب

الحياة اليومية للناس في سراييفو في نهاية القرن التاسع عشر

الفهرس :

مقدمة

في البداية أود أن أعرب عن افتخاري وتقديري لمنحي الشرف العظيم لنشر أطروحتي لرسالة الماجستير باللغة العربية ، ولكن لا بد لي من الإشارة إلى أنه في الوقت ذاته يمثل تحديا كبيرا بالنسبة لي إذ أنها محاولة للاقتراب من تاريخ بلدة صغيرة تقع على أطراف الامبراطورية العثمانية ، والتي بغض النظر عن انتمائها للامبراطورية العثمانية في الحقبة التي يتناولها الكتاب إلا أنه لا يوجد شيء تقريبا مشترك مع المدن العربية في تلك الامبراطورية. هناك كتب كثيرة في متناول القراء من البلدان الناطقة بالعربية تحاول تناول الجوانب السياسية والدينية من تاريخ البوسنة ، ونحن نعتقد أنه وبالنظر للقضايا التاريخية والمواضيع الكبيرة المتناولة بعد نشر أعمال بروديلا فرناندو دول البحر الأبيض المتوسط في عهد فيليب الثاني ، يمكننا أن نقول أنها لن تتكرر. فقد شكلت أعماله نهجا جديدا في التأريخ والذي بات معروفاً باسم تأريخ العادات ، أو التاريخ الجديد والتأريخ الأنثروبولوجي (علم الأعراق البشرية). وقد حان الوقت لقضايا ومسائل الحياة اليومية للناس «العاديين» المجهولين . البحث في موضوعات الحياة اليومية كشف تصورا جديدا تماما عن التاريخ الذي يعرض حياة الناس «الصغار» وأوضح الأعمال والأحداث والقضايا»الكبيرة».

على الرغم من أن مسألة الحياة اليومية تجذب اهتمام العديد من المؤرخين في العالم إلا أنها ومنذ عقود للأسف لا تزال مهمشة في علم التاريخ البوسني. رغم ذلك اهتم عدد من الباحثين ضمن مجال بحثهم لها بشكل هادف بجوانب حياة الناس في سراييفو .

إجمالاً بحثت سراييفو من النواحي المختلفة ، ناحية التاريخ السياسي ، ناحية الأعراق وتواريخها وناحية المؤسسات والأعلام المشهورين ، ولكن لم يخصص اهتمام كاف لسراييفو باعتبارها مركزاً لحياة الناس على تنوع جماعاتهم وانتماءاتهم .

من المراجع والمصادر الأساسية التي لا يمكن للباحث التغاضي عنها هي مؤلفات الرحالة ، معظم هذه المؤلفات تعبر عن الرؤية الشخصية للدولة العثمانية وخاصة للمسلمين وهي مصادر ضرورية لتكوين الصورة الكاملة لا سيما أن هذه المصادر تصف حوادث وعادات الحياة ولا تتطرق لها بقية المراجع التاريخية لأنها أشياء موجودة ضمنياً.

ثمة عوامل رئيسية حددت منهجية الدراسة والتفسير لتأريخ الوقائع اليومية في سراييفو ، ثمة تحديدات موضوعية في دراسة هذا المجال وأعني قبل كل شيئ ندرة المراجع المكتوبة وأخص بالذكر المراجع التي ضمها معهد الاستشراق في مكتبته وقد أحرقتها ايام العدوان على البوسنةوالهرسك قذائف الأعداء ، وتكمن المشكلة العظمى في أن الأمية كانت منتشرة لذلك فإن ما وصلنا من المعلومات كانت من طرف المثقفين من أهالي سراييفو . بقية المعلومات حصلنا عليها من كتب الرحالة وسجلات الأحداث وتقارير القناصل والدبلوماسيين الأجانب والمذكرات ، ومن المصادر الهامة هي مطبوعات «الصحف» التي بدأت تصدر منذ عام ١٨٦٦م .

في حالات منفصلة تمكنا من الدخول في تفاصيل الحياة الأسرية لذلك قد يبدو أن بعض الأسر يكثر ويتكرر ذكرها واستمداد الأمثلة من حياتها والسبب هو معرفة تفاصيل أسلوب حياتها ، ومع الأسف فإن بعض الموضوعات ورد ذكرها مجرداً من المعلومات أو تم التلميح لها بينما توفرت المصادر والمعلومات لموضوعات أخرى الأمر الذي أتاح لي الاختيار بحسب الأهمية.

كان للدين دور كبير في حياة أهالي سراييفو ولكن لم نتطرق له في الكتاب لخصائصه وأبعاده ولأن ذلك يتطلب بحثاً عميقاً وواسعاً .

كما أن الأهداف الموضوعة للكتاب هي إبراز مصادر الأرشيف التي غفل عنها الكثيرون ، المكتبات الخاصة والمحفوظات العائلية أغفلها الباحثون فيما يتعلق بالعهد العثماني كاملاً ، لذا كان الرأي أن هذه الوثائق وإن لم تحمل رسالة معينة للأجيال القادمة إلا أنها أنقى مصدر لفهم الحياة على حقيقتها في التاريخ ، كما أذكر بأن الكتاب يتناول جميع أهالي سراييفو كما يتضح من العنوان بغض النظر عن الانتماء الديني أو الإثني لقناعتي بأنهم جميعاً يمثلون الحياة اليومية في سراييفو .

وجود الرعايا الأجانب لا يعني تغيير نمط الحياة فهم تأقلموا مع البيئة بشكل نسبي أقل أو أكثر وهم كما هم وكيف صفتهم فهم جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية والعامة .

منهجية البحث ارتكزت على تحري الحقائق من الداخل وفي إطار ضيق يتأثر بالضرورة بالحوادث العظيمة وهي تقدم بصورة كاملة .

قد يبدو في بعض الأحيان أني ابتعدت عن إطار الموضوع أو أن الموضوعات تتكرر وسبب ذلك أرجعه أني شعرت بأن الموضوع ضمنياً يجب أن نهتم به غاية الاهتمام لا مجرد التطرق له أو إيلائه اهتمام محدود ، وهناك موضوعات تناولتها بمنظور عام بينما تناولت البعض الآخر بتركيز نظراً لتعقيدات جوانبه المختلفة .

يلزم أن ننبه ونشير إلى حقيقة أن العمل ليس فيه توازن منهجي بناءاً على الأسس الدينية بل يوافق المعلومات الإحصائية في تلك الحقبة .

من أهم التحديات والعقبات في البحث هي كيفية إيجاد إطار لكل موضوع على حدة ؟كيف نقيم التوازن ونعطي لجميع الأبواب حقاً متساوياً ؟ لذلك قد يبدو أن بعض الموضوعات ليست فيها تفاصيل كافية ولكن الهدف هو تقديم هذه الموضوعات ولو بجزء بسيط في بحثنا لأنها تتصل بحياة الناس في سراييفو .

عنوان الكتاب « الحياة بين الشرق والغرب ـ حياة الناس في سراييفو أواخر القرن التاسع عشر « له مقصد خاص ، فتلك الفترة هادئة نسبياً في ولاية البوسنة ، وبعد فتح مكاتب دبلوماسية يظهر الرعايا الأجانب الذين يحاولون تكييف المدينة لتقاليدهم وعاداتهم ، وهي فترة ظهور أول آلة للخياطة ومحل التصوير والمغسل العام ، كما أنها فترة الصراع بين الأصيل والحديث ، هي فترة ما قبل الانتفاضات الكبيرة واحتلال البوسنة ، فترة أنذرت بقرب وقوع الاحتلال بشكل واضح .

أضع بين أيديكم كتاب يقرب صورة مختلفة للتاريخ بعيداً عن ساحات الحروب وأعلام السياسة والحوادث العظيمة والقوانين والعسكر ، صورة تزيل الضباب عن الشوارع الحجرية وتسمعنا ضجيج السوق وترينا ألوان البضائع المعروضة في الدكاكين وتدخل بنا إلى السهرات والسمر بين الجيران والأفراح اليومية ولكن كذلك ترينا الأطراح والملمات وكل ما رافق أهالي سراييفو وعاشوه في أيامهم تلك إبان الاحتلال النمساوي ـ المجري لها .

غايتي تعريف القارئ ولو بشكل جزئي بحياة الناس اليومية في سراييفو أيام كانت الطريقة التركية والإفرنجية في الحياة تتبادل الزعامة في شوارعها وبيوتها وتكوّن البوتقة الملونة من العادات والأذواق بشكل فريد من نوعه قدمته مدينة سراييفو .

كلمة شكر

شكروتقدير

وأود بادئ ذي بدء أن أحمد الله وأشكره على النجاح والانتهاء من هذا الكتاب، ثم أتوجه بخالص الشكر لمركز الملك فهد الثقافي وعلى رأسه سعادة الأستاذ / عبد العزيز العقيلي مدير المركز على ما أبداه من اهتمام لترجمة موضوعات صغيرة لها دور كبير في التواصل الثقافي الذي يعتبر جوهر اهتمام المركز ، كما تعتبر هذه الفرصة وهي ترجمة الكتاب للغة العربية هامة جداً بالنسبة لي لأنني أنحدر من أصول عربية .

والشكر موصول للأستاذ الدكتور / إلياس حاجيبيغوفيتش ـ رحمه الله ـ والطاقم العامل في أرشيف البوسنة والهرسك وأرشيف التاريخ لمدينة سراييفو والمتحف القومي ومكتبة جامعة سراييفو ومكتبة الغازي خسرو بيك ومعهد الاستشراق في سراييفو .

كما أخص بالشكر زميلاتي في معهد التاريخ في سراييفو خاصة سونيا دويموفيتش وسيكا بركلياتشا لصبرهن وتقديمهن النصائح المفيدة .

كما أنني مدينة بالشكر لأسرتي ولزوجي الذين قدموا لي الدعم والتأييد والمؤازرة والذين بدونهم ما نجحت قط .

إلى ابنتي ميسون

I

سراييفو

مما هو مسجل ومؤرخ إلى يومنا هذا هو بعض الأجزاء التي لا يمكن تجاهلها والتي تعني بنشأة وتطور سراييفو ، لذلك سنعرج باختصار على تاريخ هذه المدينة ، فعلى الرغم من أن سراييفو هي ليست أقدم مدن البوسنة والهرسك إلا أنها بالتأكيد واحدة من أهمها ، جذبت اهتمام الرحالة والباحثين والأدباء والعابرين ، ونجحت هذه المدينة بأسلوبها المتميز والفريد وعلى مساحة ليست بكبيرة أن تنسج نسيجاً شرقياً وغربياً حيث قدمت صورة تبدوا أن الأشياء كلها في مكانها المناسب .

وفي كتابة وقائع التاريخ ومنحاها ثمة مؤلفات ووثائق لا بد من ذكرها تخص نشأة ونمو مدينة سراييفو[1] ، ومن أقدم المراجع والمصادر التاريخية التي تناولت دراسة نشأة سراييفو باعتبارها مدينة منظمة هي وثائق وقف عيسى بيك اسحاقوفيتش المدونة خلال الفترة ما بين ٠٢/٠١ و ١٤٣٦/٠٣/٠٣م [2]، ومن تلك الوثائق نستخلص أنه قام بإنشاء زاوية وجسر وأنه لصيانة وسلامة عمل الزاوية أوقف لنفقة الزاويةمطحنة في قرية بروداتس، وبنتباشا والحمامات وبقية المنشآت

١ ديسانكا كوييتش كوفاتشيفيتش : عن الميدان في القرون الوسطى في مكان سراييفو في مجلة كلية الفلسفة كتاب ١١ بلغراد ٠٧٩١م ، حمدي كريشفيلياكوفيتش : الحرف والمهن في سراييفو القديمة ، سراييفو ٨٥٩١م ، سكاريتش فلادسلاف : سراييفو ومحيطه من أقدم العصور إلى الاحتلال النمساوي المجري ، سراييفو ٧٣٩١م ، سكاريتش فلادسلاف : تأسيس سراييفو ونموه الموقعي في القرن الخامس عشر والسادس عشر في مجلة المتحف القومي ٥١ سراييفو ٩٢٩١م ، حازم شعبانوفيتش تاسيس ونمو مدينة سراييفو في أعمال الجمعية العلمية للبوسنة والهرسك ٣١ قسم العلوم التاريخية واللغات الكتاب ٩ سراييفو ٥٦٩١م ، بهية زلاتار : (زلاتنا دوبا سراييفو) العهد الذهبي لسراييفو ٦٩٩١م بهية زلاتار : سراييفو باعتبارها مركز التجارة في ولاية البوسنة في القرن السادس عشر في مجلة العلوم الاستشراقية ٨٨٩١/٨٣م سراييفو ٩٨٩١م مجلة التاريخ سراييفو من الندوة العلمية : نصف الألفية لمدينة سراييفو أقيمت ما بين ٩١ ـ ١٢ مارس سنة ٣٩٩١م سراييفو ٧٩٩١م.

٢ آمنة كوبوسوفيتش : وثيقة الوقف لعيسى بيك أسحاقوفيتش الورقة المقدمة في الندوة العلمية نصف الألفية لمدينة سراييفو ص ٨٤ ، قارن وثائق الوقف من البوسنة والهرسك (القرن ٥١ و ٦١) معهد الاستشراق ، سراييفو سنة ٥٨٩١م

الوقفية التي بناها في المنطقة والتي كونت نواة لمركز تطور مدينة سراييفو في القرون اللاحقة[3].

وقد أينعت زهرة سراييفو وعاشت ازدهارها في القرن السادس عشر الميلادي خاصة من ناحية التوسع والاقتصاد وتم في ذلك القرن بناء الأسـواق المسقوفة والحمامـات وجسري (تشوبانيا ـ Cobanja و لاتينية ـ Latinska) ومدرسة ومكتبة والمطبخ العام لإطعام الفقراء ودار المسافرين والكنيسة الأرثوذوكسية وما يزيد على مائة جامع والسوق باعتبارها مركز التجارة والحرف والمباني المهمة الأخرى ، فضلاً عن ذلك كانت سراييفو في تلك الحقبة أكبر المدن البلقانية وأكثرها تطوراً وتقدماً .

ومع توسعة حدود الدولة العثمانية شمال غرب وغرب الدولة بقيت سراييفو في عمقها وداخلها واكتسبت بذلك موقعاً متميزاً لأنها أصبحت أول مدينة كبيرة في الدولة العثمانية تواجه وتحد الدول الأوروبية[4] . والأهمية تضاعفت بلا شك باعتبارها تقع في الطريق الرئيسي الذي يصل اسطنبول مع المناطق العثمانية في أقصى غرب الدولة وهي كذلك قريبة جداً من الطريق بين دوبروفنيك ـ Dubrovnik واسطنبول لنقل البضائع الأوروبية إلى الدولة العثمانية .

مساحة المدينة أواخر القرن السادس عشر هي نفسها أثناء الاحتلال النمساوي المجري لها[5] ، في القرن السابع عشر ازدهرت التجارة والصناعات الحرفية[6] ، ولكن المدينة أصابتها كوارث كبيرة

---

٣ في تاريخ الوقائع نجد زاويتين عن الموقع الذي بنيت الزاوية فيه ، وفقاً لرأي ح . تشيهايتش زاوية عيسى بيك على شهوفا كوديبا ونقلت بعد الحريق إلى موقع بنت باشا ، النظرية الأخرى تقدم بها محمد مويازينوفيتش الذي يذكر أن الزاوية لعيسى بيك هي في بنت باشا بينما الزتاوية المولوية من وصف شلبي لا يتعلق بزاوية عيسى بيك بل هي زاوية بناها حاج محمود ، ح. مويازينوفيتش دار المسافرين وزاوية عيسى بيك إسحاقوفيتش في سراييفو (ناشا ستارينا) ٣ سراييفو ٦٥٩١م ص ٥٤٢ ـ ١٥٢ ، ج . تشيهايتش : الطرق الصوفية في البلاد اليوغسلافية مع دراسة خاصة عن البوسنة والهرسك سراييفو ٦٨٩١م ص ٨٢ ـ ٠٣ قارن إنس آشريتش : بعض الملاحظات عن المشاكل في تاريخ زاوية عيسى بيك في مجلة اللغات الشرقية ٣٥/٢٠٠٢/٣ ـ ٢٥ سراييفو ٤٠٠٢م ص ٩٣٣ ـ ١٥٣

٤ بهية زلاتار : (زلاتنا دوبا سراييفو) العهد الذهبي لسراييفو ص ٨٣

٥ بهية زلاتار : (زلاتنا دوبا سراييفو) العهد الذهبي لسراييفو ص ٨٣

٦ انظر أكثر عن إحراق المدينة من قبل أوغن سافويسكي في ماكانس ألفريد كيف ولماذا أحرق أوغن سافويسكي سنة ٧٩٦١م في جريدة يوغسلافيا رقم ٤٠٣ السنة ٩١ ، ٨٣٩١م ماتاسوفيتش يوسيب : الأمير أوغن سافويسكي في سراييفو سنة ٧٩٦١م في (نارودنا ستارينا) كتاب ٦ مجلد ٤١ زاغرب ٧٢٩١م، سكاريتش فلادسلاف أمير أوغن سافويسكي في سراييفو أكتوبر سنة ٧٩٦١م في وحدة الشعب تقويم درينسكا بانوفينا سراييفو ١٣٩١م ، فاضل آديموفيتش الأمير المحرق للبيوت هجوم أوغي سافويسكي على سرايفو سنة ٧٩٦١م سراييفو ٧٩٩١م

منها وباء الطاعون سنة ١٦٤٧م والحريق الكبير سنة ١٦٥٩م [٧]، وفي أواخر ذلك القرن ٢٣ ـ ٢٤/١٠/١٦٩٧م حصلت فاجعة كبيرة بدخول الجيش المجري النمساوي بقيادة أوغين سافويسكي وأحرقوا المدينة كاملة[٨]، هذه الحادثة هي أكبر تخريب شهدته المدينة، وتركزت جهود القرن اللاحق على إصلاح وترميم المدينة بشكل عام، ومن الإبداعات العمرانية وقتها كان السور حول المدينة لمنع غارات العدو[٩]، وتم بناء جدار كبير مع ثلاثة بوابات حول منطقة فراتنيك ـ Vratnik واستدعت السلطات المحلية عمالاً من دوبروفنيك، ومرة أخرة أصاب وباء الطاعون المدينة في تلك الحقبة.

سنجق بيك وهي تسمية لحاكم الولاية في العهد العثماني نقل مقره بعد منتصف القرن السادس عشر الميلادي إلى مدينة ترافنيك ـ Travnik ورغم ذلك بقيت سراييفو أهم مدينة من الناحية الإدارية والإقتصادية في ولاية البوسنة، أدار المدينة وقتها من الناحية الأمنية والمعيشية والإدارية شخص برتبة (مسلّم)، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الشخص كان دائماً ينتمي لأهالي سراييفو، وكانت سراييفو والمناطق ذات الطابع المدني تندرج تحت بند المدن المعفاة من الضرائب الأخرى وذلك لسبب بسيط وهو أن سكان المدن لم تكن لهم أراض زراعية وإنما اعتمدوا في معيشتهم على التجارة والحرف، هذه الوثيقة تسمى (معافاة نامه) فهمت بموجبها سراييفو أنها وثيقة لا تعني مجرد الإعفاء من الضرائب بل الاستقلال السياسي وتصرف أهالي سراييفو وفق مفهومهم هذا.

لم تعترف السلطة المركزية بهذه الخصوصية بينما تصرف أهالي سرايفو على أنها واقع وحقيقة، وبما أن الضرائب الإضافية تناولت مصاريف إقامة الوالي في سراييفو قرروا أن الوالي بناءاً على وثيقة الإعفاء لا يمكنه الإقامة فيها أكثر من ثلاثة أيام بصفة الضيافة أو بمهمة رسمية، كما رأى أهالي سراييفو أنه من المناسب ألا تكون سراييفو عاصمة الولاية أي مقر سنجق بيك ومن ناحية

---

٧ عن الاستراتيجية العسكرية وتنظيم الجيش العثماني انظر، أنس بيليديا ولاية البوسنة من صلح كارلوفاتس إلى بوجاريفاتش، سراييفو ١٩٨٩م، أنس بيليديا معركة بانيالوكا أسباب ونتائج ـ سراييفو ٢٠٠٣م

٨ أحمد أليتشيتش : دور سراييفو في الحياة السياسية في البوسنة والهرسك على عهد الحكم العثماني في الورقات المقدمة في الندوة العلمية (نصف الألفية لمدينة سراييفو ص ١٧، عن وثيقة العفو (معافيتناما) انظر أكثر آدم خنجيتش : أهمية معافيتناما لتطور المدن في البوسنة في القرن السادس عشر، مجلة يوغسلافيا للتاريخ ١ ـ ٢ بلغراد ١٩٧٤م ص ٦٠ ـ ٨٦، محمد حاج ياهيتش : معافيتناما سراييفو بمناسبة ٥٠٠ سنة، مجلة دورية لجمعية المؤرخين في البوسنة والهرسك ١٤/١٩٦٣ سراييفو ص ٦٧ ـ ١٢٣

٩ أحمد آليتشيتش المرجع السابق ص ٢٧

أخرأنهم مع عدم إلزامهم بتمويل مصاريف الوالي وحاشيته لن يكونوا مراقبين في شئونهم اليومية والسياسية ، لهذا السبب ورغم كون سراييفو ليست مقر السنجق بيك أي والي البوسنة كانت الكلمة العليا في سياسة البوسنة لأهالي سراييفو في ولاية البوسنة كلها .

في عام ١٥٦٥م تشكل في سراييفو مجلس الأعيان الذي يضم الأشراف ، وكان عدد السكان الملتحقين بالخدمة العسكرية من سراييفو يؤهلها أن تكون مدينة قادرة ليس فقط للدفاع عن نفسها بل للقتال في البوسنة كلها وفي المعارك خارجها ، وثمة أمثلة توضح هذا لا سيما من النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي[١٠] .

بفضل شكاوى أهالي سراييفو انتهت فترة حكم جلال باشا المعروف بقساوته ، كما أن إلغاء الجيش النظامي المعروف بـ (يانيتشاري) واجه معارضة كبيرة في سراييفو وانتقلت المعارضة إلى بقية مدن البوسنة والهرسك وأعلن الاستقلال النسبي في سراييفو نفسها عام ١٨٣١م [١١]، وواجه عمر باشا لاتاس مقاومة شديدة لدى محاولته تهدئة الأوضاع بإراقة الدماء كما فعل خلفه جلال باشا المذكور سابقاً ، ولكي يسيطر على الوضع نقل عمر باشا مقر الوالي عام ١٨٥٠م إلى سراييفو[١٢] ،

في الفترة ما بين عامي ١٨٦١ ـ ١٨٦٩م سادت أوضاع سياسية مستقرة إلى درجة كبيرة وحكم البوسنة ولعقد كامل الوالي طوبال عثمان باشا[١٣] ، وقد تم تعيينه والياً على البوسنة في ٢٣ يناير ١٨٦١مووفد إليها في ١٨ فبراير حيث مكث مع استقطاع قصير إلى ٢٥ مايو ١٨٦٩م[١٤] .

انتقل عثمان باشا إلى هذا المنصب بعد أن كان محافظاً على مدينة بلغراد[١٥] ، وعندما عيّن والياً كان قد بلغ الستين من عمره ووصفه أنه كان بدين وكان أعرج بسبب هشاشة أصابت إحدى

---

١٠ أنظر للمزيد غالبشليفو : البوسنة والهرسك ٧٢٨١ ـ ٩٤٨١م ، بانيالوكا ١٩٨٨م

١١ أحمد آليتشيتش : الحركات الاستقلالية ما بين ١٣٨١ ـ ٢٣٨١م ، سراييفو ١٩٩٦م ، غالب شليفو : المرجع السابق

١٢ انظر غالب شليفو : عمر باشا لاتاس في البوسنة ٠٥٨١ ـ ٢٥٨١م سراييفو ١٩٧٧م

١٣ طوبال عثمان باشا يعتبر آخر الولاة العثمانيين المهمين في البوسنة ، تاريخ كتابة الوقائع انظر غالب شليفو المرجع السابق

١٤ ولد طوبال عثمان باشا في قرية سميرنا ١٨٠٤/١٨٠٥م بعد انتهائه من الدراسة كان ضابطاً بحرياً وعمل تحت إمرة والي مصر الشهير محمد علي ، تولى مناصب الولاة في عدة ولايات ، توفي في اسطنبول سنة ٤٧٨١م أنظر ح. كريشيفيلياكوفيتش المختارات ٤ ص ٣٥ ملاحظة رقم ١

١٥ صالح صدقي حاج حسينوفيتش الملقب بالمؤقت وهو موقت تاريخ سراييفو ، موقت ٢ ص ٦٩٠١

رجليه لذا لقب طوبال بمعنى الأعرج[16] ، وبفضل موقعه ومنصبه السابق كان ملمًا بالأوضاع السياسية في البوسنة ، ويعود له الفضل في النجاح بتهدئة الوضع على الحدود مع الجبل الأسود وتقليله من الاشتباكات على الحدود مع النمسا والمجر وكان يركز جهوده على الإصلاحات.

في العقد الذي حكم فيه البوسنة تغيرت مدينة سراييفو متأثرة بالإصلاحات والحداثة الغربية وتميزت حقبته بتغييرات مهمة وذلك بصدور دستور الولاية الجديد سنة ١٨٦٥م ، ومن المهم لمدينة سراييفو أن الإدارة الكاملة للولاية كانت تنطلق منها وتتواجد فيها الأمر الذي أثر على نظمها ومؤسساتها وتأثرها بالتعديلات القانونية الجديدة[17] وهذا عجل نمو المدينة وسريان رأس المال فيها ، كذلك لا يمكن إغفال حقيقة أن هذا الأمر جعل عدد المثقفينبازدياد مضطرد مما أثار تحديث النظام التعليمي فيها .

ومن خصائص الدستور الصادر أنه ألزم بفتح مطبعة حيث كانت الحاجة إليها إدارية قبل كل شيئ ولكن البند الملزم حمل في طياته أهمية كبيرة للحاجة العامة ، ووقع طوبال شريف عثمان باشا سنة ١٨٦٥م عقد مع صاحب مطبعة من مدينة زيمون ـ Zemun إغنيات سوبران ـ Ignjat Sopranيفتح بمقتضاه أول مطبعة في سراييفو ، سميت المطبعة بمطبعة سوبران واستعملت مبنى قديم في دوقي سوقاق ـ Dugi Sukak ونقلت بعدها إلى مبنى أرضي حيث موقع الحديقة العامة أمام دار الجيش ، باع سوبران مطبعته لحكومة الولاية في سبتمبر ١٨٦٦م حينها انتقلت إلى الملكية الحكومية .

سمت الإدارة العثمانية هذه المطبعة بمختمة الولاية وبعد ٢٩ أبريل ١٨٦٨م أسمتها بمطبعة الولاية[18] ، كان افتتاح المطبعة أعظم خطوة من الناحية الثقافية والعلمية نحو المرحلة الكاملة، وعلى الرغم من كون إغلاق الاتحادات التجارية والصناعية (الحرفية) المسماة بـ (الأصناف) ضربة قوية للحرف في سراييفو بيد أنه أعطى دفعاً جديداً للتجارة التي ازدهرت في تلك المرحلة .

وقد أرسل طوبال عثمان باشا وفداً ضم هاشم أغا غلوجو ومحمد أغا كابيتانوفيتش إلى الدول الأوروبية لتقوية العلاقات التجارية بينها وبين البوسنة وكل ذلك في سياق ازدهار التجارة[19].

---

١٦ غالب شليفو المرجع السابق ص ٠١ ، قارن فلادسلاف سكاريتش المختارات ١ ص ٦٤٢

١٧ من أهم المؤسسات الت يتم تأسيسها : حكومة الولاية يرأسها الوالي ومقرها سراييفو وغضافة إليها هناك الإدارة المالية ، مكتب العلاقات الخارجية للولاية يرأسه مكتوبجي (مدير المكتب) وهو مدير مطبعة الولاية وإدارة السجلات (ملكية الأراضي) إلخ .. انظر أحمد آليتشيتش : تنظيم ولاية البوسنة من ٩٨٧١ ـ ٨٧٨١م سراييفو ٣٨٩١م

١٨ حمدي كريشيفيلياكوفيتش المطبعة في البوسنة على عهد الأتراك ٩٢٥١ ـ ٨٧٨١م في المواد لتاريخ أدب كرواتيا : كتاب ٩ زاغرب ٠٢٩١م ص ٧ ـ ٨٢

١٩ توصل هؤلاس التجار إلى لندن وأحضروا من هناك سنة ٥٧٨١م ساعة مع عقارب تم

الخطوات الأولى في تحديث سراييفو جاءت بفتح المحلات على طراز ما هو موجود في المدن الكبيرة ، حيث تم فتح محل التصوير لأول مرة في سراييفو، ويذكر ميروسلاف برسييفيتش أنه وفقاً لبعض المصادر تم افتتاح أول محل للتصوير سنة ١٨٦٢م ، وفي عام ١٨٦٥م فتح الإيطالي باتيني بسنت بجانب المحل التجاري محلاً للتصوير[٢٠] ونشرت جريدة بوسنة (Bosna) عام ١٨٦٦م أول إعلان منشور لهذا المحل[٢١] ، وفي السنة التي تلتها افتتحت أول (مصبغة) كمحل لتنظيف وغسل الملابس باستعمال المساحيق الكيميائية[٢٢]، كما فتح مكتب لخدمات الكتابة باللغات البوسنية والألمانية والكرواتية[٢٣] ، ومما يدل على أن اللغات الأوروبية أصبحت مرغوبة فيها الدورات التي كانت تنظم لتقوية اللغات في قاعة دار الجيش[٢٤] .

في هذه الحقبة الزمنية ولأول مرة دخلت آلة الخياطة الإلكترونية ، صاحب الآلة أنتون شموتسر نشر إعلاناً في مجلة أخبار البوسنة (Bosanski Vjesnik) بعنوان : هام للجميع : أكد فيه أنه اشترى آلة أمريكية تخيط لوحدها[٢٥] ، كما تأسست في تلك الأيام منظمات تجمعات واتحادات مثل اتحاد الصناع الذي وضع القواعد لعمل الاتحاد تم تأسيسه برأس مال يتراوح ما بين أربع إلى خمسمائة ألف دينار [٢٦].

فتح فلدباور في حارة لاتينلوك (Latinluk) أول مصنع للخل[٢٧] ، كما تم افتتاح أول مصنع للنبيذ ، وتم في ذلك الوقت تحديث المدارس وفتحت المدارس الخاصة بالبنات وتم تأسيس صندوق المنافي لمساعدة وإقراض ذوي الحاجة بشكل ميسر .

من إنجازات ذاك العقد أيضاً تحديث المواصلات والاتصالات حيث بنيت شوراع جديدة[٢٨]

وضعها على قلعة الساعة، محمد أنوري كاديتش : طوبال عثمان باشا ، فشونيا بوشتا رقم ٨٢٧ ـ ٣٢٩١/٢١/٧م

٢٠ ميروسلاف برستويفيتش : سراييفو المنسية ، سراييفو ٢٩٩١ ص ٣٠٢

٢١ البوسنة رقم ١٣ ، ٦٦٨١/٢/٤٢م ، ٢١ ص ٢ ، آلكسا يفتيتش دفع للصورة سنة ٧٦٨١م أربعين غروشاً فندرك أن سعر الصورة كان كذلك وقتها ، آ غ س آ مجموعة ألكسا يفتيتش دفتر المصروفات المنزلية

٢٢ البوسنة رقم ٣٥ ، ٧٦٨١/٦/٣م ، ٢٢/٥ ص ٢

٢٣ بوسانسكي فييسنيك رقم ١ ، ٦٦٨١/٤/٧ ص ٨

٢٤ مارتين غيورغورفيتش : المرجع السابق ص ٧٦

٢٥ بوسانسكي فييسنيك ٦٦٨١/٤/٧م السنة الأولى رقم ١ ص ٨

٢٦ فلادسلاف سكاريتشالمختارات ١ ص ٢٥٢

٢٧ بوسانسكي فييسنيك رقم١١ السنة الأولة ٦٦٨١/٦/٨١م ص ٨٨

٢٨ بنيت الطرقات التالية : طريق من سراييفو إلى بوسانسكي برود سنة ٤٦٨١م مع نظام

وكانت الاتصالات عن طريق التلغراف مهمة جداً للإدارة والجهاز العسكري للولاية وللإرساليات الدبلوماسية ولكافة المواطنين ، أقيم أول خط تلغرافي عن طريق نوفي بازار (Novi Pazar) حتى اسطنبول ولحاجة هذا الخط تم استئجار مبنى في شارع آياس باشا[٢٩] .

ومتابعة لمبادرة شريف عثمان باشا قام الحاج أحمد عاصم بيك وهو الناظر على وقف غازي خسروبيك ببناء قاعة بجانب الجامع عام ١٨٦٣/١٨٦٤م وذلك عند المئذنة ومساحتها سبعة بخمسة أمتار ومن المفترض أن تكون المكتبة الجديدة ونقلت إليها الكتب من المدرسة[٣٠] ، وتم استحداث وظيفة القائم على المكتبة وبعد فترة وظيفة نائب القائم على المكتبة.

في عام ١٨٦٦م كان بمدينة سراييفو ٦٨ انبوب توصيل للمياه بطول إجمالي ٥٥ كيلومتر ، كما كان ١٥٦ سبيلاً للمياه [٣١].

في السادس من نوفمبر ١٨٦٩م افتتح رسمياً مبنى جديد لإدارة الولاية المسمى كوناك (Konak) بني بجانبه مبنى ملاصق لسكن الوالي وأهله (Haremluk) .

النزل (بيوت الاستراحات) ، طريق سراييفو موستار بدأ بناؤه سنة ٢٦٨١م وفتح سنة ٨٦٨١م ونفهم أهمية الطريق بكون جريدة البوسنة تقارنه بقناة السويس ، من الأهمية بمكان للدولة العثمانية من الناحية العسكرية كان طريق سراييفو ـ فيشي غراد ـ نوفي بازار وقد بني في هذا العقد أيضاً ، انظر البوسنة رقم ٩٦ : ١١/٩/٧٦٨١م ، ابراهيم تيبيتش : تجارة البوسنة والهرسك من ٦٥٨١ ـ ٥٧٨١م رسالة ماجستير لم تنشر بلغراد ٨٧٩١م ص ٩٣ ـ ٩٥ ، ح. كريشيفيلياكوفيتش المختارات ٤ ص ٨٥٢ ، ميلان ليلياك : البريد والتلغراف والتلفون في البوسنة والهرسك سراييفو ٥٧٨١م ص ٦٣ ـ ١٤ ، إبراهيم تيبيتش : بناء الطرقات في البوسنة من منتصف القرن التاسع عشر إلى الاحتلال النمساوي المجري في مجلة معهد التاريخ سنة ٧١ رقم ٨١ سراييفو ١٨٩١م ص ٥٤ ـ ٢٧

٢٩ صالح صدقي حاج حسينوفيتش الموقت، المرجع السابق ص ١٩٠١ قارن م. ليلياك المرجع السابق ٣١١ ، يذكر ليلياك أن أول مبنى للبريد بني حوالي سنة ٤٦٨١م في شارع موناك ، ويتابع في نصه : غالباً ما تم افتتاح البريد في ٣٢ ديسمبر سنة ٤٦٨١م وقد يكون الاحتفال أيضاً بمناسبة فتح الخطوط البريدية سراييفو إسطنبول وسراييفو برود

٣٠ محمد حاج ياهيتش : حاج أحمد عاصم بيك متوليتش في مجلة مكتبة غازي خسرو بيك ١١ ـ ٢١ سراييفو سنة ٥٨٩١م ص ٢٨ ـ ٣٨

٣١ ح. كريشيفلياكوفيتش المختارات ٣ ص ٩٩ ، قارن ليوبيتسا ملادنوفيتش : سراييفو على عهد الإقطاعية التركية سراييفو ٤٥٩١ ص ٢٥ ، رودولف زابلاتا : المبعوثون الدبلوماسيون في البوسنة والهرسك على عهد الأتراك في تقويم غايريت سراييفو ٧٣٩١م ص ٧٣١

إن إعجاب الرحالة بسراييفو في العقد السابع من القرن التاسع عشر أمر متفق عليه حيث وصف الزائرون لها جمالها ، وقد وصف جودت أفندي باشا وهو من أكبر أعلام رجالات الدولة العثمانية ولديه اطلاع على المدن الشرقية بما يلي : ولاية البوسنة في الدولة العثمانية حديقة رائعة وسراييفو هي المكان الذي يبلغ فيه جمال الحديقة ذروته ، إذا كان هناك إرم يمكن القول أنها من صنع البشر أما هذه الحديقة فهي من صنع الله الذي أبدع في روعة صنعه ، سراييفو هي مفخرة للعثمانيين لأنهم شيدوها ، تقع سراييفو على ارتفاع كبير نسبياً ويمر وسطها نهر فيه أسماك الإليبالوك وهذا النوع من السمك يتواجد في المياه الباردة وكثرة عند ملتقى الأنهر الصغيرة بالكبيرة ، لا أذكر مدينة فيها هذا النوع من السمك ، كما أن مياه النهر صافية ونظيفة وليست شبيهة بتلك التي تمر ببوركورشت المسمى دومبوفيتسا[٣٢] .

مع كون سراييفو مركزاً للقوة السياسية أصبحت في عام ١٨٥٠ مقراً لوالي البوسنة وبهذا تجمعت الهيمنة السياسية والاقتصادية فيها وبلغت ذروتها ، وباعتبارها مركز الإدارة ونفوذها كانت سراييفو مقراً للعديد من الشخصيات مثل : ملا سراييفو شيخ المشايخ ، نقيب الأشراف ، المفتي والقاضي والممثلين والقائمين على البعثات الدبلوماسية مما جعل منها مدينة غالبة في النفوذ على غيرها من مدن البوسنة والهرسك .

إضافة إلى ذلك فقد سكن جميع أعضاء مجلس إدارة الولاية فيها مما دفع حركة البناء والعمران إلى حد كبير ، بهذه الصفة والميزات كانت سراييفو مركزاً ومعقلاً للسلطة وفضاءاً لتجمع الخيرات المادية والروافد الثقافية والتعليمية والموارد التجارية[٣٣] .

فيما يخص نمط الحياة بصورة عامة لوحظ وبشكل ملموس الالتقاء والتقارب بين الثقافتين الشرقية والغربية .

هيئة وشكل المدينة وحدودها من القرن السادس عشر لم تتغير، ولكن عدد السكان كان يزداد في كل سنة حيث يبين إحصاء السكان ضمن نظام الضمان المشترك عام ١٨٤١م أن المدينة تكومن وقتها من ١٠٤ حارة[٣٤] ، وبتحليل المعلومات الواردة في ذلك الإحصاء نصل إلى الحقائق التالية : ضم الإحصاء ٥٤٨٤ مسلماً و ١٦٤٨ نصرانياً و ٧٤٢ يهودياً و ١١٤ من الغجر[٣٥] وإذا أخذنا

---

٣٢ ح. كريشيفيلياكوفيتش المختارات ٤ ص ٣٦ ـ ٤٦

٣٣ فلادسلاف سكاريتش المختارات ١ ص ٩٤٢

٣٤ ملا محمد مستفيتسا : قائمة الضمان المتبادل ، تذكر القائمة ٥٩ حارة للمسلمين و٤حارات للغجر ز٧٢ للنصارى و٦ حارات لليهود باعتبار القائمة وضعت على أساس الدين تكرر ذكر بعضها فمجموع الحارات ٤٠١ حارة .

٣٥ قائمة اسماء الغجر من سنة ٠٧٨١ تضمنت ٠٦٢ شخصاً ما يعني أن عددهم خلال سنة

بعين الاعتبار أن الأرقام مضاعفة لأن الإحصاء كان للذكور نستنتج أن العدد الإجمالي لسكان سراييفو وهو ١٦٠٣٠ في عام ١٨٤١م وهذا العدد هو أقل من العدد الرسمي الذي تم إحصائه في الإحصاء الرسمي لعام ١٨٥١م بحوالر ٥٠٧٢ نسمة.

وورد في الإحصاء الرسمي الذي أجري عام ١٨٥١م ما يلي : عدد المسلمين ١٥,٢٢٤ وعدد النصارى الأرثوذوكس والكاثوليك ٣,٨١٤ وعدد اليهود ١,٧١٤ والغجر ٣٣٠ أي أن العدد الإجمالي هو ٢١,١٠٢ نسمة[٣٦].

وفي الإحصاء اللاحق من عام ١٨٦٥م والذي نشرت معلوماته في منشورة (SALNAMA) من السنة نفسها كان عدد سكان سراييفو كما يلي : النصارى الأرثوذوكس ٩٧٣٧ ، النصارى الكاثوليك ١٥٤٩ ، المسلمون ٢١٩٣٦ واليهود ٣٦٧٣ ليكون بذلك المجموع ٣٦٨٩٥ نسمة[٣٧]، نلاحظ أن عدد السكان تزايد ما بين عام ١٨٥١م إلى عام ١٨٦٥م وفقاً للإحصاء الرسمي بـ ١٥٧٩٣ وهو الرقم المضاعف من الإحصاء السابق لعام ١٦٤١م .

بما أن الإحصاءات ليست منظمة وغالياً ما تهدف لتنظيم الأمور العسكرية والاقتصادية للسكان فالرجال وحدهم يتم تسجيلهم ولا يمكن متابعة التحركات السكانية بشكل دقيق .

إذا قارنا الإحصاء الرسمي من سنة ١٨٦٥م مع تحليل يوهان روسكييفيتش الصادر في عام ١٨٦٦م وفيه أن عدد المسلمين ٣٦٠٠٠ والكاثوليك ٥٠٠ والأرثوذوكس ٤٥٠٠ يكون عدد السكان قد ازداد بـ ٩٢٠٥ نسمة[٣٨] ، من المحال أن يزيد عدد سكان سراييفو بربع عدد سكانها سنوياً ولكن لا يمكن تجاهل الواقع وقتها أن الرعايا الأجانب قد كثر عددهم في هذا العقد .

أعلمت البعثة الدبلوماسية النمساوية حكومتها أنه يوجد في سراييفو ٤٠٨ من رعاياها منهم ١٥٤ موظفاً و ٢٥٤ من أفراد عائلاتهم[٣٩].

ازداد بـ ٨٢ شخصاً ، انظر محمد آ . موبيتش مكانة الغجر في البلد اليوغسلافية تحت الحكم العثماني في مجلة اللغات الشرقية ٣ ـ ٤ ، ٣٥ ـ ٢٥٩١م ص ٠٧١

٣٦ سلافكو كالوجريتش : من إحصائيات سراييفو منشور جمعية الأساتذة اليوغسلاف المجلد ٩١ آب ٩٣٩١ القسم ١١ـ٢١ صفحة ٤٤٨

٣٧ جورج بيانوفيتش : سكان البوسنة سانو ـ الأكاديمية الصربية للعلوم والفنون ، جدول سكان البوسنة والهرسك وفقاً للمصادر التركية من عام ٥٦٨١م

٣٨ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٩٥١.

٣٩ أرشيف البوسنة والهرسك ، تسجيلات البعثة النمساوية المجرية ـ انظر أرشيف ٩٠٦١/٨٦

كما رأينا فإن جميع الإحصاءات الرسمية والفردية لا تختلف إلا في التفاصيل الدقيقة ولأسباب عديدة منها إهمال المحصي وعدم تنظيم العملية بشكل دوري أو إحصاءات مبنية على التقدير الحر وثمة تناقضات تنتج عن التحيز أو عدمع تجاه دين أو عرق معين ، كما تاثر الإحصاء بأسباب أيدولوجية وهيمنة الدولة عليه .

أما فيما يخص حارات سراييفو فقد أثبتنا أن الإحصاء الذي جرى عام ١٨٤١م يدل على وجود ١٤٢ حارة ، وبما أن أساس الإحصاء الانتماء الديني ورد ذكر ٣٨٠ حارة مرتين لأن فيها خليك من الأديان ، ومن مجموع ١٠٤ حارة تسعة منها لا يسكنها المسلمون وبذلك نتوصل إلى أن العدد ٩٥ حارة يوافق الإحصاء من سنة ١٨٦٧م أي لم يزداد في تلك الفترة ، لذلك نفترض أن إحصاء الحارات من سنة ١٨٦٧م ليس كاملاً (دقيقاً) وأن العدد يتناول الحارات المسكونة بالمسلمين فقط بينما كانت المدينة فيها على أقل تقدير حارات عددها موافق للإحصاء من سنة ١٨٤١ أي ١٠٤ حارة [٤٠] .

كوستا ماندیتش له اهتمام بالإحصاءات وفق سجلات الرهبان الفرانييفتسي ويزعم بناء عليها أن سراييفو كانت تضم سنة ١٨٥١م ٩٥ حارة وعدد البيوت فيها سنة ١٨٧٨م كان ٦١١٠ [٤١] ، وبتحليل محتوى قائمة الضمان المتبادل من سنة ١٨٤١م نتوصل إلى أن إجمالي عدد البيوت في القائمة هي ٣٤٢٥ منها ٢٥٧٢ للمسلمين و ٥٥٠ للنصارى و ٢٤٢ لليهود و ٦١ للغجر[٤٢]، والمثير للاهتمام أن باشيسكسا وذلك لنصف قرن قبل هذا كان تقديره لعدد البيوت في سراييفو هو ستة آلاف تقريباً[٤٣] وهو يزيد ضعفين على إحصاء مستفيتسا .

ثمة دراسة سياسية حول البوسنة تضم كافة نواحي الحياة ألفها روسكييفيتش ويعتقد أن سراييفو مقسمة على مائة قسم على حسب عدد المساجد فيها ، وتوجد كنيسة كاثولكية واثنتين للأرثوذكس ومعبد يهوديوعدد البيوت فيها ما بين ٤٢٠٠ ـ ٤٥٠٠[٤٤] ، وإذا أجرينا مقارنة بين

---

٤٠ حارات غير المسلمين في سنة ١٤٨١م هي : حارة حاج ترهان وحارة شيخ مغربي يعيش فيها الغجر وحدهم وحارة غازي خسروبيك وحارة وكيل حرج وحارة كاهن حاج علي وحارة حسكي ختون وغورنيا فاروش وحارة لاتينلوك وحارة دوراجيك حاج أحمد ويعيش فيها النصادرى مع أن في حارة غازي خسروبيك يسكن اليهود ايضاً . لم نذكر ضمنها فليكا آفليا لأنها ليست حارة ، انظر ملا محمد مستفيتسا : قائمة الضمان المتبادل .

٤١ كوستا ماندیتش : سكان سراييفو ـ المكتبة الوطنية والجامعية ـ سراييفو مجموعة مخطوطات رقم ٨٧١ ص ٢ ـ ٥

٤٢ ملا محمد مستيفيتسا : قائمة الضمان المتبادل

٤٣ ملا مصطفى شوقي باشيسكيا المرجع المذكور ص ٣٢٢

٤٤ يوهان روسكيويز المرجع المشار إليه ص ٩٥١

إحصاء متسيفيتسا من سنة ١٨٤١م لسكان حارة علي باشا مع إحصاء سنة ١٨٦٧م نحصل على ما يلي من المعلومات :

سنة ١٨٤١م ضمت الحارة ٢٨٢ رجلاً في ٧٧ بيتاً بينما سنة ١٨٦٧ عدد السكان الإجمالي هو ٥٦٤ ١٢٥ بيتاً وستة منها ليست للمسلمين أي ١١٩ ، كما نرى لم يزدد عدد السكان لأن العدد الأول ضم الرجال فقط فإذا أضفنا النساء نحصل على ٥٦٤ نسمة أي أكثر مما هو موجود في إحصاء سنة ١٨٦٧م ، زاد عدد البيوت زيادة ليست بكبيرة لأن سنة ١٨٦٧ هناك ٤٢ بيتاً إضافياً ما يدل أن عدد البيوت كان يزداد لا سيما في أطراف مدينة سراييفو ، وجدير بالذكر أنه ليس لجميع سكان سراييفو مرتبة المواطن إنما يحصل عليها بعد إقامته عشر سنوات فيها ولكن يتقدم بطلب السكن فيها قبل الانتقال إليها [٤٥]، والوصول إلى هذه المعلومات صعب للغاية لأن السلطات لم تكن تجري إحصاء جميع السكان .

لا بد أن ناخذ بعين الاعتبار أن تقديرات الرحالة والدبلوماسيين هي مجرد افتراضات يصعب اثباتها أو نفيها في آن واحد ، والخلاصة أنه يمكن أن نستنتج أن المدينة تتكون في تلك الحقبة الزمنية من حارات عددها يتراوح ما بين ٩٥ إلى ١٠٤ وأن عدد السكان وفقاً للإحصاء الرسمي هو ٣٦٨٩٥ نسمة ورعايا أجانب عددهم يومئذ ما بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ شخص .ومع الأسف فإن المشكلة في الإحصائيات ومعلوماتها في وقائع التاريخ وتدوينها لم تخضع للتحقيق .

وجود الإدارة المدنية والجيش الدائم على نمط الجيوش الأوروبية جرد أصحاب النفوذ السائد إلى ذلك اليوم من قوتهم السياسية والاجتماعية المستمدة من مناصبهم، وبهذا بدأت الفوارق الاجتماعية تنشأ على أساس مختلف وثمة فئات اجتماعية جديدة تظهر إلى الواقع .

الحرفيون والتجار كانوا مع الموظفين الإداريين ورجال الدين والفكر والعماليشكلون نسيجاً أصيلاً لأهالي سراييفو ، يظهر من تحليل المعلومات حول الوضع المالي لأهالي حارة علي باشا من سنة ١٨٦٧ م أن مجموع البيوت وهي ١٢٥ بيتاً عشر عائلات منها لديهم فضلاً عن تلك البيوت عقارات أخرى ، من مجموع سكان الحارة ٥٢٥ نسمة يوجد ١٣٦ منهم لهم وظيفة وثلاثة منهم يملكون محلات خاصة بهم والبقية يعملون بالأجور[٤٦].

عهد طوبال عثمان باشا امتاز بظهور مجموعة من الناس في المجتمع وهم من سكان سراييفو يرتزقون من خلال عملهم وحرفهم في المدينة ، هم في الحقيقة ليسوا أغنياء وليسوا فقراء وليس

٤٥ انتون الذي انتقل من بيهاتش بطلب الموافقة على انتقال زوجته وولده ، أرشيف البوسنة والهرسك ٨٨/٤٦.

٤٦ علي بيتيتش : حارة علي باشا في سراييفو نصوص في دراسة تاريخ سراييفو ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، سراييفو ٦٦٩١ ص ٢٥ ـ ٣٥

لهم أي نفوذ سياسي ، هذه المرحلة تقوى فيها تجار نصارى أيضاً وذلك من خلال تجارتهم مع الغرب وبهذا تضاعف نفوذهم السياسي لا سيما عن طريق البعثات الدبلوماسية ، هؤلاء التجار هم حملة التغيير القادم في الحياة الاجتماعية ويوميات أهل سراييفو.

ومما سبق نخلص أن المدينة كانت تتحول وبسرعة كبيرة إلى عاصمة حديثة ومعاصرة ، وتأييداً لهذه الخلاصة نورد ما كتبه مؤرخ مجهول في هذه الحقبة حيث أجاب عن السؤال : كيف كانت صورة سراييفو في السبعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي بقوله : الحقيقة واحدة ، نعم دخلت الحداصة على المدينة ولكنها خسرت بهذا طهارة الأبوة التي كانت ميزة لها في الماضي ، ليست هناك طرق ملتوية وشوارع تغطيها الطين وسقف البيوت المائلة ... هدوء حياة المواطنين ضاع بهذا وتلوثت بالتدخين وشرب القهوة والكحول (الخمور)"[٤٧].

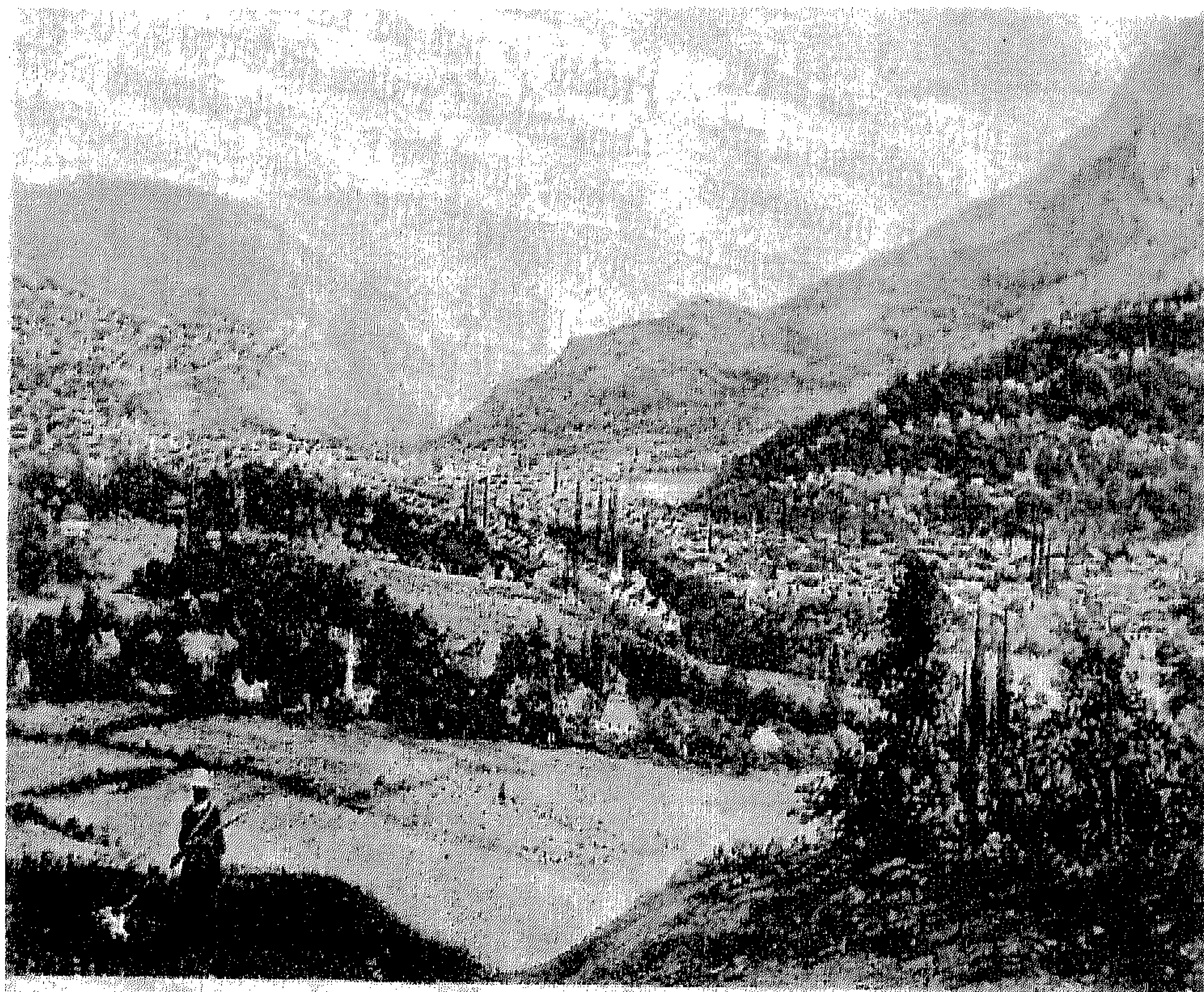
انعكست التحديثات على يوميات أهالي سراييفو بداية على الأسر الغنية وأشراف القوم وبعد فترة وبازدياد مصطرد على حياة الإنسان العادي فيها .



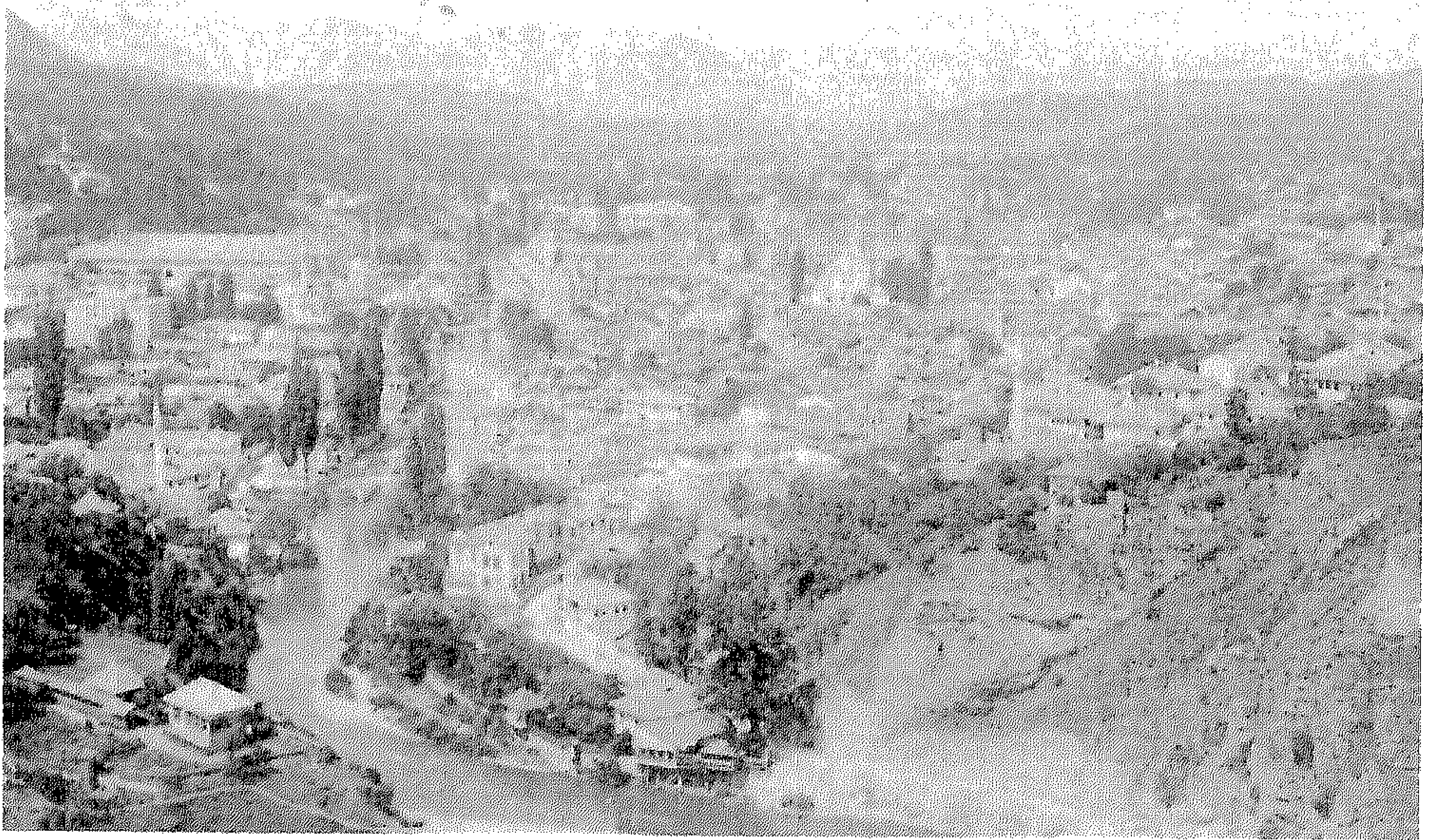
١,١ سراييفو في عام ١٨٧٨م

---

٤٧ فهيم بيغوفيتش : سرايبفو القديمة الطبعة الثانية سراييفو ٢٠٠٥ ص ٢٦



١,٢ سراييفو في عام ١٨٦٤م



١,٣ سراييفو عام ١٨٦٦م



١,٤ نهر ميلياتسكا وسط سراييفو ١٨٧٨م

II

الفضاء الحياتي الخاص

المكان والفضاء أو المساحة والوسط الذي تدور فيه حياة الأسرة بلحظاتها الجميلة والحرجة على حد سواء يمكن تصنيفها على أنها فضاء ومساحة خاصة[٤٨]، فالسكن ـ المنزل ـ أو الدار هي المساحة التي تتمتع بها الأسرة بكامل خصوصيتها ، ومهما كان الإنسان غنياً أو فقيراً فإن الأسرة لها منزلها الخاص ولا يسكن أهالي سراييفو في شقق يتقاسمونها مع غيرهم ، وعادة ما تكون مساحة السكن مفصولة عن مساحة مخصصة للعمل أي فصل الخاص عن العام ، وقد لاحظ ذلك الرحالة رينير الذي كتب عن ذلك بما يلي :» الرجل الشرقي لا يسمح أن يكون محله بجانب سكنه (بيته) فهو يريد الراحة والهدوء لكي يدير شئونه وشئون أسرته، وإن ما يقوم به من عمل في محله وسوقه يستمر من الصباح إلى المساء حتى يؤذن للمغرب ثم يغلق محله ويعود إلى بيته [٤٩]«.

اشتهر القرن التاسع عشر بأنه قرن الإصلاحات في الدولة العثمانية ، وبعض الإصلاحات اتجهت نحو رقابة وتنظيم البيوت وعددها في جميع المدن الكبيرة .

بيد أن ترقيم البيوت كان له هدف سياسي لا اجتماعي وذلك التزاماً بالأمر الذي أصدره خورشيد محمد باشا [٥٠] لتسهل عملية جمع الضرائب، وكان لا بد من أن يكون هناك تسجيل لجميع الدافعين لها أي لمنازلهم ، وكان يوضع الرقم على باب البيت أو حديقته بشكل محفور

٤٨ الحياة الخاصة أو اليوميات وفقاً لرأي أغس علر شيء مميز والإنسان يكون في وسطه (مركزه) ويعيش فيه أيامه ، هذه المساحة تقسم إلى يمين ويسار وفوق وتحت وقرب وبعد وإذا اخذنا بعين الاعتبار الأبحاث التي أجرتها الكاتبة يمكننا القول أن لكل إنسان إطاراً مكانياً يقضي فيها أيامه ، انظر أغس علر يوميات بلغراد ٨٧٩١م ص ١٦٣ ـ ٣٦٣ .

٤٩ هنرك رينير المرجع السابق

٥٠ صدر الأمر في ٣٤٨١/٢١/٨١ ولكن لم ينفذ مباشرة لأنه تكرر عدة مرات سنة ٣٤٨١ ثم ٩١/٥٠/٤٤٨١م ثم ٣١/٥٠/٧٤٨١ صدر الأمر بترقيم البيوت في بلغراد ، وضعت اللوائح على البيوت وهي حديدية وتأتي فيألوان عديدة ولون اللوحة يبين ديانة السكان ، العيش في بلغراد ٢٤٨١ ـ ٠٥٨١ الوثائق الأرشيف التاريخي لمدينة بلغراد ، بلغراد ٤٠٠٢ ص ٧٣٤ ـ ٠٤٤

على لوحة خشبية، ولكل منزل بحجم ولون موحد وتم مراعاة الأرقام الفردية والزوجية في الجهات بحيث كانت جهة للأرقام الوترية وجهة للشفع ، ولا نملك معلومات حول كيفية تحمل الناس مصاريف صنعها كما كان في بلغراد قبل ذلك بعقد من الزمان [٥١].

ثمة نمط لبناء البيت في المدينة غلب على كافة أنحاء الدولة العثمانية ، حيث هيمنت فكرة على عقول البنائين بأن يحفظوا البيت من أنظار الغرباء ومن الشارع باعتباره المكان العام ، وهذه الحماية تتمثل في بناء حائط أو جدار من الخشب (تارابا)[٥٢] يحيط بالخارج، وذلك الجدار جزء أساسي في الهندسة الشرقية ونجده في جل الأماكن التي حكمتها الدولة العثمانية قديماً [٥٣] ، ويعتبر الجدار حصانة من أنظار غير مرغوب فيها أو أي تعكير لصفاء أجواء وخصوصية البيت ومرافقه باعتبارها مركزاً للحياة الخاصة ، ولا نهدف للدخول في تفاصيل طريقة البناء في سراييفو في هذه الحقبة ولكن ننبه إلى العناصر التي لا يمكن تجاهلها باعتبارها تقدم ملامح المساحة التي جرت فيها الحياة الخاصة .

الجدار : هو أبرز عنصر للهيئة الخارجية للمنزل وغالباً لا يرى المنزل منه[٥٤]، وإذا ما نظرنا داخل السور أو الحائط تبدو لنا ثلاث مساحات مفصولة عن بعضها ومستقلة، كل منزل بغض النظر عن الوضع المالي لصاحبه أو مستأجره ينقسم إلى مسكن وباحة وحديقة ، هذه المساحة المنزلية يمكننا تقسيمها بناءاً على الجنس أي المساحة المخصصة للنساء والمساحة المخصصة للرجال (حرملك وسلاملك) وبناءاً على الاستعمال هل تستعمل المساحة للعمل أم للسكن أم للترفيه . وتبدو هذه الرغبة في الخصوصية واضحة من الجهات الثلاثة ، من جهة الأسرة ومن جهة الحياة الزوجية ومن الجهة الشخصية وذلك في كامل السكن .

---

٥١ باعتبار الأرقام تحفر على الألواح الخشبية اي تخت ـ سمى هذا الوالي تختي (صالح صدقي حاج حسينوفيتش المرجع السابق ص ٣٦٠١.

٥٢ تم تكليف أصحاب البيوت بمصاريف صنع الألواح على بيوتهم في بلغراد ، العيش في بلغراد ٢٤٨١ ـ ٠٥٨١ ص ٩٣٤

٥٣ دوشان غرابيريان يرى أن العناصر الأساسية للبيت الذي يسميه تركياً هي ثلاثة : حائط ، حد

يقة ، سقف ، الحائط هو الجدار ويأتي في المرتبة الأولى ، انظر دوشان غرابربيانالبيت التركي في نصوص لدراسة تاريخ سراييفو السنة الثالثة المجلد ٣ سراييفو سنة ١٩٧٠م ص ٧٣

٥٤ لا يكاد يرى شيئ من السقف خلف الجدار الخشبي المسمى تارابا ـ ب روفينسكي : الملاحظات من الرحلة في البوسنة ٩٧٨١ سانكت بيتريسبورغ ٠٨٨١ ص ٩٣.

وبما أن العادات الدينية تفصل المرأة من الحياة العامة فقد تم إفساح المجال لها في مساحات حياتها الخاصة ، تقسيم السكن على أساس الجنس تم تنظيمه بدستور الولاية الذي اعتبر تأمين الخصوصية في السكن أساساً له .

نص القانون على أن كل بيت يبنى لا يسمح له الاطلاع على باحة البيت المجاور، ولا على مطبخه أو بئره واعتبر ذلك ضرراً كبيراً [٥٥] .

لو بنى أحد بيتاً له إمكانية الإطلاع على هذه المساحات التي تدور فيها حياة النساء فإنه يجبر على إزاحة النافذة أو بناء جدار أو حائط من الألواح الخشبية حتى لا تنكشف النساء[٥٦] ، ومن المثير للاهتمام أن الجار يسمح له أن ينظر إلى حديقة جاره لأن الحديقة لا تعتبر من مساحة البيت الذي تدور فيه حياة النساء[٥٧] ، وليس مفاجئاً الاستنتاج السطحي لروفينسكي حين وصف المساحة الخاصة فقال : يدل تقسيم البيت الداخلي على أن الأسرة مقسمة ومشتتة ليس بينها روابط حقيقية[٥٨] إن دل هذا على شيئ فإنما يدل على أن الأجانب لا يسمح لهم بالدخول في الجزء المخصص للنساء (حرملك) وإنما يرون جدراً للفصل دون أن يفهموا أن المساحة الخاصة يحافظ عليها بسبب الغيرة وهو في الحقيقة في مساحة مخصصة للنساء (حرملك) ونؤكد هنا أن البيت ليس للسكن وحسب بل هو مرآة الأسرة ويحمل في إسمه جوهر وجودها[٥٩] .

ولم تكن السلطات تتدخل في التقسيم الداخلي للبيت[٦٠] ولا في حجمه غير أنها أعلنت سنة ١٨٦٦ وللمرة الثانية عن طريق المجلة الرسمية للبوسنة إرشادات متعلقة ببناء البيوت توضح طريقة

٥٥ روسكيبيفيتش يؤكد هذا القانون ويقول أنه من النوافذ للبيوت المجاورة لا يمكن أن ترى غرف أو حدائق البيوت الأخرى، وفي حال حدوث هذا الأمر يحق للجار إغلاق تلك النافذة أو أن يضع أمامه ساتراً ارتفاعه (كلافتار) ما بين متر ونصف إلى متر وسبعين سم . يوهان روسكيبيفيتش المرجع السابق ص ٧٢٢ ، انظر مجلة الأحكام الشرعية (القانون المدني العثماني) سراييفو ٦٠٩١ رقم التصنيف زاي ٦٣٤٢ص ٢٠٢١

٥٦ مجلة الأحكام الشرعية ص ٢٠٢١

٥٧ المرجع السابق ص ٤٠٢١

٥٨ ب . روفينسكي المرجع السابق ص ١٤

٥٩ كلمة البيت لها عدة معان منها الأخلاق والسياسة ومكان الاستقرار ومكان الاجتماع الأسري ومعان مادية أي ملك عقار أو موضع استثمار، انظر فيليب آرياس جورج ديبي : تاريخ الحياة الخاصة ٤ ص ٦٤٢ ـ ٨٤٢

٦٠ في إحدى رسائل والدة حاجي ريستيتش من فيينا تشكو فيها لابنها اختيار الزوجة وتتساءل: ألم يكن بوسعك أن تتزوج فتاة من بيت (أسرة) بيليتش أو بيت (أسرة) فوريتش؟ وذلك يدل على أن الحاجة وقد تقدم بها السن تريد أسرة تليق للمصاهرة واستعملت كلمة بيت مرادفاً للأسرة والعائلة، أرشيف سراييفو مجموعة أسرة حاجي ريستيتش الرسائل الخاصة صندوق رقم ١

البناء والترميم للمباني وخاصة في سراييفو وأن التنظيم السابق لهذه الشئون تم إلغاؤه وأن كل مالك أو صاحب عقار إذا أراد بناء أو ترميم مبنى صغير أو كبير فلا بد أن يشعر مجلس البلدية ويحصل على الرخصة بناءاً على التخطيط الهندسي وتقييمه [٦١] .

كما رأينا مما سبق فإنه يشترط لبناء البيت أو ترميمه الحصول على الترخيص ويمنح هذا الترخيص بعد خروج المتخصص إلى الموقع وتعينه البلدية وهي نواة تنظيم المدينة والبناء القانوني في سراييفو ، وليس غريباً أن يكرر القرار عدة مرات باعتبار مجلس البلدية بموجب القرار جهة رسمية لا بد من اطلاعها على كل المباني الجديدة ما يجعل البلدية تتمكن من معرفة الأوضاع المالية لأصحابها وتعيين الضرائب المترتبة عليها لذلك يعد تهرب الناس من هذا الواجب هو شيء منطقي وله ما يبرره، كما أن اشتراط الترخيص لم يشمل البناء الجديد بل الترميم للبناء القديم، وهنا وثيقة تدل على حصول مصطفى شبرجيا أحد سكان حي كوروبوفيتش على ترخيص لترميم قسم من بيته سنة ١٨٦٥م[٦٢]، ودفع ثمن الترخيص ثلاثة قروش (غروش) وهذه الحالة ـ أي حالة مصطفى ـ تدل على أن التنظيم القانوني بدأ احترامه وتطبيقه وأن تكلفة الترخيص لم تكن كبيرة[٦٣] .

ما يتصل بموضوعنا اتصالاً لصيقاً هو حقيقة أن العقارات في المدن والقرى كانت تباع وتستأجر وهذا يدل دلالة واضحة أن تقسيم البيت كان متشابهاً على تنوع أديان أصحابها [٦٤] ، لقد وجدنا في المصادر أمثلة كثيرة للمؤجرين الذين يؤجرون المباني الكاملة، ويبدو أنه ثمة إمكانية لتأجير قسم من البيت .

مثل هذا العرض قدمه عابدي بيك الذي عرض إيجار قسم سلاملك من بيته أي القسم الذي هو مفصول تماماً عن حرملك (قسم خاص) ولا يرى منه[٦٥] ، ونجد عند النصارى أنهم تقاسموا البيوت مع المؤجرين أو مع الشبان الذين يعملون عند الأسرة المؤجرة ولكن هذا الأمر نادر جداً.

---

٦١ البوسنة رقم ٢ ٦٦٨١/٥/٣٢ سنة ١ ص ١ ، ٦٦٨١/٦/٤٠

٦٢ أرشيف سراييفو مجموعة وثائق تركية صندوق ٥ وثيقة رقم ٦٩١

٦٣ كان ثمن المسح الهندسي في دكان ديسبيتش ٤ قروض سنة ٦٦٨١م في شهر ابريل وثمن الترخيص لترميم البيت ٣ قروش (غروش) ليس بكبير ، أرشيف سراييفو مجموعة عائلة ديسبيتش صندوق ٠١ دفتر المبيعات لسنة ٦٦٨١م

٦٤ التعايش عبر القرون بين المسلمين وغير المسلمين أثر على نمط البيوت والحياة فيها ، مع مرور الزمن صار هناك نوع من توحيد النمط فلم تكن البيوت مختلفة عن بعضها البعض ، انظر الحياة الخاصة في البلاد أبان العصر الحديث ، بلغراد ٥٠٠٢م إعداد ألكسندار فوتيتش ص ٨٤١

٦٥ مجلة البوسنة رقم ١٥-٧٦٨١/٥/٠٢ و ٨ ص ٢

حجم البيت له علاقة بالوضع المالي لصاحبه وإضافة إلى ذلك موقعه وصيته في المدينة[٦٦]، كانت العائلات الغنية تبني بيوتاً فيها أكثر من طابق بينما يرضى من دونهم في الثراء ببيوت صغيرة مؤلفة من طابق واحد[٦٧]، يزيد الطابق العلوي على الأرضي دائماً في المساحة ، رغم أن روسكييفيتش يعتبر أن البيوت تبنى بناءاً على متطلبات الأسر [٦٨] لا يمكننا موافقته لأن البيوت الكبيرة يبنيها من يملك المال وذلك يكون من الأغنياء فقط .

الكل حاول التميز والتنكر للطبقة التي ينتمي إليها، كما فعل أحمد نالو مصلح الموازين حين بنى بيتاً مؤلفاً من طابقين ولم يعتبر الناس ذلك مناسباً لوضعه المالي والاجتماعي فأثار غضب الأغنياء[٦٩] ، وقد استغرق بناء البيت زمن طويل تم خلاله صرف كل ما ادخره من أموال[٧٠] .

تطلى الجدر الداخلية والخارجية في البيوت باللون الأبيض رمز النظافة والطهارة ، والمادة الأساسية لبناء البيوت كانت عبارة عن خليط الطين والخشب ، أما أسقف البيوت فقد صنعت من الخشب ويوضع عليه نوع من الحجر الخفيف ـ شرميدـ (قرميد أو شندري)[٧١] ، وتوضع على نوافذ البيوت الأغطية الخشبية المزينة ويمكن للناظر من الداخل أن يرى الخارج ويمنع أنظار الغرباء عن البيت ، وجعلت النافذة حداً ورباطاً بين المساحة العامة والخاصة ، والوقت الذي يقضى بجانبها ليس لمجرد النظر وإنما هي وسيلة للتواصل في ذاك العصر وهذا ما جعل الفتاة مشاركاً حقيقياً في أحداث المساحة العامة والتي يبدو للوهلة الأولى أنها منعزلة عنها .

وينص القانون أن السقف الممتد بشكل زائد عن البيت لا يجوز أن يغطي ملكية الجار وإذا حصل ذلك فلا بد من إزالة هذا الجزء من السقف لأنه جاوز ودخل على مساحة البيت

---

٦٦ موقع منزل موريتش تحتله اليوم أربعة منازل ، كانت فيها دار كبيرة بمثابة جامع صغير وفيه فرنان والمطبخ ومزود بثمانية عشر موقداً للنار وفرن الفطائر كان لأربعة فطائر في آن واحد ، انظر ح.كريشيفيلياكوفيتشا: الأعمال المختارة المجلد الأول ص ٨٣٣

٦٧ التركي الثري له بيت مؤلف من طابقين دائماً إذا كان ثرياً بحق ، ب. روفينسكي المرجع المذكور ص ١٤ .

٦٨ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ث ٦٢٢

٦٩ ح.كريشيفيلياكوفيتشا المرجع السابق المجلد الرابع ث ٢٦١ تعليقة رقم ٩

٧٠ يذكر هذه العادة باشيسكيا أيضاً ويقول الحاج صالح حرفي النحاس من حارة حاج بوطاجي باع بيته المنظم لحاج مصطفى فضل خوجة لألف وخمسمائة غروش ، وبنى لنفسه بيتاً جديداً قريب من شيفوت خانة وسكنه في ٩٢ رمضان (٩٧٧١/٩/١٢) واستغرق البناء حياته كلها فسأم من ذلك ، انظر ملا مصطفى باشيسكي المرجع السابق ص ٤٢٢

٧١ فيس شورشيتش : بيوت أشراف المسلمين ، تحف شعبية ، المجلد السادس الدفتر ٤١ زاغرب ٧٢٩١م ص ٣٨

المجاور[٧٢] ، وكانت تظهر بعض المشاكل أثناء بناء البيت ـ وإن كان ذلك يحدث نادراً ـ ، فقد حصل أثناء بناء بيت من البيوت أن أصيب النجار كارغيو غيووفاني وهو من الرعايا النمساويين بطعنة سكين من قبل شكانيتش وهو نمساوي أيضاً بسبب لوحة خشبية سقطت أثناء عمل الأول في حديقة شكانيتش[٧٣] ، وبتحليلنا لهذه الحادثة توصلنا إلى أنه تم إدخال العمال الأجانب في مجال البناء وقتها، حيث كان البناؤون والنجارون والمهندسون غالباً من العمال الأجانب ويأتون من النمسا والمجر وإيطاليا[٧٤] . لقد بقي نمط البناء وتوزيع الغرف على الطراز البوسني القديم [٧٥] عند معظم السكان إضافة إلى ثمة مواد جديدة كانا تستعمل في البناء ، كما ظهر التأثير الغربي في مفروشات البيوت لا سيما للنخبة التجارية الجديدة .

هناك فصل بين الغرف التي يستعملها الكبار وتلك التي يستخدمها الأطفال ، والمثير للاهتمام أن غرف الأطفال رفعت أعتابها حتى لا يخرج الأطفال الصغار من الغرفة ويأمن الكبار مقاطعتهم أثناء الأعمال اليومية [٧٦] .

قررت عائلة حاج ريستيتش أن تبني بيتاً مؤلفاً من طابقين وضمن الطابق الأول أربعة غرف وفي الثاني خمسة غرف وأوصوا بالمفروشات الأوروبية لغرفتين من فيينا [٧٧] ، ورغم وجود المفروشات الأوروبية منذ القرن الثامن عشر الميلادي [٧٨] لا يمكننا القول أنها تواجدت في بيوت الأغنياء فقط

---

٧٢ القانون العثماني المدني ٥٩١١

٧٣ شكانيتش طعن غيؤفاني مرتين ولم يعاقب لأن الطبيب كواشتهت صرح بأن جروحه سطحية ولم تتأذى الأعداء الداخلية ، أرشيف البوسنة أو غ ك ر ٨٧٤١/٧٦ ، ١٨٤١/٧٦ ، ٠٠٥١/٧٦

٧٤ شارك في ترميم مقر البعثة النمساوية الدبلوماسية سنة ٧٦٨١م مهندس نمساوي ، واستعمل الوالي لبناء مقره المسمى كوناك العمال الإيطاليين دون غيرهم ما يتبين لنا من الدعاوى القضائية ضده لتسديد الديون تجاههم .

٧٥ ف . غليفروينغ المرجع السابق ص ٣٨

٧٦ مثل هذا الحاجز يمكن رؤيته حتى اليوم في بيت سفرزو وهو نموذج للبيت البوسني من الحقبة العثمانية

٧٧ يتم تجهيز الغرفتين في الطابق العلوي بطريقة أوروبية احداهما تضم سريرين والمغسلة والخزانة والثانية ستة كراسي صغيرة واثنتين كبيرتين وطاولة وصندوق للفضة والحلي ، ويتم تجهيز بقية الغرف على النمط البوسني ، وصلت المفروشات الأوروبية خريف سنة ٨٥٨١ إلى سراييفو ، ٨١ كرسياً وطاولة ، فلاديسلاف سكاريتش : تطور عائلة تجارية في سراييفو في القرن التاسع عشر ، أرشيف البوسنة المجلد العاشر ـ قسم العلوم الإنسانية الكتاب ٦١ سراييفو ٦٧٩١ ص ٥٥

٧٨ لم تكن المنتجات الأوروبية ضمن نمط الحياة في هذه المنطقة في القرن الثامن عشر الميلادي ولكنها موجودة وقتها ، من هذه المنتجات بلا شك في بيوت الأغنياء وفي المدن حصراً هي المرآة الكبيرة التي تعلق على الحائط والنظارات والمنظار

وبين الذين تمتعوا بالثراء الفاحش منهم[٧٩] ، أما تفاصيل توزيع الغرف داخل البيوت فهو موجود كذلك في ملاحظات الزوار الأجانب لعاصمة الولاية البوسنية يومها، حيث وصف أوتوبلاؤو منزلاً كان من المقرر أن يكون مقراً للبعثة الدبلوماسية النمساوية فذكر ما يلي : «قريباً من نزل كوناك هناك بيت من المقرر أن يكون سكناً للممثل الدبلوماسي النمساوي ، ومع أنه من البيوت التركية إلا أنه من أفضلها، وعندما تم تسليمه كان المطبخ والإسطبل في الطابق السفلي كما جرت العادة وقتها والدخان يخرج من مدخنة من فتوحات السقف[٨٠] وغرف البيت لها سلم يصعد الشخص به إليها ، استغرق ترميم البيت عدة أشهر ، وبعد ترميمه كان البيت مريحاً وجميلاً ، بنينا مدخنة وجعلنا مكاتب العمل والمطبخ في جهة اليسار من المدخل ، وبعدها وفي جهة اليمين من المدخل قاعدة كبيرة وغرف العمال الرسميين ، وبين هذه الغرف سلم يؤدي إلى الطابق العلوي وهناك غرفة الجلوس وغرفة النوم وغرفة استقبال الضيوف ، وأمام البيت بئر قديمة وشجرة كرز شاهقة وهناك شرفة خشبية تحيط بالطابق العلوي من جميع الأطراف وهي مطلة على التلال الجميلة من ناحية والجامع المجاور من ناحية أخرى[٨١]».

يتوقف التوزيع الداخلي للغرف وعدد الغرف وتزويدها بالأثاث على القدرة المالية لمالكه ، وعلى أية حال فإن ميزة البيوت الشرقية هي عدم تكثيف الأثاث في الغرف ، هناك وصف للغرف في البيوت الغنية للمسلمين في سراييفو سجله روسكيبتش يقول فيه : (وسط الغرفة التي أثاثها المعتاد مندرلوك ـ أي مقعد للجلوس ملصق بالجدر من أطراف الغرفة ومرتفع نوعاً ما ـ تم تغطية الأرض بالسجادة أو نحوها من جلود الغنم وهناك في وسط الغرفة مقعد

والكؤوس الزجاجية والأباريق وساعة الجيب والحائط ، واهتم المسلمون بالساعات قبل غيرهم لأنها كانت مهمة لهم لمتابعة أوقات الصلوات الخمس فامتلاكها كان منتشراً بينهم ولكن نجدها عند غيرهم ، فمثلاً بيت حاج يوفوسلاك في سراييفو حيث وجدت في بيته سنة ١٨١٠م ثلاث ساعات . ظهرت الكراسي وقتها ويسمونها سكمليا وهي أداة ترفع الإنسان عن الأرض إلى الطاولة وتسمو به إلى نمط الحياة الأوروبية ولكن هذه الأداة تظهر في المدينة فقط وفي سراييفو بالتحديد . في بيت ستاشينا في حارة غازي خسرو بيك وجدت ثلاثة كراسي ، علي بيتشيتش : الراحة الشخصية والمنزلية ص ٤٦١ ـ ٥٦١ ـ انظر : يوهان روسكيبفيتش المرجع السابق ص ٣٢٢ ويقول روسكيبفيتش أن طريقة الحياة لدى أغنياء المسلمين لا تختلف كثيراً إلا أن مفروشاتهم أغلى ثمناً ونمطها أوروبي .

٧٩ كرسيان أو ثلاثة مع الطاولة رمز التحضر والتقدم في البيت ـ كما يدعي غليفيردينغ . أ. ف . المرجع السابق ث ٣٨

٨٠ بلاؤو غالباً يعني المطبخ غير المسقوف المسمى (مطوق) فيخرج الدخان من تحت سقف البيت لأنه ملصق به ، كثير من البيوت يكون هذا المرفق منفصلاً عن البيت وهو موجود في باحة البيت ، بلاؤو بول المرجع السابق ليبسيغ ٨٢٩١ ص ٨٩

٨١ المرجع السابق

صغير أو طست نحاسي ، وحين يأتي وقت النوم هناك صندوق خاص وهو بمثابة خزانة في زاوية الغرفة يتم إخراج الوسائد والبطانيات والفرش التي تمتد على الأرض أو على الأرائك منه وينام الشخص عليها شبه عارياً ، وقد يوجد في بعض بيوت الأغنياء المسلمين الذين قبلوا بعض عادات الغرب في غرف الجلوس الكراسي والطاولات وأدوات الكتابة عليها ، وإذا أضفنا الستائر الحمراء والزرقاء تتكون لنا صورة لغرفة فاخرة يومها "[٨٢].

ثمة وصف آخر كتبه ألكساي بوبوفيتش السرائي وقد لفت انتباهه مواطن فقير فيقول : «الغرفة التي يسكنها هذا الرجل المتدين والمستقيم من المسلمين كانت شبيهة بالزنزانة فليست فيها سجادة على الأرض وثمة حصيرة في وسطها ، وفي زاوية الغرفة أداة حديدية لتحمل الشمعة وقد تغير لونها من الاحتراق ، وعلى الرفوف كتب مجلدة بجلد الأرانب وهي كبيرة ، وعلى الأريكة (مندرلوك) يوجد غطاءين كأنهما من العصور الوسطى وهناك وسادتين محشوتين بالقش ، ومسامير مغروزة في الجدر وعليها معطف بالي ومنشفتين وسختين وبجانب باب الغرفة يوجد لجن بجواره ابريق من الطين"[٨٣].

وإذا قارنا أثاث هذا البيت المتواضع كما ورد في الوصف ببقية البيوت فلن نجد مع الفارق الناتج عن المستوى المنخفض في الثراء فارقاً آخر فالأثاث المعتاد موجود ، سجادة على الأرض ، أريكة للجلوس ، زينة متواضعة ، ستائر عادية ورفوف، حيث أن مقارنة الأوصاف للبيوت وقائمة الأثاث التي سجلتها دفاتر أهالي سراييفو تفيد أنه ليس ثمة اختلاف بينها في الأثاث رغم فوارق الدخل فكان الأثاث فيها : أريكة الجلوس صوفا وهي ملصقة بالحائط، وسجادة على الأرض، أو جلد حيوان مدبوغ[٨٤]، والفارق كان في الجودة وكثرة أو قلة أثاث البيت[٨٥] ، ومن مستلزمات الغرفة أيضاً : خزانة اللباس والمفروشات وفيها الملاءات وبطانيات النوم وموقد التدفئة للغرفة أيام فصل الشتاء[٨٦] ، وكانت أريكة الغرفة تستعمل للجلوس والنوم معاً[٨٧] .

---

٨٢ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٧٢٢،٠٢٢،٣٢٢

٨٣ ألكساي بوبوفيتش ، سير أعلام سراييفو ص ٧١

٨٤ انظر راشيد حيدارفيتش : تركة أحمد منيب أفندي غلوجو ناظر الوقف غازي خسروبيك ، منشورات المكتبة ٢ ـ ٣ سراييفو ٨٧٩١ ص ٥٠٢ ، ٧١٢

٨٥ سجادات البيوت لأصحاب الطبقة الوسطى تأتي من روملي وهي ستة عشر شبراً ولونها غامق ، بيوت الأثرياء فيها سجادات عجمية فارسية وتكون سميكة جداً . مجموعة أرشيف مدينة سراييفو ، غاريا ٨٨٤ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٧٢٢

٨٦ آمي بوء يذكر الفرن المربع المصنوع من الطين والدلو عليه ويعتبرها مجرد زينة ، م. شاميتش المسافرون الفرنسيون ص ٥٧١

٨٧ لم يعرف السرير في البوسنة قبل احتلال النمسا لها ، علي بيشتش ص ٣٦١ ، وما يشير إلى أن الوضع كان مشابهاً في أوروبا أن إحدى العاملات حاولت قتل صديقها سنة

نادراً ما كانت الصور توضع في الغرفة للزينة ، وكانت آنية المائدة أو زخارف سقف الغرفة هي زينة بحد ذاتها في البيوت الثرية ، وقد وجدنا في المصادر ثلاثة صور في بيوت الأغنياء كتبت في سجلاتهم : الأولى لأسرة حاجي ريستيتش وقد جاء بها ريستو من رحلته إلى الحج للقدس الشريف وعليها صورة القديسين ، والثانية والثالثة في سجلات أسرة زلجيتش الأولى عليها صورة القدس وهي ملونة وصورة أخرى عملت باليد وحفر بها صورة مكة المكرمة والمدينة المنورة[٨٨] ، وهذا يعني أن وجود الصور للزينة إن وجدت في البيت فإنما تدل على تدين صاحبها.

استعملت الشموع للإضاءة وقتها وأهمية الشمعة في الاستعمال اليومي كانت عظيمة فالدولة هي من يقرر أسعارها في السوق[٨٩] ، وقد استعملت الشمعة الدهنية إلى ما قبيل الاحتلال النمساوي للبوسنة [٩٠] .

فيما يخص إيجار وأسعار البيوت فإنه كان يتوقف على حجمها وموقعها في المدينة ، ونشير هنا إلى بعض الأسعار في التأجير حيث كانت أجرة البيت الذي استأجرته السلطة النمساوية لبعثتها الدبلوماسية في سنة ١٨٦٢م خمسون فورينت (العملة المتداولة يومها) وزيد في المبلغ إلى ثمانين خلال سنة واحدة فقط[٩١] ، أما أسعار البيع فبحسب المصادر أن أسرة يفتانوفيتش باعت بيتاً سنة ١٨٦٨ وحصلت مقابله على ٢٩٠ ديناراً ذهبياً بينما ديداغا شنغيتش باع طوبال عثمان باشا سنة ١٨٦٩ مزرعة تقع فيها اليوم مساكن حي سرابيفو المسمى تشينغيتش فيلا ولما اشتراها كان فيها منزل ضخم وحقول من طرفي الطريق وكان سعرها ٦٥٠٠ دينار ذهبي (دوكات)[٩٢] .

بجانب المساحات المخصصة للسكن يوجد هناك باحة وحديقة للبيت ، و كانت كل عائلة ثرية تملك حديقتين للرجال والنساء وبينهما حائط ، وفي كل حديقة مدخل للبيت وذلك عن طريق

٠٨٨١م لأنه اشترى بمبلغ مخصص لشراء السرير شيئاً آخر ، فيليب أرييس - جورج ديبيتاريخ الحياة الخاصة ٤ ص ٦٥٢

٨٨ أرشيف البوسنة والهرسك مجموعة حاج ريستيتش صندوق رقم ٢ أ أ س أ مجموعة زلجيتش صندوق رقم ١

٨٩ غلي الدهن سنة ٧٦٨١ إلى درجة أن اتحاد التجار لم يتمكن من بيع الشمعة بثمانية غروش للأوقية ، بعد أن تأكدت السلطات أن هذا الخبر صحيح صدر الأمر في مجلة البوسنة أن يزيد السعر غرشاً واحداً للأوقية ، البوسنة رقم ٧٦٨١/١١/٣٢٢٨ ص ١

٩٠ أول سراج (مشكاة) على الغاز جيئ به إلى سرابيفو عن طريق مدينة بوسانسكي برود سنة ٧٦٨١ ، علي بيتيتش الراحة الشخصية ص ٣٦١

٩١ أرشيف البوسنة والهرسك أ غ ك ر ٥٤٧/٢٦

٩٢ فراغرغا مرتيتش ، الصفحات المختارة ص ٩٢٢

سلم ملصق بالبيت[٩٣] وهي مساحة مخصصة للنساء فقط، ووضعت الأحجار عليها وكانت تنظف بانتظام ، وسبب تنظيفها بشكل منتظم هي عادات الخاطب في زمانهم عند الخطبة حيث كان يتفقد نظافتها فإن كانت الحديقة نظيفة فالبنت التي تخطب مجتهدة [٩٤] ، وكان في حديقة البيت ماء سبيل أيضاً وغالباً لدى الأسر الغنية والتي بيوتها على نهر موشانيتسا وهي من الحجر المحفور وتحت ماء السبيل حوض حجري [٩٥] ، وتقضي الفتيات معظم أوقاتهن في باحة البيت لذا كانت المساحة فيها تمتلأ بالأزهار ، وبجانب سور الحديقة من الداخل هناك مكان مسقوف لوضع الحطب للتدفئة ومستودع للقمح والذرة كما أن معظم البيوت تمتلك بئراً خاصة لسقي الزرع وللشرب أيام الصيف ،وهذا يعني أن الحديقة تضم مستودعاً للحطب ومساحة للحيوانات والجزء المخصص للأزهار والخضروات [٩٦]، وعادة ما تكون نوعية الزرع عبارة عن تشكيلة من الفواكه والخضروات والأزهار وفقاً لمزاج أصحاب البيوت وحاجتهم ، وكانت هناك بيوت حدائقها واسعة جداً وتضم بساتين وأشجار الفواكه وحقلاً للخضروات ، وتشير المصادر إلى أن البيت الذي استئجرته البعثة الدبلوماسية النمساوية كانت أمامه حديقة فيها خضروات وأزهار كان من بينها زهر الأورخودي وكذلك ملعب للكرة للكبار والصغار وبيت للدجاج ، وثمة اسطبل ومستودع ومكان للقفص[٩٧] .

من مزايا بيوت سراييفو والبوسنة عموماً (بوابات جيران)[٩٨] أي بوابة تمكن الجيران من دخول بعض النساء عند بعضهن دون الخروج إلى الشوارع حيث أن باحة البيت وحديقته حولهما سور من الخشب (تارابا) تمنع رؤية ما يجري داخلها ، وفي باحة البيت يوجد ديوانخانة أي

---

٩٣ غيلفردينغ ذكر في انطباعاته عن باحة البيت : هناك سلم يؤدي من الباحة إلى الغرفة وهناك شرفة غير مسقوفة كأنها تركت عمداً ليغطيها ثلج الشتاء ، هذه الشرفة هي الطريق بين الغرف كأن البوسني لا يدري بوجود الأبواب الداخلية بين الغرف ويا عجباً لا سيما حين يأتي الشتاء القارس وأجواء البوسنة الحرجة التي تطول فيها أيام البرد والشتاء ، وكل غرفة من غرف البيت فيها من الحواجز ما لا داعي له البتة ، البوسنويون يفضلون بالأرائك التركية وبغياب الأثاث في البيت ، آ ف غيلفردينغ المرجع السابق ص ٣٨

٩٤ ستيفو كالوجريتش : من تاريخ سراييفو ـ الحياة الاجتماعية : بروسفيتا ١٣٩١ ص ٦٦

٩٥ ح. كريشيلياكوفيتش : الأعمال المختارة ٣ ص ٢٩١

٩٦ ترك لنا وصفاً لباحة البيت في توزلا روفينسكي نفسه : باحة البيت من الشارع طول خمسة وعرض سبعة والمقياس للطول هو متر وربع ، فيه مستودع للحطب ومكان للدجاج وقطعة أرض زراعية حولها سور للأزهار والخضروات . ب . روفينسكي المرجع السابق ٩٣

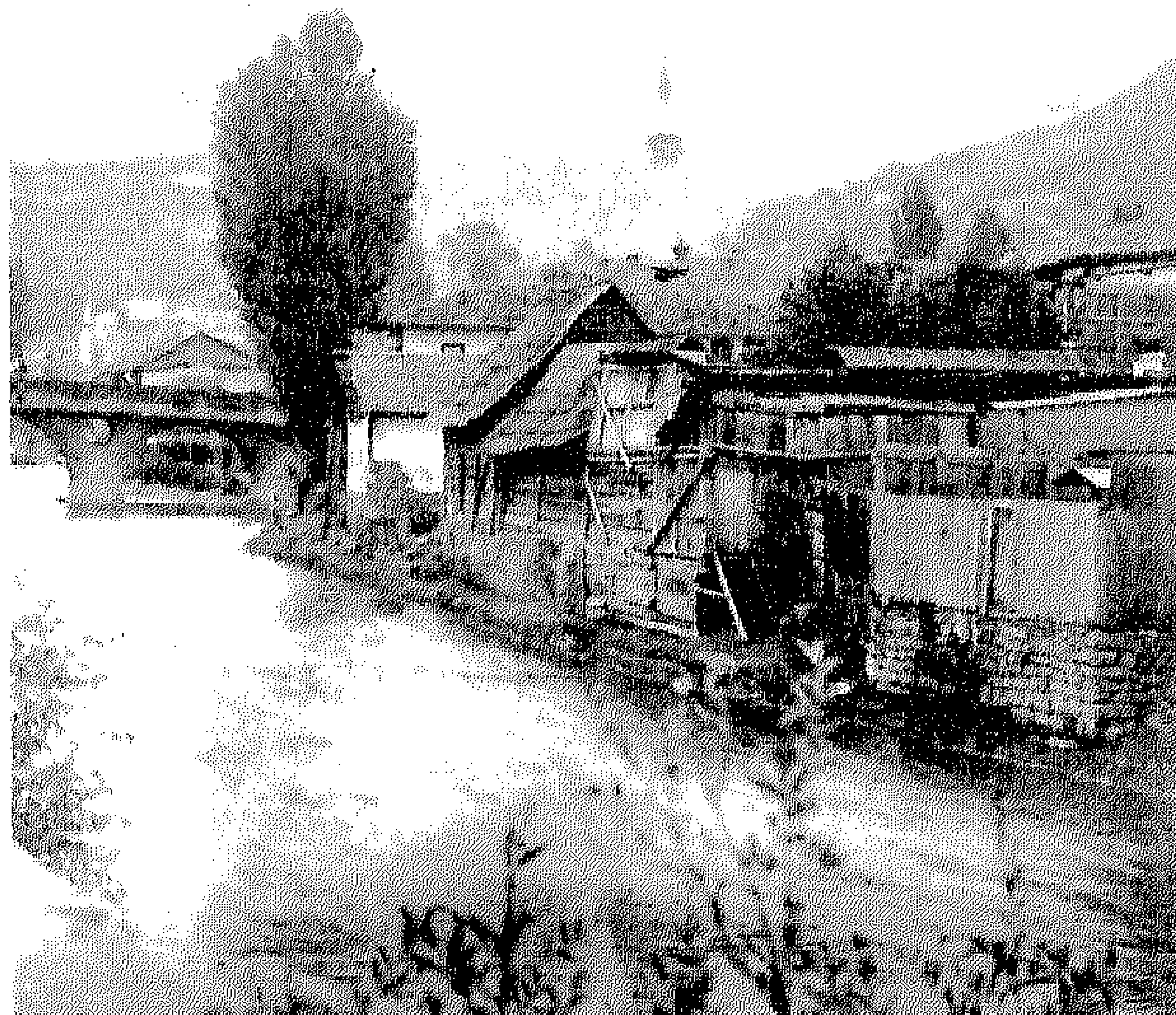
٩٧ بلاؤو د. باول المرجع السابق ص ٨٩

٩٨ م. شيميتش : المسافرون الفرنسيون في البوسنة ص ٥٧١

مكان للجلوس حيث يجلس سكان البيت في الهواء الطلق ويتمتعون بالطبيعة ، وهناك حديقة خلف البيت لا تملك عين غريبة عن الأسرة الاطلاع عليها ، وبهذا تم الجمع بين الإقامة في البيوت والتمتع بالطبيعة في آن واحد رغم حياة تبدو منغلقة ودون التكشف .



٢,١ حارة



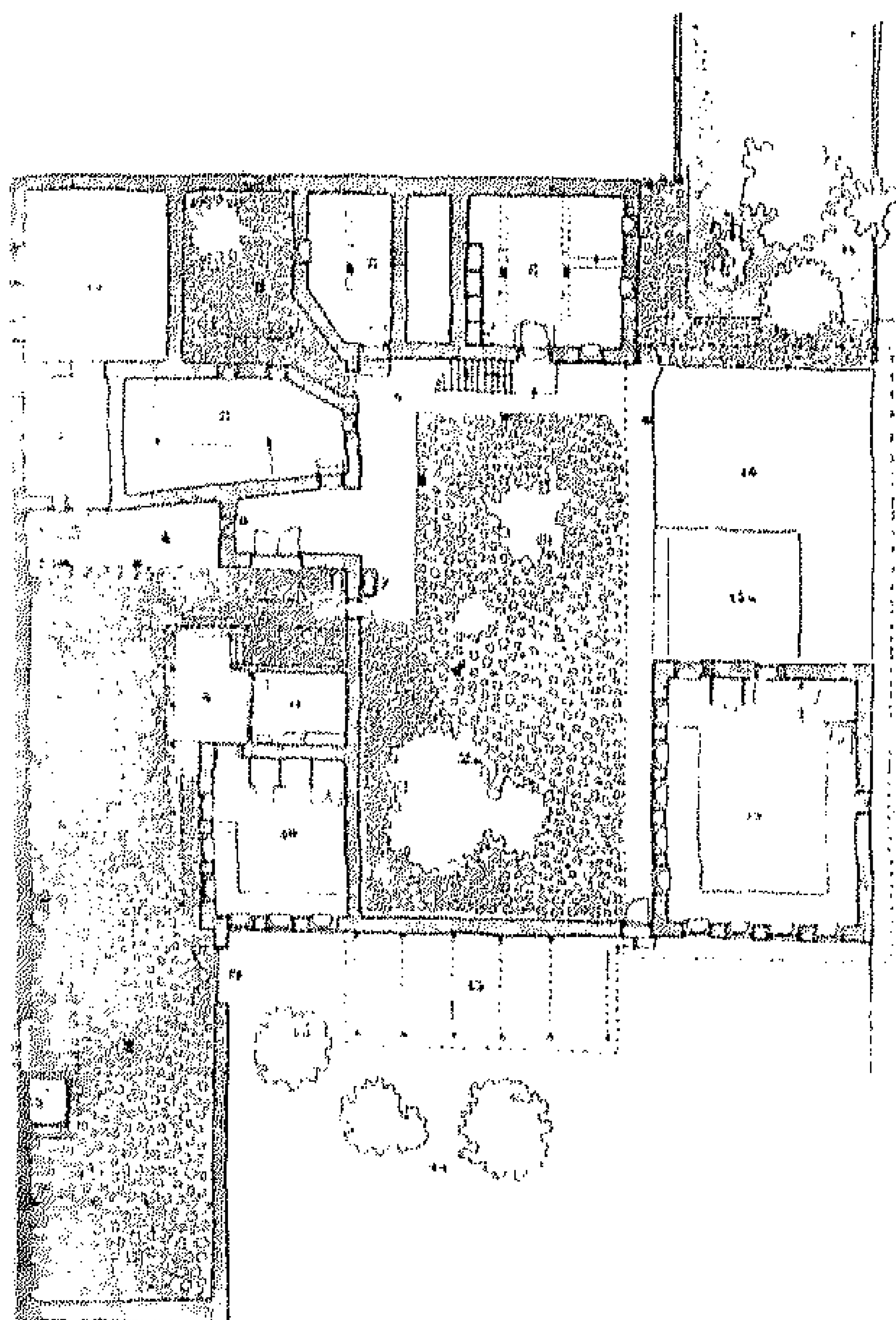
٢,٢ لاتينلوك حارة كان يسكنها النصارى

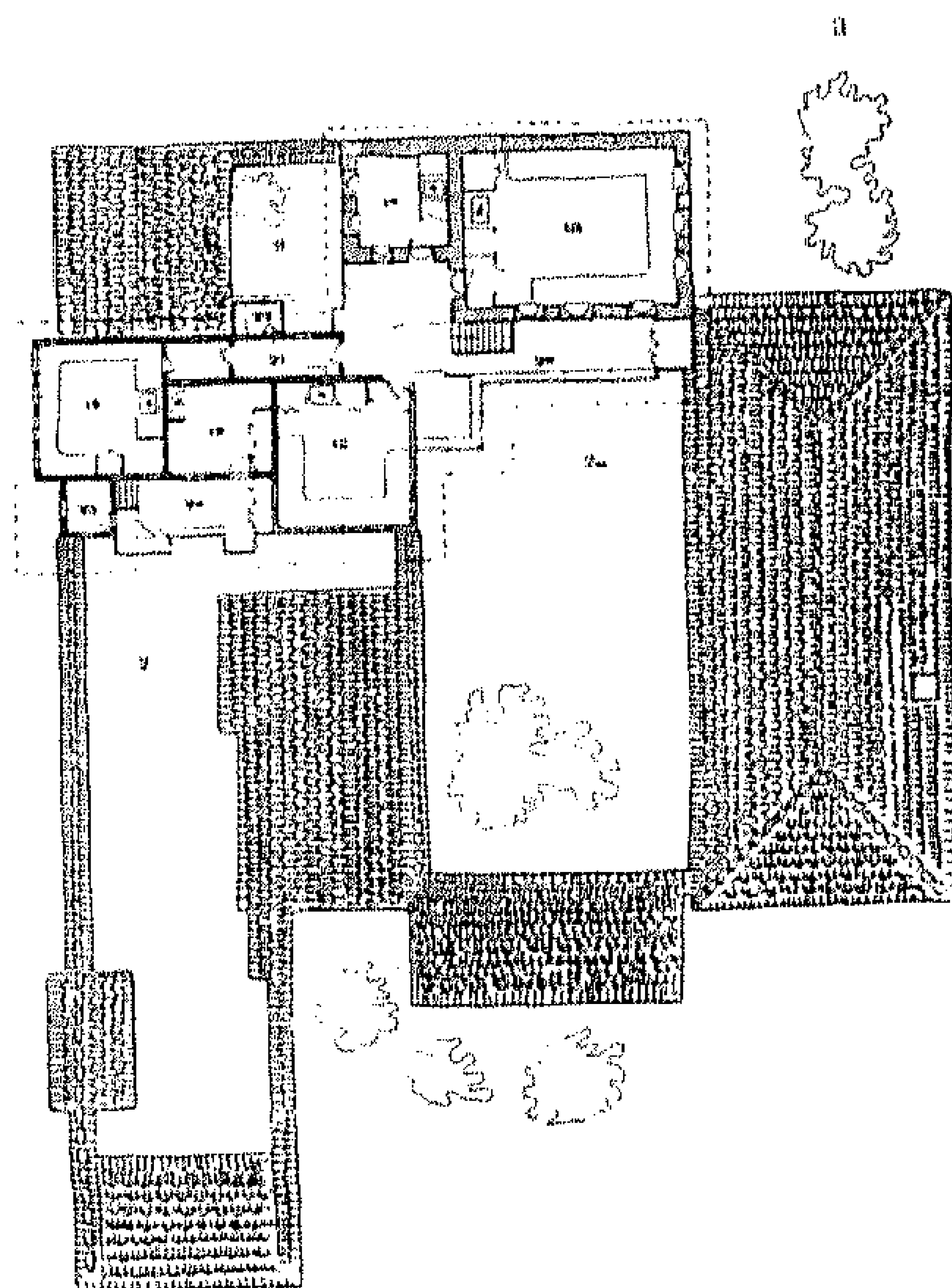


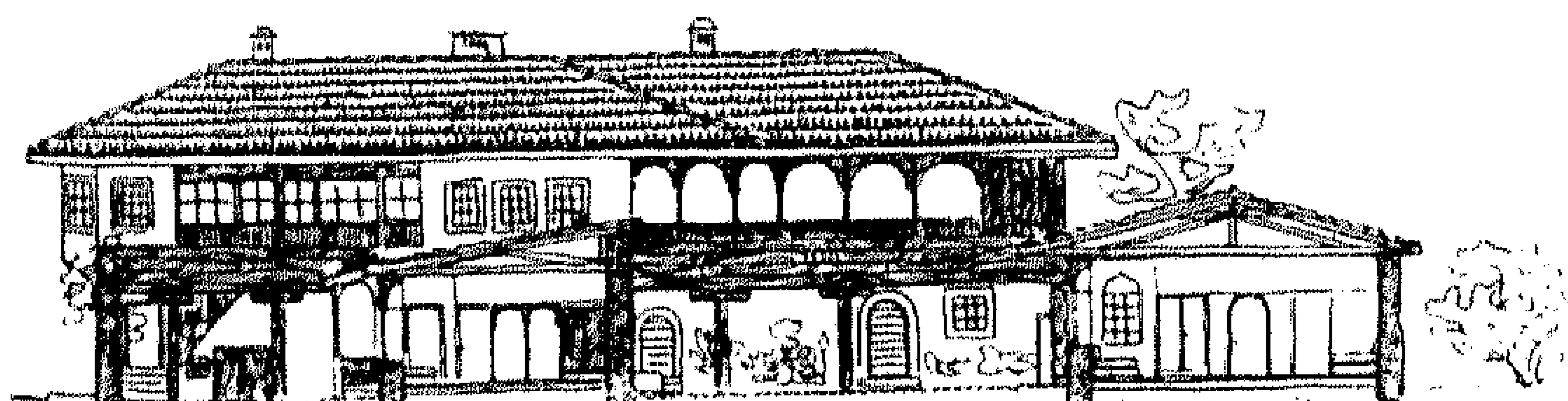
٢,٣ بيت أسرة أوتشاكتوم بحائطه الكبير والجدار الخشبي حتى تكون الأسرة محمية عن الأنظار غير المرغوب فيها من الخارج



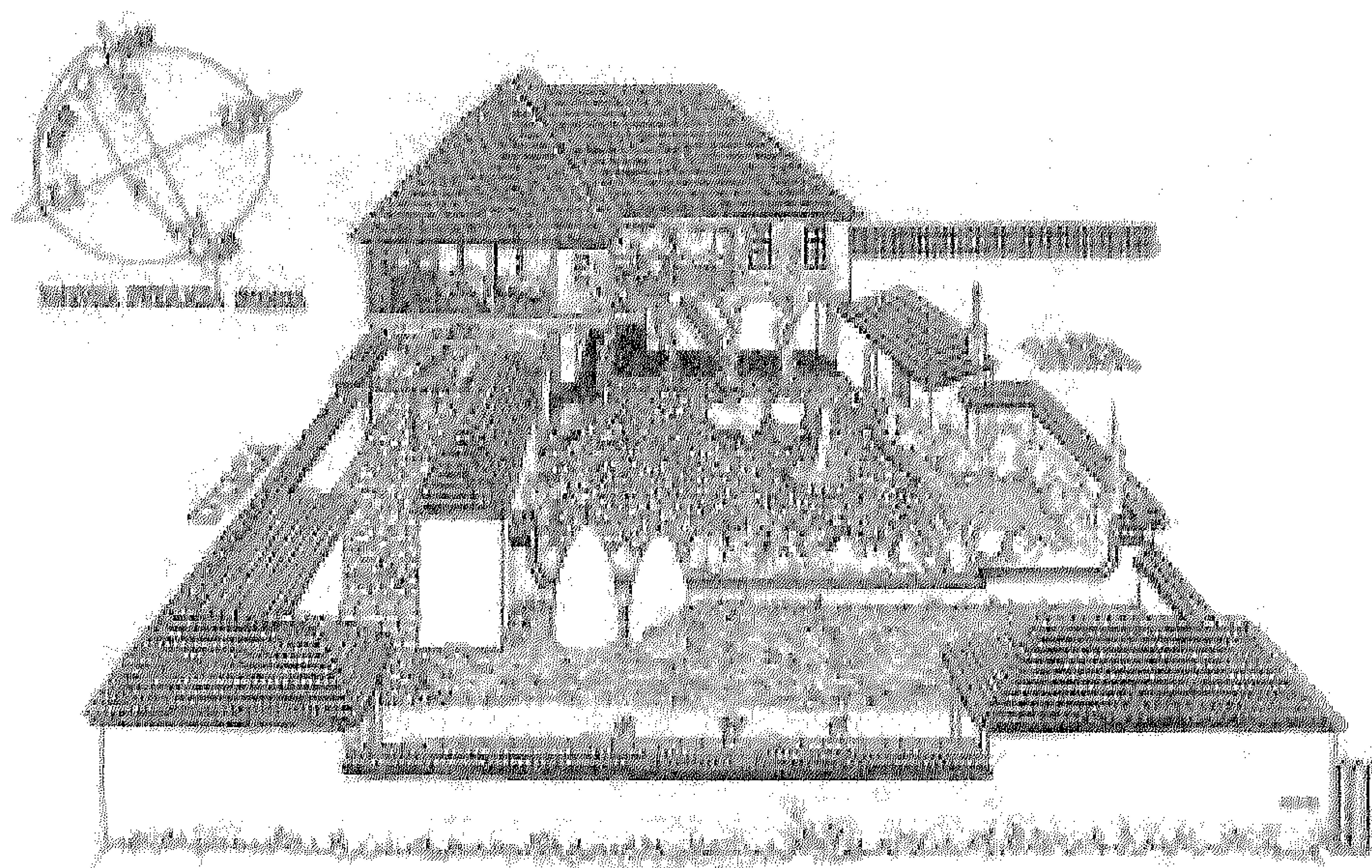
٢,٤ باحة منزل سفرزو ـ عائلة ثرية من سراييفو



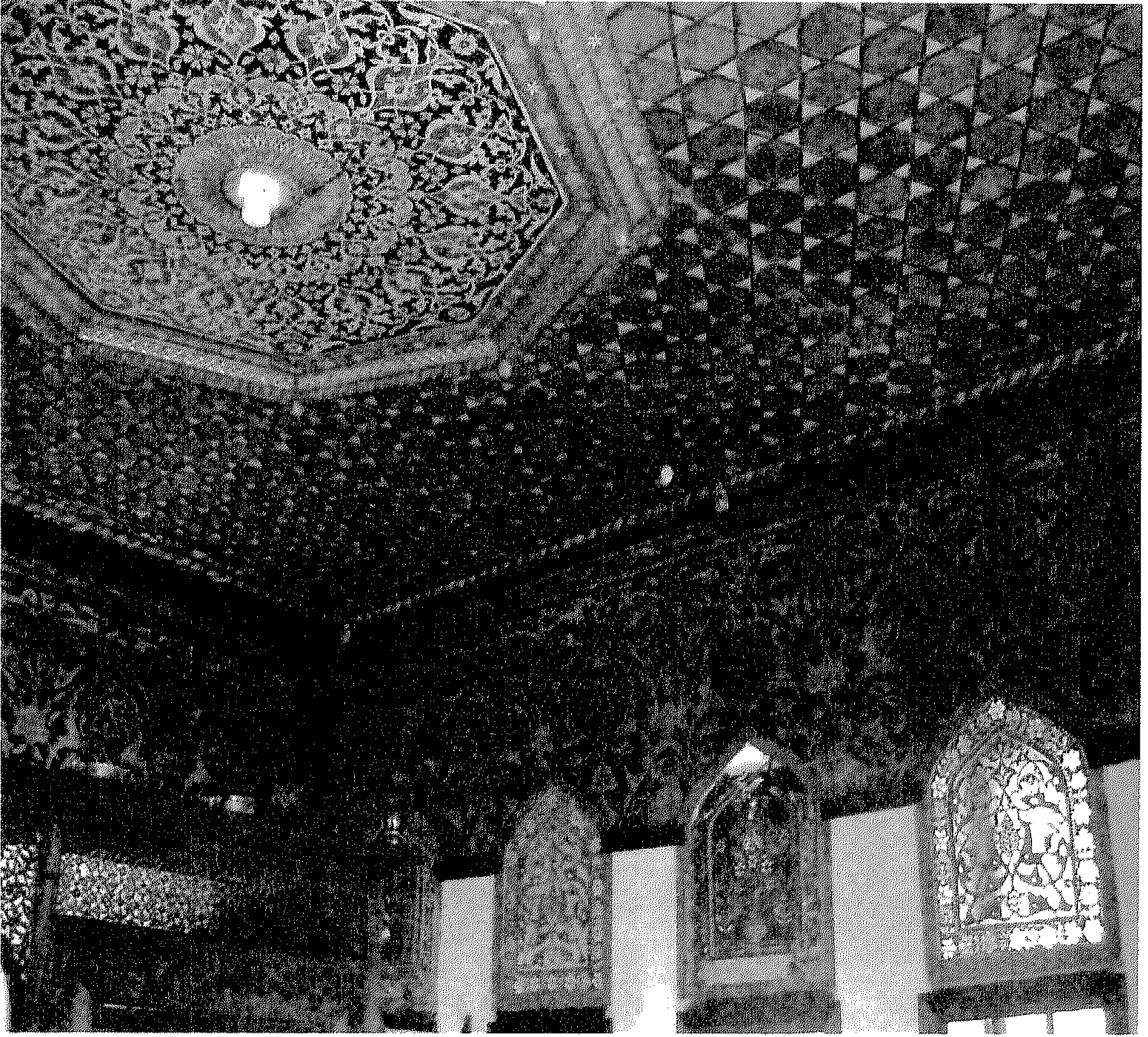




٢,٥ تخطيط منزل سفرزو



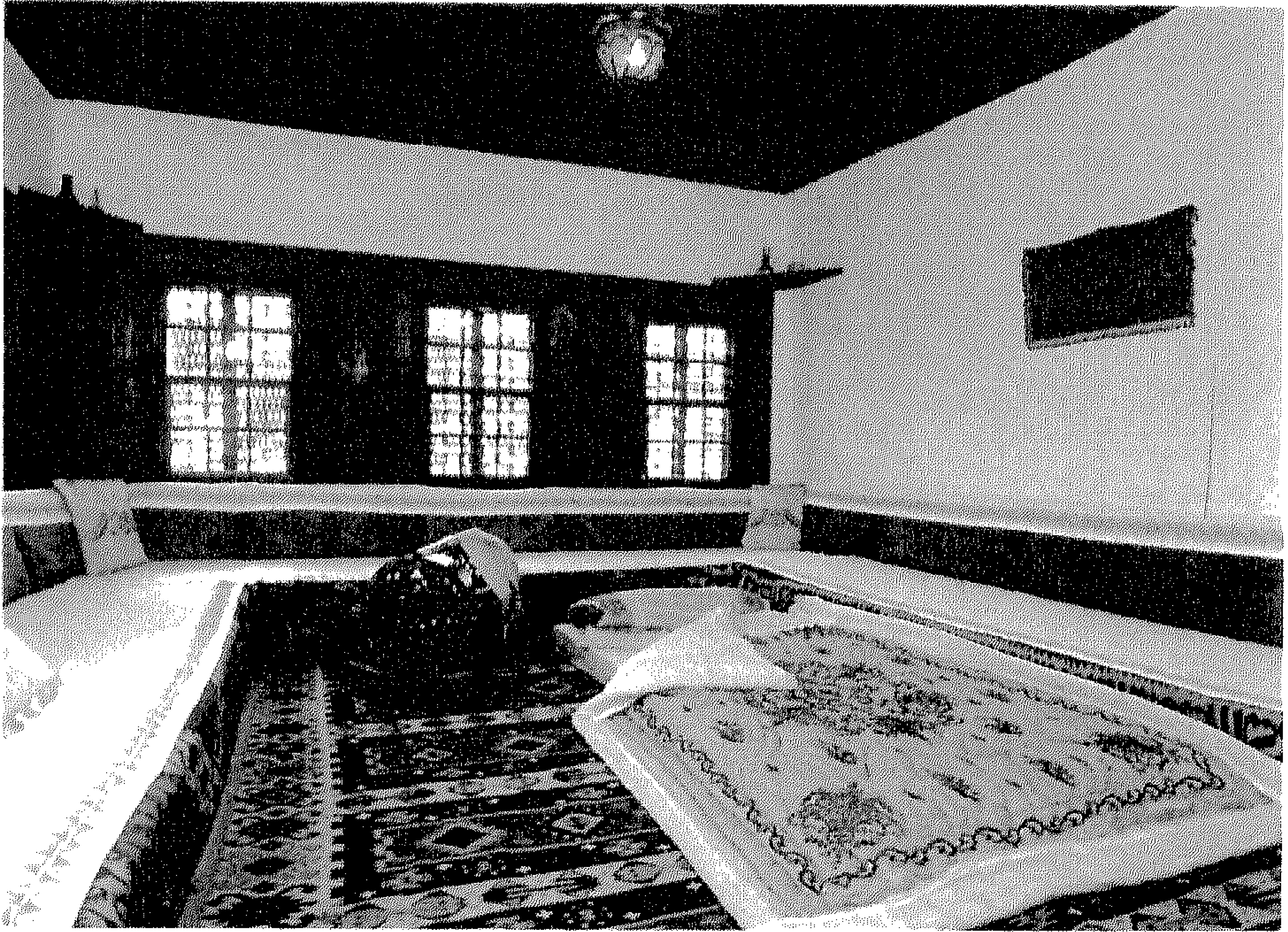
٢,٦ تخطيط منزل عادي



٢,٧ سقف مزخرف في بيوت الأغنياء



٢,٨ المرآة للزينة تم استيرادها من البندقية غالباً ما كانت متواجدة في بيوت أشراف القوم (بكوات)



٢,٩ الوسادة للنوم والمهد

III

الأســـــــــــرة

تشكل الشرائع الدينية والتقاليد والعادات قاعدة أساسية لتكوين الأسرة والحياة فيها وتعمل على تيسير أمورها من التمزق المحتمل .

الأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع وهي طبيعة أصيلة متجذرة في النشاط الإنساني تحكمها روابط هي بدورها تشكل قاعدة طبيعية لبقية العلاقات في المجتمع وتتمثل تلك الروابط في العلاقات الجدلية ـ غير المتساوية أحياناً ـ بين الجنسين وغير المنسجمة أحياناً أخرى بين الأجيال إضافة لعلاقات الهيمنة على أساس القوامة [٩٩] ، وبغض النظر فإن الأسرة تعتبر مصدر واصل الاسم والدم والقيمة المادية والمعنوية التي تتوارث وتخلف لاحقاً.

للشرائع الدينية تأثير كبير على الأسرة ودورها في المجتمع، فالجمعيات الدينية تريد إقامة مجتمع تسوده العفة لذلك ترتكز أنظمة الدين على تقوية وتطوير الأسرة[١٠٠]، وتكرس كل ما من شأنه أن يحمي الأسرة من الوقوع في المحرمات وبشكل صارم تحذر من خطر الانحراف في الحياة الجنسية خارج إطار الزواج وتمنع الزنا بشكل عام .

للأسرة أهمية كبرى في منظور الشرائع الدينية فهي التي تعني بالحفاظ على المجتمع بأسره فمكانة الأسرة ودورها يؤثر على بقاء الحياة الفاضلة في الواقع والمحيط.

تعطي المجتمعات الغربية الأسرة إلى حد ما أهمية متساوية للتقدير المشار إليه ، فبعد الثورة الفرنسية التي حاولت تغيير الأمور حتى في هذا المجال من الحياة توصل ميشيل بيرو إلى استنتاج يقضي بأن العادات غلبت القوانين [١٠١] ويدعم استنتاجه هذا بأن كلام الفلاسفة أو السياسيين على تنوع اتجاهاتهم سواء ليبراليين أو محافظين أو شيوعيين لا يختلف في اعتبار أن الأسرة قاعدة أخلاق ونظام مجتمع وبها تكون الدولة مستقرة ومتقدمة [١٠٢] .

---

٩٩ وفقاً لقول أوغست كونت : الوحدة الأصيلة للمجتمع هي الأسرة لأنها حالة طبيعية لنشاط الإنسان وتحكمها روابط هي قاعدة أساسية لبقية العلاقات الاجتماعية انظر http://hr.wikipedia.org/wiki/Povijest_sociologije

١٠٠ جميع الشرائع المنزلة لها موقف موحد تجاه الأسرة

١٠١ فيليب أرييس وجورج ديبي : تاريخ الحياة الخاصة ٤ ص ١٧

١٠٢ المرجع السابق : ص ١٧ ـ ٢٨

تقوم الأسرة على الزوجين وتبدأ نشأتها بعقد القران ـ الزواج ـ[103] ،وتعتمد حياة الأسرة سواء الخاصة أوالعامة على ترتيب قواعد مختلفة الدقة بزيادة أو نقصان تترابط إلى حد ما بالشرائع الدينية ومع التقاليد المحلية التي تعيش الأسرة وفقها في سراييفو وولاية البوسنة والهرسك وفي الدولة العثمانية عموماً ، وبجانب الشرائع الدينية كانت العادات ملزمة في حياة الأسرة ، فالعادات بحد ذاتها خزانة ثمينة لفهم الأخلاقيات والنظم القانونية لحقبة زمنية معينة ومكان معين واعتبرت حكيمة وصالحة لذلك غلبت حتى على أحكام الشرائع وسيرت حياة المجتمع وعلاقة الفرد تجاهه وتجاه بقية الناس فيه[104] ».

مكونات الأسرة (الأسرة وعناصرها)

خلال حديثنا عن الأسرة ومكوناتها لا بد من أن نوضح أن المفهوم الضيق للأسرة وهي الأسرة المكونة من الأبوين والأولاد ، وباعتبار أن العلاقة داخل الأسرة جزء من الحياة التقليدية يمكننا إبراز نوعين من العلاقات الأسرية ، الأول منها يدور حول العلاقة بين الأبوين والأولاد ويمتد إلى فروع العائلة الأوسع مع الأخذ بعين الاعتبار نوع تلك الأسرة وطريقة سكنها وما يعترض بعض أفرادها من ترحال وغربة تنعكس على الحياة الاجتماعية لها، أما النوع الثاني فهو شبيه للمشار إليه من علاقات الأسرة الصغيرة التي تتسع لتشمل العائلة الكبيرة ولكن مع إضافة الخدم الذين كانوا يعتبرون في تلك الحقبة جزءاً من الأسرة في الشرق والغرب وتقبلهم أفراد الأسرة بمجرد تواجدهم على أنهم جزء منها ويعتبروا جزء مهم منها، ولكن باعتبارهم لا يتمتعون بحقوق كبيرة وأحياناً لا يلتزمون بالواجبات تجاه الأسرة ويقومون بخدمة الأسرة بكامل حريتهم لا يمكن اعتبارهم فرداً أساسياً من الأسرة لذلك لن نخضعهم بالذكر هنا[105] .

---

١٠٣ راجع صفحة٨٥ ـ ٤٨ في الكتاب لمزيد من المعلومات عن النكاح

١٠٤ العادة لها قوة القانون هذا هو المراد خاصة كانت العادة أم عامة ولها الاعتبار عند الحكم ، العادة محكمة إذا كانت ثابتة وعامة ، مجلة الأحكام ـ القانون المدني العصماني ١٤،٦٣ قارن أورام بينيتو ، يهود سراييفو والبوسنة والهرسك سراييفو ٧٨٩١ ص ٤٣

١٠٥ بيوت أغنياء المسلمين كانت لديهم صبية تنشأ عندهم من الصغر وتساعدهم في أعمال المنزل ، يمكنها أن تعد فرداً من أفراد الأسرة ولكن الأمر نادراً لذلك لا يذكر ذلك في الوثائق . في سراييفو في تلك الحقبة الزمنية كثر وجود الشبان ليعينوا أصحاب المحلات والدكاكين في الأعمال الجسدية ولكن لهم الحرية في اختيار من يعملون عنده ويدل عليه حالة عند تاناسوفيتش الذي يخبر صاحب العمل أنه تركه وانتقل للعمل عند أسرة يفتانوفيتش. أرشيف مدينة سراييفو مجموعة أسرة يفتانوفيتش صندوق رقم ١

اعتبر المجتمع الشخص الذي لا يقدر على تأسيس أسرة شقياً وسيئ الحظ بل شكل عبئاً على المجتمع بأسره لأن حالته هذه تكون عرضة للرذائل وحياته في مجتمع تقليدي ليست لها قيمة حقيقية [١٠٦] .

يتبلور شكل الأسرة من خلال طبيعة الأفراد الذين يشكلونها ويعيشون في منزل يتقاسمون فيه المساحة الخاصة بالحياة والأموال للمعيشة والأفراح والأتراح .

يقوم المجتمع التقليدي في حقيقته على سلطة رأس الأسرة ألا وهو الأب أو الجد أو الأخ ، وفي جميع الأسر يهتم الفرد الأكبر سناً من الذكور بكل احتياجاتها[١٠٧] وبذلك تكون الهيمنة المطلقة في الأسرة بغض النظر عن كبرها أو صغرها للرجل فهو من يقودها ويحكمها ويوجهها لكل ما فيه خيرها ومصلحتها ومن صميم واجباته الحفاظ على استقرارها الاقتصادي ،

الأسرة النموذجية في سراييفو غالباً ما كانت بمفهوم الأسرة الموسعة التي يدخل فيها الجد والجدة والأعمام والعمات والأخوال والخالات حيث يسكنون تحت سقف بيت واحد.

ولمعرفة تشكيلة الأسر اعتمدنا على ما ورد في المصادر من بيانات أهمها قائمة السكان من سنة ١٨٦٧م حيث تم إدراج جميع الساكنين في البيوت ، ومن مجموع ١١٧ أسرة في حي علي باشا كان ثمانون منها يعيشون في أسر مكونة من الأبوين والأولاد وليس بينهم أولاد كبار بلغوا سن الزواج وبعضها كان يعيش مع الإبن الأكبر أو البنت الكبرى فيجب أن نحتاط في اعتبار هذا العدد ، ومن مجموع ١١٧ أسرة سبع وعشرون أسرة موسعة ، ولا ينبغي أن نتغافل عن حقيقة أن القائمة لا تضم عدداً كبيراً ممن يبلغ أكثر من ستين عاماً ، وبحسب ما ورد في قائمة الضمان المتبادل لسكان سراييفو من سنة ١٨٤١م في منزل رقم ٧ عاش تراكشيا ملا أحمد ابن حسن آغا وله ابن وحيد صالح ، وفي قائمة الحارات من سنة ١٨٦٧م نرى أن صالح ورث ليس فقط أموال أبيه وإنما لقبه أيضاً «ملا صالح» وعاش مع حرمه فاطمة وإبنه أحمد ولم يرد ذكر الأب والأم عليها[١٠٨] ، وما نستنتجه هو أنهما توفيا وأن صالح آغا لم يكن يتقاسم البيت مع أحد .

---

١٠٦ الدكتور عاطف بوصفية والدكتورة عائشة سماعيلبيغوفيتش ـ حاجي خليلوفيتش عن المؤلف في العلاقة الحميمة من مكتبة غازي خسرو بيك ـ مجلة المكتبة ٢ ـ ٣ ص ٣٥١ ـ ٤٥١

١٠٧ يوهان : المرجع السابق ص ٥٢٢

١٠٨ ملا محمد مستفيتسا ، قائمة الضمان المتبادل ص ٩٥ ، علي بيتيتش : حارة علي باشا ص ٨٣

الأسرة الموسعة التي أشرنا لها كانت تتكون من الأبوين إن كانا على قيد الحياة والإخوة وزوجاتهم ، وهذه الظاهرة كان لها استثناء لأن هناك أيضاً أسرة تتكون من الأبوين مع بناتهما وصهرهما في بيت واحد[109] ، فقد سكن ملا عثمان ابن إسماعيل مع زوجته وثلاث بنات لهما وسكن معهم صهرهما ، ويمكننا الافتراض أنه كان بمثابة ابنهما لأنه لم يولد له ولد ذكر فينوب عنه زوج البنت الكبرى ، ولكن ثمة أسباب مختلفة تماماً في حالة سليم بن حسن الذي تزوج بـ باشانا كبرى بنات عبدي ، وبعد أن توفي عبدي قبل سليم ـ إضافة إلى زوجته ـ أن تعيش معه أمها وأختها وأخوها الصغير وهو يومئذ لا يزال طالباً ، وفي هذه الحالة يمكننا أن نستنتج أن المرحوم عبدي لم يترك لأسرته بيتاً يؤويهم فعرض الصهر عليهم أن يسكنوا معه ليحل مشكلتهم[110] .

في بعض الحالات وعند وفاة الزوج كانت الأم تتزوج وتصطحب معها أولادها ليكونوا ربائب الزوج الجديد ، ووضع الربيب يختلف عن المتبنى الذي أشرنا له سابقاً في حارة علي باشا وذلك لدى أسرتين من أسر الحارة ، فالأولى هي حالة محمد آغا وزواجه من أم هانئ حيث ساكنه ربيبه محمد وعمره أربعة أو خمسة أعوام إضافة إلى فاطمة المتبناة وهي أخت أم هانئ وتبلغ خمسة وعشرين أو ستة وعشرين عاماً وهي في سن الزواج ، وبما أن محمد آغا وفاطمة لا تربطهما صلة قرابة حتى يكون محرماً لها فإن عملية التبني في مثل هذا السن لم تكن إلا لاعتبارات خاصة جداً، أما الحالة الثانية فهي مختلفة عما سبق ، فقد تبنى شورشيتش علي فتاة اسمها فاطمة وليست لدينا معلومات أنها من قرابته ولكن باعتبار أنه لم يكن له أولاد قد يكون ذلك سبباً في تبنيها .

والمثال الوحيد لبيت على رأسه امرأة هو بيت تحت رقم ١٨ لأرملة لها أولاد لها واسمها سنجاقتاريفيتش حنيفة ولها أخ اسمه صالح توفي قبلها فعاشت هي مع زوجة صالح وثلاثة من أبنائه أحدهم متزوج ويبلغ ستة وثلاثين عاماً من عمره [111].

مما سبق نرى أن الأسرة مؤسسة معقدة التركيب وثمة قاعدة غير مكتوبة ولكنها محترمة من قبل الجميع وهي أن الإبن الأكبر حتى بعد الزواج يبقى في داخل الأسرة ولم ينفصل عن الأسرة ويستقل ببيت إلا إذا تطلب ذلك طبيعة عمله أي اضطر ليعمل خارج المكان الأصلي لأسرته وكان ذلك نادراً جداً .

---

١٠٩ علي بيتيتش ، حارة علي باساص ٧٣

١١٠ المرجع السابق ص ٨٣

١١١ المرجع السابق ص ٢١١

كما قد تكون الأسرة موسعة بشكل يتألف من أسرتين ولكنها لم تكن كبيرة وهذا غريب نوعاً ما ، ووفقاً لحسابات غوستاف تمل وهو المبعوث الدبلوماسي النمساوي (القنصل) سنة ١٨٦٥ م كان البيت في سراييفو عادة يسكنه سبعة أفراد غير أنا توصلنا عن طريق تحليل قوائم السكان أن الأسرة المتوسطة كانت تضم ما بين ثلاثة إلى خمسة أفراد [١١٢] ، وهذا يعني أنها كانت أقل عدداً من بقية أسر الدولة العثمانية والتي متوسط عدد أفراد الأسرة فيها من أربعة إلى سبعة أفراد[١١٣].

عدد أفراد الأسرة يتوقف على عدد الأولاد فيها ، الأسر الصغيرة هي ميزة المدن وخاصة سراييفو حيث مركز التجارة والحرافة ويصعب إيجاد العمل فيها بينما كانت القرى بحاجة إلى القوى العاملة واعتمدت على قوة الأسرة وعددها بشكل خاص .

العلاقات الأسرية

العلاقات في الأسرة هي الانعكاسات لمفاهيم المجتمع بحقوقه وواجباته وطريقة الحياة نفسها وتتباين بين الرجال والنساء ، فالفارق الجنسي ينعكس على نوعية واجباتهم وحقوقهم في الحياة ، واجب الرجل هو الإنفاق على الأسرة كما تدل على ذلك وثائق عديدة ، وكان يجلب حاجيات البيت وتورد المصادر أنه لم يسجل من قديم الزمان أن المرأة دخلت السوق لشراء ما تحتاج إليه لغذاء أو عشاء الأسرة ، فالبيت كان مزوداً دائماً بالدقيق والدهن والبيض واللحم المجفف والبطاطس والأرز والفاصوليا والملفوف والأشياء الأخرى ، صاحب البيت يؤمن هذا في فصل الخريف ويزود البيت بكمية كافية من الحطب ويضعها في باحة البيت حتى لا يحتاجوا إلى شيئ أثناء الشتاء[١١٤] ، إذاً من واجبات صاحب البيت وهو الرجل تزويد أهل البيت بالحاجيات الأساسية دائماً ، وإذا كان مسافراً يبعث بالمبلغ المطلوب للانفاق على الأسرة مثل ما فعله بتاركاريتش الذي غاب عن سراييفو وأسرته للعمل فكان يبعث لزوجته المدعوة ماسا دينار ذهب (المسمى دوكات) وفرينتا وخمس للنفقة [١١٥].

وخلافاً للزوج كانت واجبات الزوجة هي رعاية البيت والاهتمام بالأولاد ، وبعد الزواج وإنجاب الأولاد كان الوقت الخاص بالمرأة يمضي على نسق واحد حتى الوفاة وهو تربية أولادها والاهتمام بشئونهم ولا يقطع هذا الروتين إلا الاحتفالات الموسمية .

---

١١٢ جورج بيبانوفيتش : سكان البوسنة والهرسك ص ٤٣

١١٣ تاريخ الدولة العثمانية والحضارة : أ . إحسان أغلو سراييفو ٢٠٠٤ ص ٧٥٦

١١٤ أندرييا طوليير : من المهد إلى اللحد عادات الكروات الكاثوليك في سراييفو ص ٨٧١

١١٥ أرشيف البوسنة والهرسك أ غ ك ر ٦٦/٦٧٥

ووردت في السجلات معلومات عن الحياة الزوجية في رسائل خاصة ولكنها نادرة جداً ، ولم تكن الحياة المنفصلة كثيرة الوقوع وإن حدث ذلك غالباً ما يكون من أجل التجارة أو لأسباب صحية وحينه تكون الرسائل وسيلة وحيدة للتواصل بين الزوجين ، ورغم وجود عدد كبير من الرسائل الخاصة في الأراشيف إلا أن المراسلة بين الزوجين كانت نادرة ، ومن الرسائل الفريدة من هذا النوع رسالة يوكا ح. ريستيتش لزوجها فاسو حيث راسلته من بلغراد وتكتب في مطلع رسالتها : «زوجي العزيز فاسو ـ وهي تخاطبه بهذه الصيغة ولا تفرد كلمة الزوج دون كلمة عزيز ـ وتتبعها بالحبيب .. وهذا تعبير لها عن محبتها له ، ونبرة الرسالة غاية في اللطف وتغلب عليها الشفقة والنصيحة له فتقول: «احفظ صحتك فإني أقضي نهاري وليلي وهمومي وتفكيري فيك [116] »، هذه الأسطر القليلة كتبت بغاية الإخلاص تعبر عن صورة علاقتها المبنية على الاحترام والمحبة وتعبر عن الاهتمام المتبادل مما يدل على الطهر في العلاقة والعفة في الحياة ، ولم تكن المحبة شيئاً يعبر عنه في العلانية، والاحترام المصرح به كان من الصيغ المقبولة بها في هذا الصدد .

خلافاً ليوكا هناك شخص اسمه ماركو لا يخفي مشاعره تجاه زوجته ميليتسا فيكتب إليها قائلاً : «روحي الطيبة ورفيقتي الوفية... ويتابع أرى أمام نهر ميلياتسكا ولها زفير وشهيق تدرك الحبال السائقة والتلال ولكن يقصر نظري لأنك يا عزيزتي لست إلى جانبي»[117] .

من المثير للاهتمام أن الأزواج لا يصرحون بأسماء بعضهم البعض في الحياة العامة ، ويدل على ذلك ما ورد في المصادر لدى زيارة فوتشكوفيتش وزوجته إلى الحلاق لقلع سنها حيث كان الحلاق يقوم بعمله فخاطب زوجها ومدح زوجته وقال إنها لم تلفظ بكلمة واحدة رغم الوجع الكبير كما يفعلن بقية النساء فقال : من الواضح أن أهلك ليست من هنا ، يعني أنها كانت تتحمل الوجع بشجاعة[118] ، هذا يدل على أن أسماء النساء لم يكن يصرح بها ، إلا أن قائمة السكان لعام ١٨٦٧م ذكر بها اسم امرأة ولأول مرة ، وإذا كانت أرملة يكتب أحياناً اسم زوجها المتوفى عنها كما جاء في ذكر عفيفة زوجة طوبال محمد لأنها كانت مؤجرة للعقار وتحاشياً للبس وضع اسم الزوج المتوفى إلى جانب اسم أبيها [119] ، كما لا يذكر اسم الزوجة في الرسائل كما ورد في رسالة ينوحي حيث : يرحب بجميع أبنائه وزوجته[120] ، لم نجد أن المرأة في الوثائق تسمى باسم زوجها على سبيل المثال زوجة عاصم بيك أو زوجة حسن بيك ، ومن تقاليد البلاد الشرقية هي تسمية الزوجة باسم ابنها

---

١١٦ إ آ س آ، ز هـ، الرسائل الخاصة صندوق رقم ١

١١٧ إ آ س آ مجموعةفاريا وثيقة رقم ٣٢١

١١٨ غورو فوتشكوفيتش : هروبي إلى الحرية أو مرآة العدالة في البوسنة ، نوفي ساد ١٧٨١ ص ٦١

١١٩ علي بيتيتش حارة علي باشا ص ٥٠

١٢٠ آ س آ، ز هـ، الرسائل الخاصة صندوق رقم ١

الأكبر فتخسر اسمها وتكون أم مصطفى أو مهما كان اسم الابن تكتني به"[١٢١] .

وردت إلينا أخبار كثيرة من قبل الرحالة حول العلاقة بين الزوجين وتتفق الأخبار على ما يلي : الزوجة محترمة وعفيفة ، مجتهدة وتهتم بالبيت ، كرست نفسها لزوجها وأولادها وهي سيدة البيت بلا منازع "[١٢٢] ما يدل دلالة واضحة أن الأمور كانت تجري على هذا النحو هي معلومة سطرت مفادها أنه بعد وفاة ريستو حاج ريستيتش لم تتغير الأمور في بيته فحرمه وأرملته ماري وهي ذكية فطنة مجتهدة طويلة الصمت احترمها وأطاعها الأولاد"[١٢٣] .

ونادراً ما تذكر المرأة حتى لدى إنجابها للولد، ورغم كونها الفاعلة فلا يرد ذكر اسمها وإنما يذكر أن فلاناً رزق بالولد ذلك اليوم، حتى باشيسكيا الذي يصف وصفاً حياً لجميع الأحداث المتعلقة بالنساء في دفتر الصيف يذكر عن ولادة بنته : «في شهر رجب ٢٤/٧/٢٤ ـ ١٧٧٨/٨ بشهر واحد قبل أغسطس لما طلعت الشمس على الدرجة ١٢ من برج الأسد وذلك ليلة الثلاثاء الساعة الثالثة والنصف ولدت ابنة أسميتها مريم أو بإسم آخر نوريا في حارة معمار سنان "[١٢٤] «، ولا يذكر زوجته البتة .

هناك مشاعر أقوى لدى وفاة أحد الزوجين ومثالها أبيات شعر بمناسبة وفاة ليلى زوجة الشيخ سري يقول فيها : «لقد رماني قدري إلى نيران الفراق فياليت شعري ماذا بإمكاني أن أفعل"[١٢٥] «، عبرت هذه الأبيات عن المحبة والاحترام المتبادل بين الزوجين وإضافة إلى ذلك دلت دلالة قوية على التعاون المتبادل، غير أن ميري سافيتش لم تنشد أبياتاً فيها رومانسية حين تخبر ميري سافيتش أخاها بوفاة زوجها فتقول : لا يطيب للإنسان أن يواسي نفسه بعد فقدان رفيق العمر من أمثاله ، تكتب هذا لأخيها وتقول أيضاً : «هو من كان في حياتي ومن سأحزن عليه وأبكي عليه ما حييت» ، كان الموت هو السبب الرئيسي للتفريق بين الزوجين"[١٢٦].

كما رأينا فإن تقبل وفاة الزوج رافقته آلام الفراق ولكن يندر أن لا يتزوج الأرامل أو أن لا تتزوج الأرملة بعد فترة ، وهناك أمثلة تثبت وقوع هذا الأمر ، نذكر مثالاً واحداً باعتباره معلومة وردت في ذكريات دينيزية مارينكوفيتش يذكر أنه تزوج للمرة الثانية في خريف تلك السنة ،

---

١٢١ تسمية الزوجة باسم أو بلقب أو مرتبة زوجها يكثر في الشعر

١٢٢ هنريك رند المرجع السابق ص ١٧ ـ ٥٨

١٢٣ فلاديسلاف سكاريتش : نمو أسرة تجارية في سراييفو ص ٠٥

١٢٤ ملا مصطفى باشيسكي المرجع السابق ص ٣٢٢

١٢٥ مصطفى ياهيتش : مخطوطات الشيخ يويو في مكتبة غازي خسرو بيك ، مجلة المكتبة ١١ ـ ٢١سراييفو ٥٨٩١م ص ٤٥

١٢٦ أ س آ، ز هـ، الرسائل الخاصة صندوق رقم ١أ

نفهم من هذا أن الزواج بعد وفاة الزوجة كان أمراً طبيعياً لأن مارينكوفيتش يذكر هذا عرضاً دون اهتمام كبير منه[127] ، ويستثنى من هذا الأرامل ذوات الأولاد الكبار اللائي اعتنين بحاجيات أمهاتهن ، كما كان الطلاق جائزاً ولكنه نادر الوقوع[128].

ومن المثير للاهتمام أن ننظر إلى نشأة الأساطير حول المرأة القديسة وكيف يجب أن تكون إذا أرادت أن تكون صالحة ومعصومة ،وفي هذا السياق تحديداً استعملت أسطورة «جول باجة» وكانت مشهورة جداً في سراييفو وقتها ، «جول باجة» هي زوجة سكير حصلت على رتبة الولاية بصبرها عليه ، فكان يأتيها متأخراً في الليل فتعد له العشاء وتجهز له العصا مع الخرقة أسفلها حتى لا يؤذي يده عندما يضربها وكل ذلك حتى لا يؤذي جيرانهم بالصراخ [129] ، وبهذه الطريقة تم استعمال أسطورتها لهيمنة الرجال على النساء ، كما جرى أيضاً عكس ذلك كما تدل قصة يقول عنها غرغا ماريتش أنها جديرة بالذكر [130] ، مثاله كان غوستاف غالو من فيينا الذي أسلم وسمى نفسه ولي بيك وعلاقته بزوجته موضوع رواية غرغا بكاملها حيث يروي : «شاءت الأقدار أن يكون حظه سيئاً فيصحب امرأة بلغارية في رومليا واسمها منداليا أغوري ، وصحبته إلى سراييفو ولم يكن باستطاعته أن يتزوج بها لأن اسمه بالتركي يعني وال بيك ، زوجه بها القاضي ولكن المعاناة استمرت ونغصت حياته وجعلتها أقصر ورافق ذلك حزن عميق لأسرته بأسرها ، والده كان قائماً على مكتبة أسترهازيوي بيناكوتكا وقد تقدم به وبزوجته السن لدى زيارتهما له قبيل وفاتهما ،.. كنت قساً في نوفي شهر ما بين ١٨٦٠ ـ ١٨٦٣م فكتب لي أن أستضيفهما لبيتا عندي ، كان البيت بعيداً عن الطريق ، خرجت لاستقبالهما وهما يركبان عربة تجرها الثيران وقد ظهرت عليهما آثار الحزن والأسى على ولدهما ، استضفتهما فأخذا يقصان علي مأساة ولدهما وهما مرهقان من السفر ، ركبا بعد ذلك العربة إلى مدينة برود ولكن مات الأب أو ماتت الأم في الطريق والأخر مات تأسياً في فيينا ، لم تطل حياة وال بيك أيضاً حيث كانت الحاقدة زوجته تجبره على شرب الخمر وتضربه أيضاً فأبعدتها الحكومة عنه بإرساله إلى اسطنبول وقد لحقت به ثم إلى متكوفيتش ثم إلى سراييفو ، أقنعته أن يطلقها فقامت المحكمة بذلك ، قرر الوزير والقاضي أن يدفع لها مهرها المؤجل ولكن الشيطانة كما هي ، جاءت شعثاء والشرر يخرج من عينيها فقالت أمام القاضي وبلغة تركية أشياء كثيرة ولم تسمح لأحد أن يتفوه

---

١٢٧ دينيزية مارينكوفيتش : مشاعري في أرشيف المكتبة الجامعية والوطنية في البوسنة والهرسك الكتاب العاشر إعداد فويسلاف بوغيتشيفيتش سراييفو ٦٦٩١ ص ٠٦

١٢٨ راجع عن الطلاق في الكتاب ص ٠٨ ـ ٤٨

١٢٩ محمد حاجي ياهيتش : النساء الصالحات في سراييفو والبوسنة ، مجلة المكتبة غازي خسرو بيك ٧ ـ ٨ سراييفو ٢٨٩١م ص ٢١١ ـ ٠٢١ قارن مع فلاييكو بالافسترا الروايات الشعبية في البوسنة والهرسك

١٣٠ فراي غرغا ماريتش : المختارات ، سراييفو ٦٥٩١ ص ٤٨١

بكلمة وكانت تدعي أنه تزوجها فتاة عذراء غير أنها كاذبة فقد كانت طليقة أحد الأطباء البلغار فما أراد الوزير أن يتدخل في هذا ، فخرجنا كلنا بعد أن سكت الجميع أمامها ، خرجنا كأننا نفر من نار جهنم ، ومرض وال بيك في سراييفو فحضرت لاعترافه وحصوله على الغفران ولم أتمكن من دفنه إنما أصدرت ترخيصاً ليدفن في مقابر النصارى باعتباره رجلاً نصره والداه، لما توفي جاءت الشرطة لتدفنه في مقابر الأتراك ولكن زوجته أمسكت ببندقية صغيرة وقالت : أخذتموه مني حياً ولن تأخذوه مني ميتاً ، أخذته هي ودفنته[١٣١] «.

فيما يخص تعدد الزوجات فرغم كونه مشروعاً قانونياً في البوسنة إلا أنه لم يكن منتشراً فيها أو في سراييفو ، ولا ندري هل كانت الأسباب مادية باعتبار أن المحبذ آنذاك أن يكون لكل زوجة بيت خاص بها أو أن المحمدي (يعني المسلم) ـ كما يسميهم رنر ـ كان مكتفياً أكثر من ذلك بزوجة واحدة[١٣٢] .

وامثلة التعدد حادثة علي بيك جينيتش التي أثارت ضجة كبيرة وهو من الأغنياء الإقطاعيين الكبار تزوج على زوجته وقامت البوسنة كلها كما يكتب غليفردينغ ، وأيضاً شخص يدعى نالو أحمد كانت لديه دارين متجاورتين وفي كل منهما زوجة ، ومن المثير للاهتمام أن أحمد لم يرزق بولد منهما وكانت زوجته الصغرى عائشة تصغر بعشرين سنة عن الكبرى مع أنها كانت تبلغ الرابعة والثلاثين من عمرها عند الزواج به[١٣٣] ، ومن الملفت كذلك هو أن كلتا زوجتي أحمد فاطمة وعائشة تمتلكان بيت، كما أن جاره كاشو عبدي كان له امرأتان أيضاً أمينة وباشانا ، ورزق من زوجته الأولى بالأولاد غير أنه قرر الزواج بالثانية بعد اثني عشر عاماً وجمع بينهما في بيت واحد ولم تمتلك أي منهن بيتها الخاص بها ، ومن الأمثلة كذلك مفتي سراييفو آنذاك الذي كان متزوجاً بزوجتين وكما يدعي هو نفسه عانى منهن كثيراً[١٣٤] .

كما رأينا فإن التعدد كان موجود غير أنه لم يكن كثير الوقوع ، وثمة أمثلة شعبية مشهورة تدل على رؤية المرأة في ذلك الوقت كتب عنها رينر منها : «ضرر لا بد منه» .. «المرأة الصالحة هي التي لا لسان لها» ...»تقول المرأة ما لم تسمعه «.. وهناك مثال يضرب لنساء سراييفو : «من تزوج امرأة من سراييفو أنسته والديه»[١٣٥].

---

١٣١ المرجع السابق ص ٤٨١ ـ ٥٨١

١٣٢ هنرك رنر المرجع السابق ص ٥٨

١٣٣ أ . ف غليفو ص ٦٨

١٣٤ يوسهان أسبوت المرجع السابق

١٣٥ هنرك رنر المرجع السابق ص ٠٧

كان الطفل في القرن التاسع عشر هو مركز الأسرة ، وثمة استثمار متنوع فيه من الناحية الشعورية والاقتصادية والتربوية والمعيشية باعتباره وارث الأسرة ومستقبلها وجزء من طريقتها لمقاومة النسيان ومواجهة الموت .

ورغم كون الأطفال ليسوا سبباً وحيداً للحياة المشتركة فإنهم سبب رئيسي لها ، الأطفال هم أساس السرور في الحياة الزوجية ولأجلهم تتكون الأسرة ، ما يدل على أن الأمر كان كذلك هي المصادر العديدة التي تضم هذه الحقائق ، لنبدأ بولادة الطفل وهي حدث في غاية السرور ، الإنجاب لا يحضره إلا النساء في الأسر الغنية تقوم القابلة بعملها بحضرة أفراد الأسرة من النساء، بينما تلد المرأة وحدها في الأسر الفقيرة [١٣٦] ، وإنجاب أكثر من مولود كان حدثاً مثيراً تنشره الصحف ما يدل على ندرة وقوعه ، فقد نشرت صحيفة البوسنة في عام ١٨٦٧م الخبر التالي:» أنجبت داشا مساء الإثنين طفلين وطفلة وكل الأطفال ولدوا أحياءاً [١٣٧] «، وفي العام التالي ولد عدة مرات أكثر من ولد ، ومن الأمهات اللواتي اعتبرن مباركات كانت زوجة شاكر آغا يعقوبوفيتش حيث رزقت بثلاثة أطفال [١٣٨] .

إعلان ولادة الطفل كانت له طريقة معتادة في المجتمع ، عند المسلمين يتم إخبار الإمام في حارة الأسرة ، بينما يخبر النصارى عن الولادة لدى تنصيره في الكنيسة عادة في اليوم السابع من الولادة .

سبب انتظار تسجيل الولد هي النسبة العالية من وفيات الأطفال ، ويدخل الولد إلى الأسرة بتسميته ويصبح فرداً منها ، والتسمية لها أهمية كبيرة ويتم انتقاء الاسم بدقة لمعان دينية[١٣٩] ، وبعد اتخاذ القرار حول الاسم يحضر إمام الحي إلى بيت الطفل للزيارة فيؤذن في أذنه اليمنى ويقيم في أذنه اليسرى[١٤٠] .

عند النصارى كان الولد يؤتى به إلى الكنيسة ويسجل اسمه في كتب المنصرين ويكتب اسم أبيه واسم أمه واسم عرابه وفي أي مجال يعمل أبوه ، ويحصل الولد بهذه المناسبة على اسم خاص عند التنصير[١٤١] .

---

١٣٦ روسكييفيتش يذكر أن القابلة كانت تستدعى فقط في البيوت الغنية

١٣٧ صحيفة البوسنة رقم ٥٢/٩١٧ ـ ٧٦٨١/٠١/٥٠ ص ١

١٣٨ البوسنة رقم ٣٩ ٨٦٨١/٣/٢٠ ص ١

١٣٩ المولود الجديد يحصل على إسم إما أن يكون جزء من الهوية الدينية أو صفة من الصفات كما كانالوضع بين الكاثوليك في القرون الوسطى والقرن الماضي ، يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٤٠٢

١٤٠ المرجع السابق ص ٣٠٢

١٤١ أكثر الأسماء انتشاراً عند تنصير الأولاد هي : أولغا ، بيرو ، دانيتسا ، انكا ، زوريتسا

مسئولية الحفاظ على أحكام الدين كانت تقع على الآباء[١٤٢] وصبغت أيام أهل ذلك الزمان بهذه الصبغة الدينية مع الهدف المنشود لهم نحو تمكينه من الحياة كإنسان عصري .

تعد تربية الأولاد تربية فاضلة هي أهم وظيفة بعد الولادة ، وفي أواسط القرن التاسع عشر كان في المجتمعات التقليدية آنذاك وكذلك في المجتمع البوسني ثمة أسماء عائلية مشهورة ، فليس عجباً أن تتكرر أسماء معينة في عائلة واحدة ، ومن أشهر الأسماء لدى المسلمين كان اسم مصطفى ويصعب إيجاد بيت ليس فيه على الأقل شخص يسمى بهذا الاسم ، وغير هذا التقليد مصطفى موريتش في أسرته عندما سمى أولاده الثلاثة محمد وأحمد وعاصم [١٤٣] .

وفي هذا الصدد نعود إلى مسألة التفريق بين الأولاد ذكورهم وإناثهم لأن معاملتهم كانت مختلفة جداً ، الذكور كانوا مفضلين على الإناث ولهم المنزلة العليا في الأسرة ، ندرك هذا من قائمة سنة ١٨٦٧م والتي ضمت لأول مرة الإناث من الأولاد ولكن بعد ذكر وتقديم الأولاد الذكور رغم صغر سنهم ، الأولاد الذكور لهم امتيازات منها اللعب خارج المنازل بكل حرية، فقد كان حسين بيليتش بن مصطفى يلعب أمام مقهى إفان تاديتش حيث كان إفان يوقف سيارته مما أزعج الأخير لأن سيارته مهددة فسمح إفان لنفسه أن يضرب الولد وكلفه هذا التصرف اللاعقلاني عشرة أيام في السجن ودفع مائة بيستر غرامة تعويضاً لمصطفى .

هذا الامتياز وإن كان مجرد عنصر واحد من عناصر التفريق في الحياة اليومية بين الذكور والإناث فإنه يدل أيضاً على وجود الانحياز في المجتمع ، ذاك الانحياز يبدو واضحاً في دفتر مصاريف البيت لدى ألكسا يفتانوفيتش، وجرى في ذلك الوقت أن ألكسا كان يعطي ولده كل يومين مبلغاً للصرف قدره ما بين ٤ ـ ٦ فورنت (العملة المحلية) وخلال السنة كلها بينما لم يكن يعط بناته شيئاً لمصاريفهن الخاصة ، ومن الملفت أن ألكسا خلال سنة واحدة اشترى ستة أحذية بينما حصلت البنات على حذاء وصندل .

معلومات الدفتر تفيد أن ثمة انحياز واضح نحو الأولاد الذكور وأنهم كانوا يحصلون على الاهتمام الأكبر والحريات الأوسع نطاقاً ، رغم ذلك من الضروري أن نذكر أن الأولاد الذكور كانوا ينضجون سريعاً ويأخذون دور الأب حينما يكون في العمل أو السفر ويعتنون ببقية أفراد الأسرة .

، البلدية الصربية التسجيل بـ ٢ قائمة المنصرين

١٤٢ أفرام بينتو المرجع السابق ص ٩٢

١٤٣ حمديا كريشيفيلياكوفيتش المختارات ١ ص ٨٣٣

التربية الأولية كانت مهمة الأم وتشمل التربية الذكور والإناث من الأولاد، ولقي روفينسكي لدى زيارة مفاجئة لصديقه إبراهيم زوجة إبراهيم وأولاده يلعبون في حديقة البيت فيكتب ما يلي : «كان لديه أربع بنات ، والإبن كان خداه مشربين بالحمرة وجلده لامع اللون كالبورسلان ما دل على العناية الفائقة وأنه محبوب الأسرة وتدلله كلها [١٤٤]»، نفهم من هذا أن الاهتمام والاعتناء بالأولاد كانا كبيرين ، كل والد يحاول أن يبلغ بولده مرحلة الكمال ، هذه المحاولة وصفها يوسف بيك تشينغيتش سنة ١٨٦٦ لإبنه عبديا بأبيات شعر يخاطبه بها توصية له في حياته : «كن صالحاً في صغرك لأن الكبر مصيبة عظمى ولن يكون لك وقت آخر تندم فيه على ما ضيعت يا عبديا[١٤٥]».

تضمنت أبيات الشعر ما يـأمل الأب من ولده ونصحه له كيف يجب أن يتصرف تجاه الناس حتى لا يندم فيما بعد ، كما عبرت الأبيات عن المحنة للولد والخوف على مستقبله .

تتواصل تربية البنات تحت رعاية الأمهات في حضن الأم وظل البيت ، وتتعلم البنت ومن الصغر كيف تعتني بالبيت وشئونه وهدف التربية تهيئة البنت للزواج وهي على كامل الاستعداد وتهتم بالبيت باعتبارها ربة البيت .

من المثير للاهتمام أن هذه الحقبة شهدت افتتاح المدارس للبنات وهي الأولى من نوعها وكانت تقيم معارض للأعمال اليدوية والتطريز آخر كل عام [١٤٦] ، كانت هذه المعارض هي مناسبات تقام بانتهاء السنة الدراسية ويحضرها كبار رجال الدولة العثمانية وممثلوا الدول الأجنبية ورجال الدين ، ازداد عدد الطالبات ازدياداً كبيراً في هذه الفترة ففي سنة ١٨٦٧م تراوح عدد الطالبات حوالي ٨٠٠ طالبة بينما وصل العدد إلى ٩١٠ سنة [١٤٧]١٨٦٩.

متابعة الدراسة في المدارس غيرت من حياة البنات ويومياتهن لأن ثمة خروج يومي للمدرسة

---

١٤٤ ب . روفينسكي المرجع السابق ص ٥٤

١٤٥ مينكا ميميا : معنى الحكمة وصورة الحكماء في أدب الحامييادو ، مجلة المكتبة ٧١ ـ ٨١ سراييفو ٦٦٩١ ص ٩٦٢

١٤٦ سنة ٨٥٨١م فتحت مرسة ستاكا سكندروفا وقد سجل والي البوسنة طوبال عثمان باشا بناته فيها ، تبعتها في فتح المرارس علين بافليا وسيدة إربي وسيدة ماكنزيفيه ففتحن المدارس للبنات سنة ٦٦٨١ ، انظر فويسلاف بوغيتشيفيتش : تاريخ نشأة المدارس الابتدائية في البوسنة والهرسك ما بين ٣٦٤١ ـ ٨١٩١ سراييفو ٥٦٩١م ، إ . كاسوموفيتش : المدارس والتعليم في ولاية البوسنة أيام السلطة العثمانية ، سراييفو ٩٩٩١م

١٤٧ تناولت المعلومات الطالبات المسلمات دون غيرهن ، خير الدين شوريتش : التعليم الإسلامي في البوسنة والهرسك حتى سنة ٨١٩١م ، سراييفو ٣٨٩١ ص ١٧١

بجانب الواجبات المنزلية المنوطة بهن ، رغم كون هذه المدارس تم إنشاؤها لتهيئة البنات للحياة الزوجية لا يمكن التغافل عن التغيرات الناتجة عن فتح المدارس غير الدينية .

وفي محاولة للتميز عن بقية المواطنين (العاديين) بكل السبل والطريق الممكنة أدخل نخبة الناس عادة تتمثل في إحضار الأساتذة إلى البيوت حتى يحصل أولادهم على التعليم الأفضل ، فقد كان الأستاذ ياقوف فوكوفيتش يأتي لابن بيريتش ماتي الأمر الذي كلفه ثلاثون من الغوروش ـ العملة المتداولة وقتها ـ ، ودفع مانويلو يفتانوفيتش قسطاً مدرسياً لابنته قدره اثني عشر درهماً سنة ١٨٥٦م [١٤٨] وهذا يدل على زيادة الصرف في تعليم الأولاد وأهمية ذلك للأسرة .

ندرك من هذه الأمثلة أن الحقبة شهدت تغيراً جذرياً لهذا المجال من الحياة وأن الذهاب إلى المدرسة صار جزءاً من يوميات عدد كبير من الأولاد .

من الضروري أن نذكر أنه منذ وصول العثمانيين أنشأت كتاتيب ومدارس أي مدارس ابتدائية وثانوية ، والفارق الأساسي يكمن في كون المؤسسات التعليمية منذ القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر وحتى بعده كانت دينية بينما افتتحت المدارس العامة في هذه الحقبة ، والمهم في هذا الصدد هو تيسير التوظيف للأولاد بعد تخرجهم من المدارس العامة ، ففي نوفمبر من عام ١٨٦٦ وبعد الامتحانات النهائية في المدرسة الابتدائية وظفت إدارة البلدية خمسة طلاب في مكتب المتدربين[١٤٩]، وفي هذه الفترة وتحديداً سنة ١٨٦٥ ثمة مبادرة في بلغراد أن تفتح المدارس الخاصة التي ميزها الترفيه وكانت الأنشطة الأساسية لها الرسم والفن[١٥٠] ولم نجد في سراييفو مبادرة مماثلة في هذه الحقبة.

وصف الأجانب بإعجاب بالغ احترام الأولاد لآبائهم وأمهاتهم وقالوا في وصفهم: «الأولاد لا سيما الكبار منهم يوقرون آبائهم وأمهاتهم ويقدرون إخوانهم الكبار، لن يجلس الأخ الصغير قبل الأخ الكبير حتى يقدمه على نفسه ولن يتكلم قبل أن يستأذن[١٥١]».

هذه النتائج نفسها توصل إليها رنر فكتب: «ما يجب أن نمدحه عند مسلمات البوسنة (المحمديات) هو نظافتهن واجتهادهن ومهارتهن في الأعمال اليدوية لا سيما التطريز وتربيتهن لأولادهن وبذلك ينشأهن نشأة صالحة ، لا يوجد في أي بلد أولاد لهم تربية صالحة مثل تربية

---

١٤٨ أرشيف مدينة سراييفو ـ مجموعة أسرة يفتانوفيتش

١٤٩ البوسنة رقم ٧٢ ٣٢/١١/٦٦٨١ ٤١ ص ١

١٥٠ العيش في بلغراد ١٥٨١ ـ ٧٦٨١ ، الوثائق ـ أرشيف تاريخي لمدينة بلغراد ، بلغراد ٥٠٠٢ ص ٠٥٤

١٥١ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٦٠٢

أولاد المسلمين وهذا ينطبق على أولاد النصارى في البوسنة كذلك ، الطاعة غير المشروطة والاحترام والتوقير للوالدين حتى بعد النضوج والبلوغ هي أصول التربية ومن يسيئ فيها فقد أساء إساءة بالغة والمجتمع يقوم بإقصائه[١٥٢]، لم تعتبر أوامر الوالدين وفقاً للقانون إجباراً لأنها مبنية على الاحترام والتوقير[١٥٣]، ونص القانون على أن مخالفة الولد القاصر لا تستلزم العقوبة القانونية وإنما يسلم إلى والديه أو أحد أقاربه بعد أخذ الضمان منهم [١٥٤]».

رغبة الناس في الأولاد منشأها استمرار النسب واللقب وثمة أسباب أخرى ، كان عار العقم يقع على المرأة دائماً مهما كانت الظروف ، ومن المثير للاهتمام أنه مع عظمة الرغبة في الولد فلم يقوموا بالتبني إلا نادراً، وقد وصف فرا غرغا ماريتش حالة عدم وجود الولد مع شدة الرغبة فيه بالتالي:»كان هناك سوء تفاهم حول ولد أحد الأشراف (بيك) وصل طلب إلى المحكمة من فري غرغا ماريتش كتابياً يطلب من والي البوسنة أن يساعده في المحاكمة شارحاً له الوضع بما يلي : (هناك أحد الأشراف (بيك) من كوبريس من عائلة كولينوفيتش متزوج من إمرأة فقيرة من مدينة نيش في صربيا ولم يرزق منها بولد ، وبعد فترة حملت وأنجبت والولادة كانت مفاجئة لأهالي مدينة ترافنيك وخاصة ساءت بقية أشراف ترافنيك لأنه إن ولد له إبن فسيرث أملاك عائلته وهي ثمانين بيتاً مع أهاليها من الخدم ، لذلك افتروا كذبة أنه اشترى الولد في نيش وتبناه لأجل المال والإرث، ورفعوا عليه القضية وهو ومنذ سنين يحاول أن ينهي قضيته في ترافنيك وهنا في سراييفو ، أؤكد أن الولد لا يمكن شراؤه من الكاثوليكي وكذلك من الأتراك أو من الأرثوذكسي إنما من الغجر، ولا أعتقد أن أحداً يود أن يتبنى ولداً من أولاد الغجر[١٥٥]»، هذه الحالة ومن شارك فيها ليسوا من سراييفو ولكن الوصف يدل على صعوبة الوضع في الأسر التي لم ترزق بولد، لا نملك معلومات تؤكد إمكانية شراء الولد كما ورد في الرسالة المذكورة أو استحالة ذلك ولكنا لم نجد في الحالات الشبيهة ما يفيد بذلك.

كما رأينا فإن الأولاد هم مفتاح السعادة الزوجية وليس غيابهم سبب لعدم الاحترام والمحبة بين الزوجين وإنما لتأثير المجتمع الذي يهدم جميع الحواجز ويخرق كل الخصوصيات فيغتاب كل من ليس له أولاد بكل فظاظة ووقاحة .

---

١٥٢ هنرك رنر المرجع السابق ص ٦٨

١٥٣ القضايا التي منشأها احترام وتقدير الوالدين أو أوامر السادة لخدمهم لا اعتبار لها مثل التي يقوم بها الانسان مجبراً ، مجلة القوانين الجنائية السلطانية ـ نسخة خاتخمايونة مطبعة الولاية في سراييفو سنة ٠٧٨١م ـ في الإيراد القادم ، القوانين الجنائية السلطانية ، المكتبة القومية والجامعية في سراييفو رقم ٥ ، أ ٣٨٥٩١ ، ٢٤

١٥٤ المرجع السابق ٠٤

١٥٥ فري غرغا ـ سبق المختارات ص ٨٢٢

الرغبة في الاولاد والنظرة التقليدية إليهم لم تؤثر على عدد الأولاد[١٥٦]، وبتحليل المعلومات من حارة علي باشا سنة ١٨٤١ وحارة فرحات باشا من سنة ١٨٥٥ توصلنا إلى أن حارة علي باشا تتكون من تسعة وخمسين منزلاً وفيها ثلاثة عشرة أسرة لها ولد واحد وعشر أسر فيها ولدان وأسرتان فيها ثلاثة وسبعة فيها أربعة أولاد ولا يوجد منزل فيه خمسة أولاد وأسرة واحدة فيها ستة أولاد بينما لم يكن هناك أولاد البتة في ثلاثة وعشرين أسرة ، ونذكر أن الإناث من الأولاد لم يتضمنهن الإحصاء لذا يجب أن نحتاط ، وفي حارة فرحات باشا التي تضم ثمانية عشر منزلاً توصلنا إلى معلومات شبيهة في نتائجها السابقة حيث أن خمسة أسر فيها لها ولد واحد وخمس أسر فيها ولدان بينما ثلاثة وأربعة أولاد نجدهما في أسرتين وثمة أربعة منازل ليس فيها أولاد أي ذكور[١٥٧]، معلومات الإحصاء من سنة ١٨٦٧م والتي تضمنت الإناث من الأولاد لا يختلف كثيراً عن السابق في حارة علي باشا ، فمعظم الأسر وتحديداً ثلاثين منها فيها ولد واحد وأربع وعشرين أسرة فيها ثلاثة أولاد وتسع عشرة أسرة فيها ولدان وتسع أسر فيها أربعة وثمة أسرة واحدة فيها سبعة أولاد بينما لم يوجد في سبع وعشرين أسرة ولد إطلاقاً ، ومن الناحية الإحصائية أفادتنا هذه المعلومات أن ست وخمسين أسرة سنة ١٨٤١م كانت تضم ستة وسبعين ولد أي المتوسط هو ولدان في الأسرة الواحدة بينما في الحارة نفسها سنة ١٨٦٧م هناك مائة وسبع عشر أسرة ومائتين وواحد وعشرين ولداً أي ولدان في الأسرة أيضاً مع وجود الأولاد الإناث في الإحصاء الثاني ، وبعد الاطلاع على كتب التنصير في الكنيسة الأرثوذوكسية في سراييفو توصلنا إلى أنه تم تنصيره ١٦٥ ولداً[١٥٨] ، ونذكر أن الغجر وإن وجد عندهم أولاد كثر فقلما يوجد أكثر من خمسة أولاد في أسرة واحدة[١٥٩] .

ومن الملفت حقاً أن الأولاد يولدون بعد عدة سنوات من الزواج ، فقد رزق كيتشو أبديا وزوجته أمينة بالولد بعد خمس سنوات من زواجهما ، أما دوبوكوفيتش إبراهيم وزوجته فاطمة فقد تزوجا سنة ١٨٤٢ ورزقا بولد أسموه محمد بعد ثماني سنوات ، هذه المعلومات قد تكون مضللة باعتبار نسبة الوفيات بين المولودين الجدد كانت عالية جداً وندرك من هذا أنه

١٥٦ قدر باشيسكيا أن عدد الأولاد في الأسرة الواحدة أيامه كان ثلاثة أولاد بينما عدد الأولاد في فرنسا ما بين ٠٤٨١ ـ ٠٠٩١ كان سبعة أولاد ، انظر ملا مطصفى باشيسكيا ص ٣٢٢ ، جورج ديبي ،فيليب أريس تاريخ الحياة اليومية ٤ ص ٤١١

١٥٧ انظر علي بيتيتش ، حارة علي باشا ، فلاديسلاف سكاريتش حارة سراييفو فرحات باشا ٠٥٨١ ـ ٥٥٨١ في فيلا بوسنة رقم ٣٢ ص ١٣٣ ـ ٢٣٣

١٥٨ يؤسفني أن الكنيسة الأرثوذوكسية ليس فيها غير دفتر واحد للتنصير حتى نستفيد من المعلومات اكثر ، البلدية الصربية في سراييفو تسجيل ٢ قائمة المنصرين٤٥٨١ ـ ١٦٨١

١٥٩ محمد أ موريتش : وضع الغجر ص ٥٦١ ـ ٩٦١

كان ينتظر الولد الأول فترة أو الولد الأول بمعنى الذي يبقى حياً بعد الولادة[١٦٠]، لم تكن النسبة في وفيات المولودين الجدد عالية فحسب بل كانت نسبة الوفاة بسبب الأمراض والأوجاع المختلفة حتى عند تقدم الأولاد في السن ، ففي أسرة حاجي ريستيتش سنة ١٨٤٣ توفي ولدان : سافكا وعمرها ثماني عشرة سنة وأخوها يوفو في الثانية عشرة من عمره[١٦١].

بعد هذه المعلومات يبدو من الغريب أن مشكلة الأولاد غير المرغوب فيهم (خارج الزواج) كانت موجودة وهذا ما يفيده الفرمان أي القرار الذي صدر عن الدولة العثمانية سنة ١٨٣٨ وهو موجه إلى زعماء المجموعات الدينية الأربعة وجميع الصيادلة العاملين في الدولة العثمانية ، ويمنع القرار استعمال مواد الإجهاض ، كما طلب من علماء الدين أيضاً أن يبينوا أنه عمل سيئ ، كما أن (سرطيب) وهو رئيس الأطباء في الدولة العثمانية أصدر بياناً بذلك إلى جميع الأطباء[١٦٢] ، وما يوضح أن القرار لم يصل فقط بطريقة روتينية إلى سراييفو المقالة التي وردت في مجلة أخبار سراييفو من يوليو سنة ١٨٦٦م وجاء فيها : في سراييفو ١٨٦٦/٧/٧ ترافعت الأصوات أن هناك أولاد أجهضوا ورمي بهم في نهر ميلياتسكا ولم نكن نهتم بهذه الظاهرة ولا نؤمن بوجودها ، هناك حالة حصلت في الرابع من هذا الشهر يوم الإثنين ويشهد بصدقها جيران ماء سبيل الباشا فقد لاحظوا في حارة كولوكشيا وذلك بساعة قبل الظهر أن امرأة متحجبة تدخل مقبرة المسلمين المجاورة لماء السبيل وظنوا أنها جاءت لزيارة قبر أحد أقاربها لتبكي عليه وتدعو له فلم يلتفتوا إليها ، وبعد أن غادرت المقبرة بنصف الساعة مرت إحدى اليهوديات بالمقبرة وسمعت نباح الكلاب وكأنها تتقاتل على شيئ فنظرت ووجدت الكلبين قد أمسكا بأنيابهما بجنين ميت أحدهما بيمينه والآخر بشماله يشدونه بينهما ، صرخت مرعوبة فاجتمع الجيران وأهالي الحي ووجدوا أنه طفل جميل الصورة والجسم ولكنه ميت عضته الكلاب مرات على يده ، وأخبر المسئولون عن الحي السلطات وأمر بدفن الطفل[١٦٣].

هذه القصة المريعة تقول أن الأولاد ـ غير المرغوب فيهم ـ لم يكونوا مجرد مشكلة تعالج بالأدوية والمواد الطبية للإسقاط إنما فاقت هذا الحد .

---

١٦٠ يذكر باشيسكيا في دفتره اليوميات أنه ولدت له بنت وهي التاسعة من أولاده ثم يوضح أنها الرابعة من الذين هم على قيد الحياة أي له بنتان وابن قبلها ، ملا مصطفى باشيسكسا المرجع السابق ص ٣٢٢

١٦١ فلاديسلاف سكاريتش المرجع السابق ص ٩٤

١٦٢ فيكوسلاف كوشان : الأوضاع الصحية في سراييفو القديمة ، بلغراد ٣٤٩١ ص ٢٢ مكتبة غازي خسرو بيک تسجيل رقم ٧٧ ص ٥٤ ـ ٦٤

١٦٣ أخبار البوسنة ٦٦٨١/٧٠/٩٠ السنة الأولى رقم ٤١ ص ٠١

كانت الرسائل هي طريقة التواصل بين الأولاد وبين أهاليهم في حالة سكن الأولاد في مدينة أخرى ، ومن المثير للاهتمام أن الرسالة تكون موجهة للأب إذا كان على قيد الحياة ولا توجه للأم إلا عند فقدان الأب في الأسرة ، يتضح ذلك من مراسلة ماري سافيتش مع أهلها تفيد بأنها خاطبت أباها بواسطة الرسائل ، وكان مطلع الرسائل يتضمن التمنيات المعتادة : «أرجو أن تصلكم رسالتي وأنتم بخير وعافية وراحة تامة[١٦٤]»، وتكتب أيضاً في إحدى رسائلها متسائلة : «والدي العزيز ليس لدي ما أكتبه إليكم لماذا لا تجيبونني على رسائلي الكثيرة ؟ هل تخليتم عني فإن كنت ذهبت عنكم فلم أرتد عن ديني» ، وتتابع بعد ذلك : «إن اشتقتم إلي كما اشتقت لكم فها أنا ذا إنشاء الله قادمة في الصيف عندما يعود والدي العزيز من القدس[١٦٥]» ، والملاحظ أنها ستأتي إليهم بعد رجوع والدها العزيز يدل على العلاقة الودية بينهما أي بين الوالد وابنته وهي تخصه بالذكر وتتابع : «ندعو لك ونقبل يديك ، أي تقصد أباها ، وفي الختام تقول تحياتي لكم جميعاً وأقبل يدك وتقصد أباها أيضاً ثم تقول تحياتي لعمتي وأختي داشا وأخي ريستو وأحيي أبي وأقبل يديه وعمتي ونقبل كلنا يديها والأولاد جميعاً[١٦٦]» ، ماري تخاطب أباها لجميع الحاجات مثل النقود ونحوه وكانت تطلب في أحيان كثيرة ، وقد جاملت أباها بالتدليل (أبيي) أو أبي الحبيب ، أما رسالتها الأولى الموجهة لأمها جاءت بعد وفاة أبيها حيث تكتب ماري : «والدتي الحبيبة حزنت كثيراً لفقداننا لمن نحبه أكثر من أنفسنا [١٦٧] «، هذا هو جوهر الأسرة ويدخل فيها الأقارب باعتبارهم العائلة وقرابتهم من الدرجة الأولى أو الثانية ، ما يدل على قربهم من العائلة هي كثرة الرسائل إليهم في حال سفرهم ، والتهنئة السنوية بالسنة الجديدة كانت تستغل لتقرير عن الوضع الصحي في الأسرة ويذكر من مات منهم ومن ولد أو تزوج أو مرض أو نجح في الامتحانات ، هذه الممارسة كانت من قبل الناس المتعلمين في المجتمع .

أفادنا الاطلاع على المراسلات الخاصة أن العلاقات كانت محافظ عليها بين الأقارب الذين بينهم مصالح مادية أي تجارية ، وبما أن محتوى معظم الرسائل كان من هذا النوع مثاله أسرة حاجي ريستيتش المنقسمة بين أسرة في سراييفو وأسرة في فيينا ، فقد راسلت كاترينا حاجي ريستيتش أهلها بانتظام حتى تقسيم ممتلكات العائلة سنة ١٨٧٠م ، وجهت كاترينا رسائلها إلى حموها والذي كان سريعاً يجيبها ، كتبت في إحدى رسائلها : «رسالتكم الموقرة وصلتني وحافظت عليها وأرجو المعذرة لتأخر جوابي عليها ولكن بعض الأمور شغلتني وكنت في سوبوتيتسا وقضيت

١٦٤ آ.س.آ.زاه الرسائل الخاصة صندوق رقم ١

١٦٥ المرجع السابق

١٦٦ المرجع السابق

١٦٧ المرجع السابق

هناك أياماً جميلة كما علمتم[168]»، نرى أن العلاقة مع حموها مبنية على الصداقة وهي تخبره عن تفاصيل خططها بانتظام « يؤسفني أني لن أسافر إلى سراييفو مع أنني جهزت أغراضي وحملتها معي إلى سوبوتيتسا ومنها ما هو لكم فاضطررت لأعود بها إلى فيينا فتصوروا كيف شعرت وقتها وأرجو الله أن يمتعنا بالصحة فنزوركم وبمناسبة الزفاف أيضاً[169]»، وفي ختام رسالتها تحييهم تحية طيبة وتقول : «أحييكم أيضاً وأقبل يد الأم المحترمة وأحيي ريستو والوالد كذلك ، من الملفت أن مطلع رسائلها حتى عام ١٨٦٣م هو (حموي المحترم) وبعدها حموي السيد المحترم ، وتشهد رسالتها كم كانت الأسرة قريبة من بعضها وهي تقول فيها أن بيت ريستيتش من سراييفو بعث بهدايا قيمة إلى فيينا وهي تشكرهم عليها غاية الشكر ، بقية أفراد الأسر نادراً ما تراسلوا ، وإذا جاءت الرسالة من الصغير إلى الكبير فهي تعبير عن الاحترام ،وكما كتب ماركو إبن ريستو لخاله قائلاً : «خالي المحترم أسمع من عمي أن رسائلي إليكم يسركم وصولها وأنك تود أن تصلك رسائلي أكثر[170] « ثم يعد فيقول : «لذلك أتعهد أن أراسلكم بانتظام وبلغوا تحياتي لبقية الأسرة وتحياتي الخاصة لك يا خالي[171]» .

المجاملة تكون قصيرة في المراسلة مثل : «سيدي وعمي المحترم أرجو أن تصلكم رسالتي جميعاً وأنتم بخير وأهلك الطيبين» هذا جل ما في الرسالة من المحتوى ويتابع ماركو : «أستودعكم وأقبل أيديكم وأرجلكم وأحييكم أولاً ثم الوالدة والإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأقارب والأصدقاء الذين سألوا عني» ، رتب ماركو أفراد الأسرة في جملة واحدة بحسب اعتبارهم عنده[172].

كما رأينا ،فإن الأسرة كيان أخلاقي يعبر عن نفسه ويحافظ على تماسكه ، وحدة الأسرة تتجلى في نواحي مختلفة ، الناحية المالية وناحية القرابة والمشاعر ونواحي الأسرار والذكريات[173].

١٦٨ المرجع السابق

١٦٩ المرجع السابق

١٧٠ المرجع السابق

١٧١ المرجع السابق

١٧٢ آندريا زردوم: رسائل الرهبان الفرنسيين ١٨٥٠ ـ ١٨٧٠ بليهان سلوفوزناك ١٩٩٦ ، رسالة رقم ١٤٤ ص ١٩٣

١٧٣ فيليب أرييس وجورج ديبي : تاريخ الحياة الخاصة ٤ ص ١٤٦



٣,١ عائلة تشورتشيتش



٣,٢ زوج وزوجته داخل البيت

IV

الـــــزواج

النكاح عقد قانوني سنتناوله من ثلاثة زوايا : زاوية الحاجة الإنسانية والغريزة، وزاوية المصلحة الاجتماعية ، وزاوية الاختيار وحريته، هذا التقسيم يفيدنا في الإحاطة بطبيعة الارتباط بين التربية وقبول المسئولية ، وبين الإنجاب وأسباب اختيار الزوج .

علاقات الزواج محكومة بمبادئ صارمة نابعة من الدين والعادات ، ومن المنظور الديني فإن النكاح ضرورة لاستمرار البشرية بطريقة طبيعية"[١٧٤] وهو من الجانب الآخر هدف كل بشر سوي وتحلم به الفتيات طيلة حياتهن وهو غاية عظمى في حياة الشبان"[١٧٥] أي هو حدث ذو أهمية عظمى في حياة كل إنسان ، ورغم كون النصف الآخر من القرن التاسع عشر شهد التحديثات في الدولة العثمانية أي حقبة التنظيمات ، إلا أن الزواج بقي في إطار وتخصص الجمعية الدينية .

وباعتبار أن مدينة سراييفو يعيش فيها المسلمين والنصارى الكاثوليك والأرثوذوكس واليهود والغجر وهي صورة لتعدد الأعراق والأديان في الدولة العثمانية وخليط من العادات ، يزداد عدد الوافدين بين السكان وهم الوافدون الأجانب الذين لهم عاداتهم التي تؤثر دون شعور على تغيير طريقة الحياة وتمييع الأخلاقيات التي حافظ عليها الناس حتى ذلك الحين ، فالأجانب لم يحترموا الطريقة التقليدية لعقد الزواج ولا الأحكام الشرعية التي تمنع الحياة المشتركة

---

١٧٤ النكاح حاجة الجنس البشري لأنه طريقة لاستمرار الحياة البشرية في وجودها ، قوانين النكاح في الكنيسة الكاثوليكية سراييفو ٠٣٩١ ص ٣١

١٧٥ مؤسسة الزواج هي مؤسسة ضرورية للحياة السليمة من الناحية الجسمية والنفسية لأن الإنسان يثبت وجوده من خلال الزواج ، محمد قطب الدين الإزنكي يشرح الفرق بين المتزوج وغير المتزوج بصورة الشقي الضائع عن أي هدف في الحياة وصورةالسعيد الذي حقق معنى الحياة في نفسه ، حياة العزاب هي حياة الاضطراب والشقاوة ، ينطبق هذا الوصف على الرجال والنساء على حد سواء ، من لم يمكن من تكوين الأسرة فإنه يقع في الآثام وتذهب حياته هباءاً منثورا ، كتابه بعنوان مرشد المتنحل إرشاد الناكح ومن أراد النكاح عن الحياة المستقيمة والمعاملة في النكاح للمؤلف محمد قطب الدين الإزنكي المتوفي سنة ٨١٤١ ، نسخ الكتاب علي بن سليمان من قرية فوشيشا في مدرسة غازي خسرو بيك سنة ٣٢٨١ ص ٤٥١

قبل عقد الزواج ، ورغم ذلك ظل الزواج وعقده على سابقه عند معظم الناس وتابع مسيرته التقليدية غير أن هناك تغييرات طارئة ظهرت في هذه الفترة لا بد من ذكرها حتى تتكامل الصورة .

هناك خطوات في حياة الفرد تنتهي بعقد الزواج وتبدأ بالتعرف على الزوج أو الزوجة ، فالخطبة وما يجري قبلها من الأمور وهي مرحلة أولى[١٧٦] ثم الاتفاق على عقد الزواج وهي مرحلة أخيرة .

ومع ذكر المراحل الأساسية للزواج نهدف إلى الجواب عن الأسئلة التالية : ما هي أسباب إقدام أهالي سراييفو على الزواج ؟ ما هو السن المتوسط للزواج لدى الجنسين ؟ كيف كان موقع الطلاق في المجتمع وما هي حقوق كل من الزوجين ؟

التعرف قبل الخطبة

التعرف قبل الخطبة أو بالبوسنية (عشق فانيا) مأخوذ من كلمة العشق أي الوقوع في الحب وهو موضوع ألهم الشعراء دائماً وكان الأكثر ذكراً لوجود جمال رومانسي فيه، و(عشق فانيا) هي عملية التعرف بين الشاب والفتاة في ذلك الوقت[١٧٧]، لم يكن هناك أحكام قانونية ولا شرعية تفرض طريقة معينة للتعرف بين الشاب والفتاة بسبب رغبتهما في الزواج ، ولعبت العادات دوراً رئيسياً في تحديد الطرق للتعرف[١٧٨] ، الوضع الخاص لهذه العملية في البوسنة أثار اهتمام الكثير من الرحالة الأجانب وعابري السبيل وحتى رجال الدولة العثمانية مثل جودت باشا الذي خصص من جملة ست رسائل إلى اسطنبول رسالة واحدة لهذا الموضوع ـ العشق في التعرف ـ[١٧٩] ، كانت العملية تبدأ بالرؤية المصادفة ، أمام سبيل الماء أو في الطريق إلى الكنيسة أو بمناسبة أخرى ، تضع الفتيات على رؤوسهن شالاً رقيقاً أو قبعة يبدو الشعر من تحتها وهو في ضفائر ويبدو الوجه عادة مكشوفاً حتى يتمكن الشباب من أن يختاروا مع أي من الفتيات سيولجون

---

١٧٦ يستثنى من هذا الزواج المتفق عليه بين أهالي الزوجين : انظر أفرام بننتو المرجع السابق ص ٥٣

١٧٧ انظر أ. هانيغي: حياة وعادات المسلمين سراييفو ١٩٠٦ ص ٥٣١ ـ ٧٤١

١٧٨ لم تدخل القوانين في الحياة الخاصة للمواطنين ولم تؤثر على عادات أي طائفة دينية ، العادات لها حكم القانون يومها فالأحكام الشرعية تسوي بين هذه العادة والخطبة ذاتها إذا أراد الخاطب ومخطوبته التعرف على بعضهما ، انظر قانون النكاح في الكنيسة الكاثوليكية ص ٩٢ ـ ٦٥ ، يوسف القرضاوي : الحلال والحرام في الإسلام سراييفو ١٩٩٧ ص ٩٣٢ ـ ٦٤٢

١٧٩ ح. كريشيفيلياكوفيتش المختارات ٤ ص ٦٥ ـ ٧٥

بالحديث المسمى عشقفانيا ، أي يقرر هل يتعرف على إحداهن أكثر أو لا ، الملفت هنا أن عادة كشف المرأة عن وجهها هي سلافية وتعبير عن العناد السلافي لأهالي البوسنة فهم مع اعتناقهم الإسلام حافظوا على بعض عاداتهم القديمة [١٨٠].

يعلق جودت باشا على هذا الموضوع قائلاً : «تجول النساء كاشفات الوجه قد يبدو خللاً أخلاقياً وعملية التعرف (عشق فانيا) شيئاً عجيباً ، ولكن لو أحضرنا أحد البوسنيين إلى القسطنطينية سيسألكم مباشرة لماذا تقوم نساؤكم بلفت انتباه الرجال إليهن ولماذا شعرهن تحت الحجاب ؟ كيف نجيبهم ؟ كل شعب يستحسن عاداته ويضحك من عادات الآخرين[١٨١]».

كما رأينا فإن عادة التعرف كانت غريبة لجودت باشا ولكنه يبررها باحترام لأنه يعتقد أن النزاهة والطهر يغلب على العملية كلها[١٨٢]، ونلاحظ من رسالة جودت باشا أن التعرف من هذا النوع لم يكن معروفاً في بقية الولايات العثمانية وأنه لم يكن هونفسه يعرفه سابقاً ، بعض الشبان كانوا يتعرفون على أكثر من فتاة وكذلك بعض الفتيات لم يلتزمن بالتعرف مع شاب واحد ، وكانت العملية تتم بأن تنتظر الفتيات على أبواب حدائقهن أو على النوافذ المغطاة بالخشب المشبك أو على حائط الحديقة ، وكان تتم أيضاً أثناء عادة أهل سراييفو وقتها من الخروج إلى منطقة هريد خارج المدينة بمناسبة جورجف دان[١٨٣]، حيث يجتمع معظم أهل سراييفو على اختلاف أعمارهم وتجري عملية التعرف (عشق فانيا) طيلة اليوم ، وكما ورد في مجلة البوسنة سنة ١٨٦٨ أنه حصل وفقاً للعادة (عشق فانيا) هذه السنة أكثر من أي وقت سبق وذلك في جبل هريد واستمر من الصباح الباكر حتى وقت متأخر من الليل[١٨٤]، ومن الواضح أن عشق فانيا عادة مشهورة وأن الشباب لم يخفوا رغبتهم فيها وتكلموا عنها علناً وصراحة ، كما علقت مجلة البوسنة : عادة عشق فانيا هي التعرف بين الشباب والفتيات وهي عادة معروفة وتوجد في سراييفو أكثر من غيرها ، إذا روعي فيها التزام الآداب والأخلاق فليس ثمة موجب لنقد العملية أو تعريضها للتهمة والشبهات[١٨٥]، ومن المناسبات للتعرف أيضاً كانت الرحلات العامة حين يختارون أشخاصاً بهدف التعرف عليهم أكثر ، وتفيد المصادر أن عملية التعرف بين الجنسين وفقاً للعادات جرت في أيام معينة أي يوم الإثنين ويوم

---

١٨٠ انظر أ . حغليفردينغ المرجع السابق ص ٦٨

١٨١ ح . كريشيفيلياكوفيتش المختارات ٤ ص ٧٥

١٨٢ المرجع السابق

١٨٣ البوسنة رقم ٠٠١ ٩٢/٤/٨٦٨١و ١١/٥/٨٦٨١ ص ١

١٨٤ المرجع السابق

١٨٥ البوسنة رقم ٨٥ ٢٦/٦/٨٦٨١و ٨/٧/٨٦٨١ ص ١

الجمعة ويوم السبت[186]، الإثنين والجمعة هما يومان للمسلمات بينما كانت الفتيات النصرانيات يتعرفن على الخطباء يوم السبت.

وروعي في تلك العملية الأخلاق التي هي أعظم قيمة إنسانية واحترمت في ذلك الوقت احتراماً كبيراً ، لذلك عشق فانيا أو التعرف بين الجنسين لغرض الزواج كانت ملتزمة بالأدب فالمحادثة تكون عفيفة ودون رفع الصوت ، حتى أن رنر وهو أحد الكتاب النصارى يقول[187]: «تعجب من أدب المسلم في العملية ، يتبادل الشاب والفتاة في حديثهما تعابير الإعجاب والمحبة ولكن الاختيار لمن يتعرف عليه ومن لا يتعرف عليه كان مهماً جداً ، قلما يحدث أن يتعرف الشاب الفقير على الفتاة الغنية[188]»، ونستنتج أن ثمة عناية فائقة في اختيار الشاب أو الفتاة للتعرف ، قصة العم ريستو الذي وقع في الحب أيامها ووصفها أحد الكتاب في مقالته بما يلي :»لم يبق شيء دون أن تقع عين البشر عليه فكذلك شاع في حارتنا قصة العم ريستو والأرملة واسمها داشا التي سكنت في زقاق مجاور لسبيل الماء وكان العم ريستو يأتي الماء متأخراً في الليل ويطيل البقاء[189] وأرادت الأسرة أن تؤكد الخبر فحاولت إقناع أخ الكاتب وكان يكبره أن يتجسس عليه في الليل عندما يذهب إلى سبيل الماء[190] .

وما يدل أن التعرف كان بين أتباع الدين الواحد هي حادثة آنتو يركوفيتش النصراني والذي حاول التعرف على فاطمة وهي من الغجر المسلمين فقام مختار الغجر أحمد نيكشيتش فضربه وجرده من ممتلكاته الشخصية[191]، ولم يعاتب أحمد على تصرفه ، بل فضلًا من أن يعاقب عليه تم معاتبة آنتو ولم يسأل أحد هل تم إيذاؤه ، أي أن مخالفته كانت كبيرة إلى درجة السماح بكل عقاب عليها ، نستنتج من هذا أن التعرف بين الجنسين (عشق فانيا) لم يكن دون مراقبة الكبار ، في الظاهر تبدو فقط أنها بين الشاب والفتاة ولكن المراقبة تأتي صوناً للعلاقة ودرءاً للمشاكل كتلك التي حصلت مع آنتو حيث لم يخطر ببال أحد من الناس أن يدافع عنه .

---

١٨٦ عملية التعرف بين الجنسين كانت في يوم الأحد الخامس أيام صيام النصارى حين تخرج فتياتهم إلى الكنيسة ، ستيفو كالوجريتش ، من تاريخ سراييفو ص ٥٦

١٨٧ هنرك رنر المرجع السابق ص ٧٨

١٨٨ ثمة مثالمن هذا القبيل روتهصحيفة سراييفو أن فتاة وهي فقيرة أراد شاب التعرف عليها وتم إبعادها عنه لكلام الناس أنها تريد المال واستطاع الناس إقناع الشاب أن يتركها ، ميلانوفيتش ميخايلو ، ميرازو شاماري في صحيفة سراييفو سنة ١٢ رقم ٩٧ سنة ٨٦٨١

١٨٩ ن.ن. عم ريستو في صحيفة سراييفو سنة ٣٢ وقم ٤٤ سنة ٠٩١٠

١٩٠ المرجع السابق

١٩١ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ، ٣٤١١/٦٦

كانت الحفلات ملتقى الرعايا الأجانب في ذلك الوقت باعتبارها مناسبة للتعرف جرت عليه العادة بين أهالي بلادهم ، وأثناء تلك الحفلات كانت تقع في كثير من الأحيان خصومات على الفتيات، وفي مناسبة حفل الرقص الذي أقيم في البعثة الدبلوماسية النمساوية بضيافة سعادة المبعوث الدبلوماسي النمساوي هاس تخاصم معاونه [١٩٢] ومدير مكتبه بافورليا وبونبيك بسبب السيدات ولطم بافورليا بونبيك على وجه ، ولم يجدا حلاً آخر للقضية غير نقل الأول إلى حلب والثاني إلى بلغراد[١٩٣].

حصلت الخصومات من هذا النوع حتى في الشارع ، فقد تخاصم فيليب دوبلانيتش مساعد النجار مع نيكولا باتينيتش بسبب فتاة اسمها سارة وبلغ أمرهما البعثة النمساوية وطلب منها معاقبة فيليب[١٩٤] . ولم تكن الخصومات من هذا النوع منتشرة بين السكان المحليين فكان الشباب يتعرفوون على عدة فتيات ويلهون معهم دون جدية وكان الخيار في نهاية الأمر للفتيات ، ومن الفتيات المشهورات آنذاك دانشا وآنا اللتان كانتا ولفترة طويلة ماضيتين في التعرف بالشباب، وجاء في مقالة قصيرة بعنوان « الأيام الماضية في سراييفو» لكاتب في صحيفة سراييفو[١٩٥] : «كثيرون من الشبان كسروا أعناقهم في التودد إلى آنا والتفوا حول باب بيتها كالخفافيش محاولين أن يلتقطوا كلمة أو كلمتين منها فذهبت جهودهم سدى ، كانت تتعرف على غليشو غلام السيد سيمبيت وفي الآونة الأخيرة بدأت تتقرب من ديمشو وتفضله أكثر[١٩٦]»، وكما رأينا من المحبذ للفتاة أن يكون لديها أكثر من طالب إذا صح التعبير أي خاطب ليتسنى لها أن تختار واحد منهم فقط ، وإذا لم يأتها أحد نصحوها أن تجمع من مياه النواعير ثم تضع فيها بيضاً ملوناً وتغسل وجهها بالماء سبعة أيام في الصباح قبل طلوع الشمس فإذا فعلت لا تهتم لأن الخاطبين سيقبلون كما تقبل النحل على العسل[١٩٧]، كانت تلك هي المساعدة الوحيدة لهن بينما استعمل الشبان الأساليب المتنوعة ليظهروا جدارتهم أمام الفتيات ، فتكون الأسبقية لأولاد الأغنياء الذين أظهروا مهارتهم في ركوب الخيل أمام الفتيات وتريب الخيل على أن تبقى في مكانها ولا تبرحه لكسب انتباه الفتيات ، ووصفت هذه الطريقة في التقرب إلى الفتيات بالتفاخر على الخيل [١٩٨].

---

١٩٢ كلمة فرنسية للطالب المعاون أو المعيد

١٩٣ بوبنيك كان خطيباً لبنت هاس ، مارتن غيورغيفيتش المرجع السابق ص ١٣ ـ ٢٣

١٩٤ الوثيقة تطلب معاقبة شديدة لأنه أثار الخصومة مع نيكولا لأجل فتاته سارة ، أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٦٦/٩٦٥

١٩٥ ميهايلو ميلانوفيتش : هكذا قدرهم صحيفة البوسنة سنة ١٢ رقم ٠١ سنة ٨٩٨١

١٩٦ المرجع السابق

١٩٧ فهيم . م . بيغوفيتش المرجع السابق ص ٢٠١

١٩٨ أ ف غليفردينغ المرجع السابق ٥٨

لم يكن هناك فترة معينة أي محددة للتعرف ،غالباً ما يكون الحال بناء على الوضع المالي ، وغالباً ما كانت تطول فترة التعرف عشق فانيا عند الفقراء لأن الوضع المالي لا يسمح بتكوين الأسرة مباشرة ، وأفادنا جودت باشا بحقيقة ذلك الوصف بأنه واقع وأنه بذل جهوداً مع والي البوسنة وكبار العلماء وبقية موظفين الدولة هدفت إلى جمع مبلغاً متواضعاً من المال للعروسين الفقراء فيزوج الشاب والفتاة الذين طال التعارف بينهما[١٩٩]، ومن المثير للاهتمام أن جودت باشا يصف فتيات سراييفو أنهن : ماهرات غاية المهارة في إيجاد الزوج[٢٠٠] .

أما إذا تم التعرف بين الشاب والفتاة دون موافقة الأهل فإن الأمر ينتهي باختطاف الفتاة من أهلها، ولم يكن الاختطاف كثير الوقوع في سراييفو خلافاً لانتشاره في القرى[٢٠١] ، وأسباب الاختطاف في الغالب مادية [٢٠٢] أي يتم الإقدام على اختطاف الفتاة حتى مع علم الوالدين ليوفروا تكاليف الزفاف ، يغضب والد الفتاة فترة ثم يهدأ ويحمد الله عز وجل أنه بهذه الطريقة وفر على نفسه مبالغ طائلة لعدم وجود حفل الزفاف ، كما علق على هذه الظاهرة جودت باشا أفندي[٢٠٣]، ولم نعثر على حالة اختطاف لفتاة في الفترة التي ندرسها ، ويخبر باشيسكيا عن حالة اختطاف جرت في عهده فيقول : « باقر جيبولا ذلك الشاب الملتحي المعروف بصحبة الفسدة وأصحاب الأخلاق السيئة اختطف ابنة المرحوم حاج عثمان تاندارا من السيارة ووضعها على الحصان أمامه يصحبها إلى بيته ليتزوج بها ، ولكن الغطرسة لا يحبها أحد لذلك جاءت الفتاة إلى المحكمة بعد يومين وصرحت أنها لا ترغب بالزواج من فلان ونجت بنفسها وعادت إلى بيتها ، أما باقر المختطف فقد نجى بنفسه بالهروب من المدينة وإلا لألحقوا به الضرر، وصار

---

١٩٩ ح. كريشيفيلياكوفيتشا المختارات ٤ ص ٧٥

٢٠٠ المرجع السابق

٢٠١ ما يجعلنا نستنتج هذه النتيجة أيضاً هي رسالة أحد القساوسة يقول فيها : أرجو كذلك أن يسمح لي إن اقتضت الحاجة أن أسمع بالزواج والسبب هو أن السنة صعبة وحرجة والتي قبلها كانت مثلها والضرائب أثقلت كواهل الناس فلا يتزوج أحد إلا نادراً لعدم القدرة على الإنفاق وتكلفة الزفاف ، جماعتنا لديها عادة بليدة وهي منتشرة جداً لأن الناس لا يملكون النقود لصرفها في الزفاف فالمعاناة والفقر جعلاهم يلجأون إلى الأنكحة الآثمة وهي أن تأتي الفتاة وحدها إلى الشاب فلا يتكلف أحد الزوجين نفقة الزواج ، الأهالي يدعمون هذا العمل وهو ما يبرهن على أنه جاء بموافقتهم لأسباب مادية وإذا سألهم أحد عن الوضع يسكتون ويوافقون بصمتهم ، أندريا زردوم المرجع السابق رسالة رقم ٦٢١ ص ٧٧١

٢٠٢ جودت أفندي يكتب في وصف ما جرى : الزفاف تتبعه تكاليف باهظة حتى يصطر الفقراء إلى الاستقراض و، لكي يتجنبوا ذلك عادة تهرب الفتاة فلا يتكلف أهل بيتها مصاريف زفافها ، ح . جريشيفيلياكوفيتش المختارات ٤ ص ٧٥

٢٠٣ المرجع السابق

الناس يتحدثون عن هذه الحادثة أثناء شهر رمضان ويتناقلونها بينهم[٢٠٤]، لا نعرف هل السبب الرئيسي في عدم وجود مثل هذه الحالات في العقود التي تلت هو وجود العقاب وإمكانية هروب الفتاة إلى القاضي وترفع أمرها إليه ولكننا على يقين أن هذه الأمور أثرت على حل هذه المشكلة وحدت من انتشارها.



٤,١ عشق فانيا على الباب

٢٠٤ ملا .م.باشيسكيا المرجع السابق ص ٤٥٢


Ašikovanje. Momak pred pendžerom svoje drage

٤,٢ عشق فانيا وراء الشباك

التوفيق (التوسط في الزواج) والمرافقة والخطبة وتوابعها

إذا اتفق الشاب مع الفتاة حول أمر زواجهما يأتي دور التوسط والمفاوضات ويقوم به الأقارب والأصدقاء والمقربون من الناس حيث يدرسون كل العوامل المتعلقة بالزواج ، لذلك يمكننا القول أن الزيجات التقليدية كانت متفقة ومدبرة ، الزيجات المدبرة تقليد محترم ومرغوب فيه أي أنه يعتبر ترتيباً طبيعياً لأحداث الزواج ، وتفيدنا المصادر أن الدور الأهم في الزواج كان للوسيط ، هناك عدة طرق للتوسط في الزواج ، منها الطرق المعتادة وقتها وهي طريقة التفرغ للوساطة وهي عادة اليهود آنذاك وفيها تظهر مهمة الناس الذين تفرغوا لهذا العمل بامتهان

المديح للشاب أو الفتاة وإبراز محاسنهما وفضائلهما ، وكانوا يسمون هذه الفئة من الناس كازامنتاروس وفيهم رجال ونساء ، وإذا ما أجادوا العمل يحصلون على مكافئة ، ومن أشهرهم يومئذ في سراييفو موشو أساق أبينوم ، وهنادي لييون إلخ [٢٠٥] ، في بعض الحالات يتم فتح المجال للشاب أن يختار فتاة يتزوجها لأن النساء كما ذكرنا سابقاً كن يغطين وجوههن وكانت بعض الفتيات يضعن الشال على شعرهن ويكشفن وجوههن حتى يراهن الشبان[٢٠٦]، تتفق العائلات النصرانية الأرثوذكسية على الزواج بين أولادها أو مع عائلات من الدرجة نفسها في الغنى من خارج سراييفو.

ظل بيرو عازباً في بيت حاجي ريستيتش لفترة طويلة حتى شارك كل أفراد الأسرة في محاولات إيجاد عروس له ، وكما علمنا من رسائل كاترينا حاجي ريستيتش[٢٠٧] أنها توسطت في أمر زواج حموها ، وحاولت إقناعه بالزواج من صديقتها ميرا ، تقول في إحدى رسائلها: « ميرا تبلغك السلام» وقالت ذلك ـ في محاولة أن يفهم بيرو نواياها ، وفي المراسلة اللاحقة تصرح : «سألتني ميرا ليلة الأمس ماذا كتبت لنا ومتى ستأتي إلى هنا [٢٠٨]»،لم تتوقف كاترينا في محاولاتها فكتبت في السنة التالية ١٨٦٢م ما يلي : «إلهي نرجو عافيتك حتى نحضر زفاف بيرو[٢٠٩] «، لم تكن كاترينا ماهرة وخبيرة في الوساطة لذلك لم تنجح في تزويجه بها أي حموها بيرو وصديقتها ميرا ، وتزوج بدلاً عنها بفتاة من بيت كرسمانوفيتش [٢١٠] .

وجدت الوساطة لدى المسلمين أيضاً وقامت بها النساء فقط لأنهن كن على معرفة بالبنات وبإمكانهن التوصية بالفتيات لبيوت لائقة شرفاً ومالاً ، احترم الناس هؤلاء النسوة ولهن دور كبير في التزويج وكلمتهن لها احترام لدى الجميع ، عادة تطلب الأسرة منهن التأكد من صلاحية الطرف الثاني ، بعد ذلك وبحصول الموافقة من الطرفين يأتي دور الأسرة وهي تتقدم للخطبة دون تخوف من الرفض ، وعادة تقوم النساء برؤية الفتاة جيداً ويتحدثن معها دون أي حرج [٢١١].

متوسط الأعمار للزوجين

---

٢٠٥ أفرام بنتو المرجع السابق ص ٥٣

٢٠٦ المرجع السابق

٢٠٧ أرشيف البوسنة والهرسك ز هـ صندوق رقم ٢ الرسائل الخاصة رسالة رقم ٣

٢٠٨ المرجع السابق رسالة رقم ٤

٢٠٩ المرجع السابق رسالة رقم ٦

٢١٠ لم ترض عن قراره الحاجة الكبيرة في البيت والأسرة لأنها كانت ترغب أن يتزوج من فتاة من الجيران

٢١١ يوهان روسكيبفيتش المرجع السابق ص ٨٠٢

من الميزات الأساسية في أمر الزواج هو عمر الزوجين، وباعتبار أن الزواج فضيلة يسمو إليها كل مؤمن فإن السؤال المطروح هو هل ثمة تحديد أو عادة في السن المناسب للزواج ؟ وبعد بحثنا في المصادر فإن هناك ما يدل على وجود التحديد وأنه خولف في بعض الأحيان، وقد ورد ذلك في إعلان في صحيفة البوسنة ورد فيه : «حصل من فترة قريبة أن أحد الشباب خدع فتاة قاصرة لا تصلح للزواج وهذا مخالف للقانون والطبيعة ، ليس ضرورياً أن نشرح بإطناب كيف يكون عاقبة أمر فتاة تتزوج قبل وقتها، وحتى لا يحصل الأمر مجدداً أصدرتِ حكومة الولاية قراراً يمنع تزويج القاصرات ، وبلغ الأمر من الوالي للمفتش العام ويجب تطبيقه على كل مستويات الحكومة المحلية [٢١٢]»، نعرف من مقدمة الإعلان أن الأمر لم يكن يحترم سابقاً فتم الإعلان عنه مرة ثانية ولكن مع الأسف لا نعرف متى تصبح الفتاة بالغة في هذا الأمر ؟

ومن المثير للاهتمام أن كل يهودي في ذلك الوقت يلزمه الزواج قبل أن يبلغ الثالثة والعشرين من عمره والفتيات كن يتزوجن وأعمارهن بين ستة عشر إلى سبعة عشر عاماً[٢١٣] ، وتختلف إلى حد ما معلومات جودت أفندي عما سبق ، فيذكر في رسالته أنه رأى فتيات يبلغن من العمر ما بين عشرين إلى خمسة وعشرين عاماً يتعرفن على الشباب[٢١٤] ما يجعلنا نستنتج أنه عمر متوسط للزواج ، وحتى نتوصل إلى معلومات دقيقة حللنا المعلومات المسجلة عن حارة علي باشا من الإحصاء للحارات سنة ١٨٦٧م حيث تم الإعلان بتواريخ الميلاد والزواج لجميع المتزوجين فيها ، حارة علي باشا هي من أكثر الحارات بحسب عدد السكان ، يسكنها أناس من الطبقة الوسطى وفيها خليط من الأديان ، وعاش في الحارة ١١٧ أسرة أصغر زوجات الحارة هي زوجة يوطا بن يوفان تزوجت وعمرها اثنتي عشر عاماً ، ونذكر أنه لم يحصل غير مرة واحدة أن تتزوج فتاة في مثل عمرها ، ولتوضيح الصورة قررنا أن نقدم جدولاً يبين أعمار الزوج و الزوجة لدى الزواج في حارة علي باشا :

---

٢١٢ البوسنة رقم ٥٨ ، ٦٢/٦/١٨٦٧و٧/٨/١٨٦٧ ص ١ ـ ٢

٢١٣ آ. بنتو : المرجع السابق ص ٥٣

٢١٤ ح. كريشيفيلياكوفيتش : المختارات ٤ ص ٦٥

سن الدخول في الزواج	اناث	ذكور	سن الدخول في الزواج	إناث	ذكور
سنة41	1	2	سنة12	1	-------
سنة42	1	---------	سنة 13	----	-------
سنة43	1	2	سنة14	6	1
سنة44	2	2	15 سنة	2	1
سنة45	1	1	16 سنة	3	1
سنة46	---------	----------	17 سنة	2	------
سنة47	1	2	18 سنة	4	-------
سنة48	1	2	19 سنة	8	3
سنة49	1	2	20 سنة	8	4
سنة50	---------	1	21 سنة	1	----
سنة51	1	----------	22 سنة	4	----
سنة52	---------	2	سنة23	12	2
سنة53	--------	1	سنة24	8	5
سنة54	---------	----------	سنة25	7	5
سنة55	--------	1	سنة26	2	3
سنة56	--------	1	سنة27	10	8
سنة57	---------	----------	سنة28	4	5
سنة58	---------	----------	سنة29	6	10
سنة59	---------	---------	سنة30	4	2
سنة60	---------	----------	سنة31	2	5
سنة61	---------	---------	سنة32	3	6
سنة62	--------	----------	سنة33	4	9
سنة63	---------	----------	سنة34	1	6
سنة64	-------	1	سنة35	----	3
سنة65	--------	----------	سنة36	1	3
سنة66	---------	---------	سنة37	1	3
67.g.	---------	----------	38.g.	----	5
68.g.	--------	1	39.g.	2	4
70.g.	---------	---------	40.g.	1	2

معلومات الجدول تفيد أن السن الغالب للزواج لم يكن مبكراً للغاية ، كما رأينا تتزوج الفتيات ما بين ١٤ إلى ٣٣ سنة ونؤكد أن الزواج في مثل هذا السن لا يمكن اعتباره زواجاً من منظورنا المعاصر .

طبعاً لا يمكن أن نتغافل عن المعلومات التي أفادت بزواج الفتيات دون الرابعة عشر من عمرهن ولكن عدد مثل هذا الزواج واحد من ١١٧ حالة بينما نجد النساء يتزوجن بعد الأربعين من العمر وذلك في إحدى عشرة حالة من العدد نفسه ، أما بالنسبة للرجال فإنهم يتزوجون بعد التاسعة عشر من العمر .

من الجدير بالذكر أن الشباب الذين تزوجوا في سن الرابعة والخامسة والسادسة عشر من عمرهم تزوجوا بفتيات أعمارهن ما بين ١٢ إلى ١٤ سنة ، لذلك كان من الطبيعي أن يتزوجوا بفتيات يصغرهن بسنة أو بسنتين ولكن مثل هذا السن يعتبر من منظورنا المعاصر مبكراً للزواج ، وأفادنا الجدول أن الزيجات من هذا النوع نسبتها منخفضة ، وتزوجت إحدى النساء ولأول مرة وعمرها ٥٠ سنة .

من المثير للاهتمام أن شيفكو سرنوغورشيفيتش والذي تزوج في فبراير سنة ١٨٦٤م أسدى نصيحة في تحديد سن الزواج جاء فيها أنه لا يؤيد زواج أحد إذا بلغ ٢١ من عمره بل يجب أن يبلغ ما بين ٢٤ إلى ٣٦ عاماً[٢١٥]، وتوافقت النصيحة مع المعلومات الواردة في الجدول والتي أفادت أن الشباب ما بين ٢٠ إلى ٣٠ عاماً لا لايقبلون على الزواج لا سيما الرجال ، وبناءاً على خبرته الشخصية يتابع في نصح غيره قائلاً إذا جاوز الرجل ٣٦ عاماً فلا ينبغي أن يتزوج البتة[٢١٦] .

نذكر في هذا الصدد معلومات من حارة فرحات باشا حيث تسكن عائلات التجار الغنية وثمة عدد من المستأجرين فيها ، ورغم أن معظم رجال الحارة لديهم إمكانيات مادية ومستقبلهم مؤمن فليس ثمة داعي لتأخير الزواج لا نكاد نجد من يتزوج فيها دون ٢٢ عاماً من العمر .

غالباً ما يكون الزواج المتأخر في السن إذا كان أحد الزوجين أرملاً ، وفي هذه الحالة يجب التنبيه أن الفارق في السن شكل عاملاً مهماً ، فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الشباب يتزوجون فتيات أصغر منهم سناً تفيد المعلومات أن الشباب والفتيات وقتها كانوا صغيري السن نسبياً إذا قارناهم بالمعتاد في عصرنا ، بينما يختار الشباب وأعمارهم ٢٢ عاماً فتيات أعمارهن ما بين ١٥ إلى ١٦ عاماً فالفارق في السن ليس كبيراً والفتاة تكون في هذا العمر صغيرة السن ، لذلك نتساءل ماذا يحصل بالرجال الذين كبروا في السن ولم يتزوجوا قبل ذلك ؟

نعود إلى حارة علي باشا فنجد أن ما بلغنا من معلومات بعد تحليلها تفيد أن الأرامل من الرجال يبحثون عن أم لأولادهم وأن الفتاة التي ليست لها خبرة في الحياة لا تناسبهم لأداء هذا الواجب ، في مثل هذه الحالات يقررون الزواج بالفتاة الكبيرة في السن والتي لم تتزوج من قبل مثل ما

٢١٥ ذكريات شيفكو سرنوغورشيفيتش ص ٧٦

٢١٦ المرجع السابق

تفيده الأمثلة القادمة : بقي بوشكا محمد أرملاً مع ولديه الصغيرين ولا نعرف المدة التي بقي فيها على حاله ونفترض ستة سنوات أو نحوها أي عمر ولده الصغير لدى زواجه الجديد ، و زوجته الجديدة زيلخا كان عمرها ٤٢/٤١ عاماً وتصغره بعشر سنوات[٢١٧]، المثال المشابه نجده في حالة يوفان بن سيمو الذي بقي أرملاً وله أيضاً ولدان وتزوج ستانا بنت سفييتكو وعمرها وقتئذ ٥١ عاماً وتصغره خمسة إلى ستة أعوام[٢١٨]، الحالة كانت متقاربة في زواج الأرملة إذا قررت أن تتزوج من جديد ، فزينب بنت حسن أرملة ولها ولدان تزوجت بحسن دوكو وتصغره سنة فقط وذلك لما كان عمرها ٤٤ سنة [٢١٩]، نستنتج مما سبق أن السن في حالات الزواج الجديد لا يختلف كثيراً بالنسبة إلى الفارق بين الزوجين ، ووفقاً للقاعدة غير المكتوبة أن الزوج يكبر زوجته سناً وثمة استثناءات لها خلفية في المصالح .

تزوج ساشاك أحمد وله أربعون عاماً بأرملة اسمها فاطمة تكبره خمسة عشر عاماً ولديها أولاد ، بينما كان أحمد مزارعاً كانت هي صاحبة البيت والأراضي[٢٢٠] ، وكان الفارق أقل شأناً في حالة ميميتش حسن الذي تزوج بحنيفة التي تكبره خمس سنوات ولكنها تملك بيتاً[٢٢١].

مما سبق نستنتج أن الفتيات يتزوجن وأعمارهن بين الرابعة عشر إلى الثالثة والثلاثين والشباب يتزوجون وأعمارهم ما بين الثالثة والعشرين والواحد وأربعين سنة ، ويتراوح الفارق ما بين أربع إلى عشرة سنوات ولكن المتوسط في الفارق يكون خمس سنوات، ويجب أخذ هذه المعلومات بشيء من الحيطة لأنه يستحيل تحديد الأعمار في هذه المسألة ،

هدفنا كان الوصول إلى الأعمار المتقاربة حتى نبرهن أن الأسبقيات الفكرية حول تزويج الفتيات الصغيرات على عهد العثمانيين ليست لها أساس في الواقع ، رغم هذا لا ندعي أنه لم توجد هذه الحالات في سراييفو البتة غير أنها استثناءات وليست أمور اعتيادية .

---

٢١٧ علي بيتيتش : حارة علي باشاص ٠٤

٢١٨ المرجع السابقص ٩٤ ــ ٠٥

٢١٩ المرجع السابق ص ٢٤

٢٢٠ المرجع السابق ص ٧٤

٢٢١ المرجع السابق ص ١٥ ــ ٢٥



٤,٣ العمر المناسب للزواج

اختيار الزوج وتمحص حالته الاجتماعية كان جزء من السياسة العليا للأسرة ، خاصة وأن الجزء الثاني من القرن التاسع عشر شهد تحولات اقتصادية كبيرة في سراييفو ، وأصبحت بعض البيوت غنية بتجارتها بينما تدهورت أوضاع بيوت البشوات ، لذا فتح المجال أمام الزيجات المبنية على المصلحة أو وفقاً للرغبة المادية ومصلحة الأسرة فيها حتى أنه قيل آنذاك: أتزوج التي تشابهني لأنني ألقى نفسي عندها[٢٢٢] . ولكن لا ننسى أن العملية التي غالباً ما تكون مدبرة في قصة رومانسية فريدة من نوعها رافقتها معارضة الأفراد[٢٢٣]، وقلما يوجد مثال لشخص يأتي من الطبقة العليا يتزوج ممن دونه في الرتبة الاجتماعية ، فإن غضب الوالدين في مثل هذه الحالات يكون كبير جداً .

لم يأذن سليمان وعيم بيك جينتيتش لابنته أن تدخل عليه بعد أن تزوجت رجلاً ليس له لقب بيك ، وبلغ غضبه منها مدى يشهد به تصرفه بعد ذلك تجاهها رغم أنها كانت بنته الوحيدة ولم يرها بعد زواجها البتة[٢٢٤]، وثمة دواعي عديدة للزواج المدبر له ومنها نيل الشرف والمنزلة والمصالح المادية وسمات المرأة المجدة إلخ ، بجانب ذلك أخذت الأموال تبدو فيه بأشكال متنوعة فمنها العقارات ، ممتلكات غير منقولة ، الأعمال وتوقعاتها إلخ ، وهناك عوامل أخرى تؤخذ بعين الاعتبار مثل الصيت ، العائلة ، زواج قبل ذلك ، جمال إلخ ، كل هذه العوامل كان لها وزنها في اختيار الزوج[٢٢٥].

يؤكد غيلفردينغ أنه من المشرف للبوسنيين أنهم لا يقيمون الوزن الأكبر للدراهم والدنانير فيما يتعلق بالزواج من فتاة ما [٢٢٦] ، حيث تقتضي المصلحة أحياناً وجود المرأة في المنزل كما في حالة ماتو ماريتش وهو خباز من النمسا من سكان سراييفو يستأذن مكتب الزواج في بعثة النمسا

---

٢٢٢ فيليب آريس ، جورج ديبي : تاريخ الحياة الخاصة ٤ ص ٧٠١

٢٢٣ سبوت يعتبر أن العائلات الغنية وذوات الشرف تتفق على الزيجات بناءاً على مصالحها ويحصل كثيراً أن لا يرى العروس زوجته إلا بعد إنعقاد الزواج : يوهان أسبوت المرجع السابق

٢٢٤ ح . كريشيفيلياكوفيتش : المختالرات ١ ص ٧٧٣

٢٢٥ قارن فيليب آريس ، جورج ديبي المرجع السابق ص ٥١ ـ ٧١

٢٢٦ آ.ف غيلفردينغ المرجع السابق ص ٥٨ ، ميشيل بيرو يذكر أن النكاح في أوروبا سادته القواعد الصارمة التي تنظم نقل الأموال والمهور والنساء ، تقدر المرأة الخدوم والمجتهدة لأنه يوفر على نفسه بالزواج معها فيسدد ديونه أو يتوظف كحرفي ، ويمثل الشعب المرأة على أنها صندوق التوفير المحبذ ، فيليب آرسي جورج ديبي تاريخ الحياة الخاصة ٤ ص ٨٠١

الدبلوماسية بأن يتزوج بميري بيوفيتش من سراييفو لأنه « لم يعد يتحمل بعد وفاة زوجته عبء أعمال البيت والاعتناء بثلاثة أولاد[٢٢٧]»، ونرى هنا أن مصلحة ماتو لم تكن مادية ولا علاقة لها بالجمال وإنما يحتاج إلى إمرأة تعتني ببيته وأولاده .

كما زوج مصطفى باشا بابيتش وهو من أشراف مدينة سراييفو بناته الثلاث بأشراف سراييفو - عكي بيك وعمر بيك فاضل باشيتش و موستاي بيك سليمان باشيتش[٢٢٨].

كانت من أهم سمات اليهود وقتها هي وحدة الطائفة ، فحياتهم حتى قبل مجيئهم إلى البوسنة كانت وفق قاعدة (زعامة الوالد) على مستوى عائلة يكثر أفرادها ، الأسر تتكافل ضمن عائلة واحدة ، طبيعة أعمالهم وحرفهم فرضت عليهم هذا النمط من الحياة ، تزاوجوا فقوت جماعتهم وتأصلت روابطهم[٢٢٩].

في يوميات باشيسكيا نجد الزيجات المبنية على المصلحة ، فهناك إمرأة من منطقة فراتنيك خنقها زوجها وفقاً لما ورد من قصص لأنها رفضت إعطائه أموالها[٢٣٠]، وما أورده عن حالة العجوز عودي باشا الذي تزوج أرملة وانتقل إلى بيتها ولكنه عجز عن كسب الأموال فطردته من بيتها فتنقل بين المقاهي ومات بعد عدة أيام[٢٣١]، مصلحة العجوز كانت بسيطة جداً وهي بيت يؤيه بينما توقعت زوجته أكثر بكثير ، وثمة قصة من حياة أهالي سراييفو يرتب مؤلفها أسباب اختيار الفتيات ترتيباً متتالياً في صدر التعرف (عشق فانيا) : إذا كانت وحيدة لا أحد لها ، إذا كانت مجتهدة وإذا كانت جميلة مثل الصورة[٢٣٢]، إن موضوع المصلحة معقد للغاية باعتبار أن الدين يطالب بالزواج لاستمرار النسب وذلك بحد ذاته مصلحة معينة ، وهدفنا أن نذكر المصالح المنتشرة وقتها في سراييفو في الفترة المقرر دراستها .

معظم الزيجات تم انعقادها بالطريقة التقليدية ولكن لا يمكن أن نتغافل المعلومات التي تفيد بأن بعض الزيجات تمت على أساس المحبة ، هذا لا يعني أن الزيجات التقليدية ليست مبنية على المحبة بالعكس فقد توفر فيها هذا العنصر غالباً، ونود أن نشير إلى وجود طريقة لانعقاد الزواج دون اتباع الخطوات التقليدية بحيث يتم القفزعن الخطوات التقليدية ويحصل ذلك

٢٢٧ ارشيف آ أ غ ك ر ٩٦/٦١٨

٢٢٨ ح . كريشيفيلياكوفيتش ، المحتارات ١ ص ١٨٣

٢٢٩ أفرام بنتو المرجع السابق ص ٤٢

٢٣٠ ملا مصطفى باشيسكيا المرجع السابق ص ٧٧١

٢٣١ المرجع السابق ص ٨٣٢

٢٣٢ ميلوفانوفيتش ميهايلو : ميرازوشا ماري في صحيفة سراييفو سنة ١٢ رقم ٩٧ لعام ٨٩٨١

من قبل الرعايا الأجانب إلا أن نظرة أهالي سراييفو إلى ذلك الزواج كانت نظرة الازدراء علماً بأن سراييفو مدينة يكثر فيها الكلام[٢٣٣] ويتم تداول القصة بنقلها من بيت إلى بيت فتعبر القصة من خلال جدران البيوت دون أن تحدث شقوق فيها فالتقاليد في الزواج سادت في البوسنة إلى أواخر الحكم العثماني لها ولو كان ذلك الحكم بشكل غير مؤثر ، ونذكر بعض الأمثلة على الزيجات غير التقليدية المنعقدة في الفترة المذكورة والتي حصلت بين السكان المحليين والرعايا الأجانب.

تزوجت داشا بنت الحاج إليا في سنة ١٨٦٥م بـ يوفو سافيتش ولم تسعد أسرتها بهذا الزواج ولم يعصمها اختيارها فلم تكن تتصل بها إلا نادراً ، تكتب داشا قبل ذلك لوالدها : «لماذا ابتعدتم عني، أنا لم أغير ديني وانما ارتحلت[٢٣٤] »، وقعت داشا في الحب بسافيتش وهو شاب لما كانت تزور أقاربها في صربيا مع أنه لم يكن كفؤاً لها ، الأمر تعلق بالحب لا بغيره، ورغم كون داشا تزوجت مع إذن أهلها إلا أن العروس لم يكن يليق بها وفقاً لمعايير أسرتها ؟.

في عام ١٨٦٦م ظهر وباء الطاعون في سراييفو وغادرت العائلات الغنية البلاد ، وانتقلت إلى مدن أخرى ، ذهب ريستو حاجي ريستيتش إلى فيسوكو ، كما رحلت للأسباب ذاتها بيلكا بنت مانويلو يفتانوفيتش ، لم يدم التعارف بينهما طويلاً وقررا الزواج بسرعة وظهرت مشكلة القرابة بينهما ، استئذنا من الكنيسة في سراييفو وكنيسة قسطنطينية وقررا زواجهما بعد ذلك مباشرة [٢٣٥].

ومثال آخر انتهت فيه المحبة بين يوزو بن ماركو شوشت الذي عمل في البعثة الفرنسية الدبلوماسية ولوسا خادمة المبعوث البريطاني بالزواج، وشهد الزواج المبعوث البريطاني مع زوجته[٢٣٦]، ولم يكن ذلك شائعاً حيث حصل في بعض الأحيان أن لم يتوج الحب بالزواج مثل حالة

---

٢٣٣ الغيبة أو نقل الأخبار كانت منتشرة دائماً في سراييفو ، الموضوعات متنوعة من أمثال رسالة فرا غرغا ماريتش حيث يذكر شيئاً وصفه بالمضحك : في حديث مع المبعوثين الأجانب جاء التساؤل هل يزور كبار القساوسة الأرثوذوطس كبار القساوسة الكاثوليك بعض المبعوثين روسوف هاس أقنعوا مارتيتش أن يسأل هل يرد عليه الجميل بالزيارة ويعرفون أنه لا يفعل ، أجاب أنه يعتذر باعذار من أمثال إني مريض فلم يزره ، هذا أثر على المبعوث الروسي فذهب إلى القس الكاثوليكي وزاره : د أندريا زردوم المرجع السابق رسالة رقم ٠٠٢ ث ٨٤٢ ـ ٩٤٢ ، كانت الغيبة لها عواقب وخيمة في بعض الأحيان فاضطر نستر غويكوفيتش أن يعلن أنه رجل صالح وترك الدراسة بقراره وليس كما تناقلت الألسنة في المدينة ، أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٠٦٨/١١٠١

٢٣٤ إ آ س آ ، ز هـ صندوق رقم ١ رقم الملف ٩٠٣

٢٣٥ فلاديسلاف سكاريتش : نمو أسرة تجارية في سراييفو ص ٠٦

٢٣٦ د. أندريا زوردوم : المرجع السابق ص ٧٧١ رسالة رقم ٧٢١

يوفو كوفاتشيفيتش من نيلكا من رعايا النمسا تركته فتاته التي أحبها قبيل الزواج وحزن حزناً شديداً وطلب العودة إلى النمسا لأنه لم يتحمل العيش بسراييفو بعدها[٢٣٧].

دعم المبعوثون من الدول الأخرى مثل هذه الزيجات كثيراً وكما تورد جريدة البوسنة التي قدمت أعمالهم على أنها أعمال كريمة ومثال يحتذى به[٢٣٨] في خبر نشرته كما يلي : « حصل يومها الزفاف بين الشاب آ . ك مع فتاة عذراء خادمة رئيس الشئون السياسية ، وكان السيد المذكور جواداً للغاية فدعاهم جميعهم إلى حفلة أقامها بالمناسبة وأكرمهم واستضافهم استضافة حسنة في منزله وسمح للقس فرا غرغا ماريتش أن يعقد الزواج بينهما حيث شهد ذلك أشراف القوم من الديانات المختلفة ، ورفع الحاضرون صوتهم بالتحية عدة مرات للمضيف الكريم[٢٣٩] .

اشترط لزواج الرعايا الأجانب إثبات عدم زواجهم سابقاً من خلال وثيقة تصدرها البعثة الدبلوماسية ، وكانت الوثيقة تصل من مكتب الزيجات من المدينة الأصلية للشخص[٢٤٠]، أحياناً يأتي الجواب أن الشخص متزوج كما حصل لإيفان يوفيتش لما قصد الزواج من يلينا شاباتش في سراييفو حيث جاءت الوثيقة من مسقط رأسه أنه متزوج ومنذ سنة ١٨٥٩ بـ آنا نيكيتش فلم يتمكن من الزواج مجدداً[٢٤١].

وجود الزواج الأول لم يعتبر عار بحيث يغير شيئاً في حياة المتزوج ، ولم يكن الناس يعيرون أو يتهمون المتزوج ، فالعار بمفهومه التام يلحقه فرد بأسرته إذا تزوج بمن ليس على دينه ، وقد بدا ذلك لما تزوجت فاطمة تاباكوفيتش بشخص يدعى مايقيتش ولم يسعها العيش في سراييفو حيث عاشت قبل ذلك مع أسرتها ، غادرت فاطمة سراييفو وانتقلت إلى النمسا حيث وجدت ملجأ إليها ، وغيرت اسمها وتسمت كاترينا وأخذت لقب زوجها ، وبعد فترة وجيزة توفي زوجها وبقيت وحدها فطلبت مساعدة أهلها من سراييفو لكنهم أجابوا وبصراحة أن فاطمة تاباكوفيتش والتي غيرت اسمها إلى كاترينا مليفيتش لا يمكن أن تحصل على مساعدة من أقاربها وبرروا ذلك بأن أسرة محمد آغا وهو والدها لم يعد لهم بيت يؤويهم[٢٤٢] ، لم يستطيعوا نسيان العار الذي ألحقته بهم بغض النظر هل كان بوسعهم وقتها أن يمدوها بالمساعدة أم لا

٢٣٧ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٧١٣١/٣٦

٢٣٨ خبر البوسنة ٦٦٨١/٤/٨٢ السنة الأولى رقم ٤ ص ٧٢

٢٣٩ المرجع السابق

٢٤٠ طلب الوثيقة يكون بالنص التالي : البعثة الفرنسية في سراييفو تسأل مقر البعثات أن تستعلم لدى القس الرئيسي هل لوكورسيا ساسهو بالي لا تزال عزباء ، أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٦٤/١٦

٢٤١ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٧٥١١/٧٦

٢٤٢ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ١٢٦/٢٦

غير أنهم لم يرغبوا في ذلك ، هذه الحالة فريدة من نوعها حيث تزوجت مسلمة بغير مسلم ولكن أيضاً لم نجد اختلاطاً بين الديانات الأخرى .

رغم كون الزنا جريمة يعاقب عليها ومخالفة لسنة الحياة فقد صار التفكير السائد إجبار بعض مرتكبيها على الزواج ، ويأتي الإجبار بسبب بسيط هو أن الجاني وعادة يكون الرجل يجبر بعد الفعلة المحظورة على أن يقوم بتأسيس أسرة مع فلانة ، ومثل هذا الزواج يعلن عنه أهالي الحارة ويبلغون به الزعامة الدينية ، وبما أن الرعايا الأجانب أو الوافدين على مدينة سراييفو أغلبهم نصارى كانت تلك الحالت تعرض على فرا غراغا ماريتش ليتدخل فيها .

حصلت قضية من هذه القضايا في صيف سنة ١٨٦٦م حيث أخبر سكان حارة عاشت فيها آنا فوكلارب القس فرا غرغا أن فلانة هذه تعيش مع راؤول بناسهوفيسكي دون عقد زواج بينهما ، بعد علمه بهذا طلب فرا غرغا ماريتش من المبعوث النمساوي أن يحل القضية في أقرب وقت ويتخذ خطوات لازمة[٢٤٣]، وبعدها طلب من آنا وراؤول وثيقة تثبت أنهما ليسا متزوجين سابقاً[٢٤٤]حتى يعقد الزواج.

وغالباً ما يكون الحمل إجبار للزواج كما حدث في قضية بيلا لوفريتش حيث اتهمت ستيبان بيبافا أنه يرفض الزواج بها رغم أنها حبلى منه[٢٤٥]، وبما أن بيلا لا تظهر في وثائق المحكمة نظنها وجدت حلاً لقضيتها بالزواج .

دور القس فرا غرغا ماريتش في قضية إيفكا ودومينيك مثير للاهتمام حيث أصرت إيفكا على طلب النفقة لولدها غير المشروع مع دومينيك ولم تصر على الزواج منه ، دومينيك وانتالوني كان إسكافي وكانت إيفكا غرغيتش أرملة ، وبعد فشل المحاولات للحصول على النفقة بطريقة التفاوض وجهت إيفكا رسالتها إلى المبعوث النمساوي لأن دومينيك من رعايا النمسا[٢٤٦] ، أجاب دومينيك على هذا الاتهام بقوله أنه ليس أبا الولد ورفض أن يدفع النفقة له[٢٤٧] ، وكما نرى من خلال اطلاعنا على الوثيقة فقد تحركت إيفكا بسرعة وأثبتت أن الولد له فكلف دومينيك بدفع أربعة آلاف بياستر (العملة المتداولة) لنفقة ولده غير الشرعي[٢٤٨] ، المبلغ المقرر كان يغطي لها تكاليف المحاكمة

---

٢٤٣ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٠٥٧/٦٦

٢٤٤ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٦٣٨/٦٦

٢٤٥ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ١٤٣/٣٦

٢٤٦ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر٩٣/٤٦

٢٤٧ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٠٦/٤٦

٢٤٨ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٤٨٦/٤٦ ومن المثير للاهتمام أن الحكومة البوسنية مثلت إيفكا في الإدعاء سنة ٤٦٨١م

لذلك قررت أن تطلب نفقة شهرية على ذلك ،وقضت المحكمة سنة ١٨٦٥م في شهر أبريل لصالحها وأمرت دومينيك أن يدفع لها نفقة شهرية قدرها خمسون بيستير ويكون المبلغ الإجمالي للسنة ستمائة بيستير [٢٤٩] ، وباعتبار دومينيك وإيفكا لم يتمكنا من الوصول إلى حل واتفاق وكلوا من يثقون بهم أن يمثلوهم في المفاوضات ، حيث فاوض باسم إيفكا فرا غرغا ماريتش ومثل دومينيك نيكولا بافلوفيتش ، وتوصلوا لاتفاق سريعاً وخلاصته أن تتخلى إيفكا عن النفقة .

بعد هذه القضية لإيفكا ونتيجتها قررت كاترينا بساريتش أن تأخذ حقها بيدها، وهي بدورها رزقت بولد غير شرعي من نيكولا غرمينيم وهو من العمال وعمل في مقهى من مقاهي سراييفو ، وجهت كاترينا رسالتها واتهمت نيكولا أنه أغراها مرتين بوعده بالزواج منها[٢٥٠] ، بلغ الولد وقتها عشر سنوات كما تدعي كاترينا دون أن يحصل على أية نفقة من والده ، وبناء على الادعاء دعت المحكمة نيكولا وهو من رعايا النمسا أن يدلي بتصريحاته حول الاتهام أنه وعد بالزواج منها[٢٥١] ، وبعد استماع المحكمة إليه حكمت عليه أن يدفع النفقة لها دون أن يتزوجها[٢٥٢] ، لم تنته القضية بهذا حيث توصلنا من المصادر إلى معلومة تفيد أنها لم ترض بالنفقة ولم يذكر الزواج بها[٢٥٣] ، واستمرت القضية عدة سنوات وتم حلها بطريقة فريدة من نوعها ، فبعد أن تيقنت كاترينا أن أمر الزواج بات محالاً صبت غضبها على نيكولا وفي مكان عام، وحصلت الحادثة في سبتمبر ١٨٦٧م حين التقيا صدفة فضربته كاترينا إلى درجة أنه نجى بحياته بشق الأنفس وهرب إلى المبعوث النمساوي طالباً منه الحماية [٢٥٤] ، ولم يقص الحادث عليه وهذا مثير للاهتمام لأنه بعد ذلك وبحسب الوثائق نستنتج أن كاترينا انتهت من مطاردته للحصول على الزواج منه والنفقة .

---

٢٤٩ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ١٥٣/٥٦

٢٥٠ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٦٨٣/٥٦

٢٥١ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ١٠٢/٧٦

٢٥٢ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ١٥٩/٧٦

٢٥٣ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٤٤٤١/٧٦ قررت المحكمة اعطائها ثمانين قرشاً يومياً

٢٥٤ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٣٧٣١/٧٦



٤,٤ لباس الفرح للعروسين

كانت إقامة الزفاف تعني انعقاد الزواج ، وطبقت فيه قواعد دينية صارمة ، ويتم انعقاد الزواج أمام القاضي أو في الكنيسة وفقاً للديانة أو لاختيار العروسين ، عندما نقول وفقاً لاختيار العروسين نعني به غير المسلمين الذين آثروا الزواج أمام القاضي بمحض رغبتهم ، وأسباب رغبتهم في الزواج أمام القاضي كانت متعددة ، أولاً لأن الطلاق يكون احتمالاً مفتوحاً وميسراً ، ثانياً لأن المرأة لا تخسر ملكيتها لأموالها وثالثاً أن المرأة تحصل على الحماية إذا اعتدى عليها أو إذا تم اختطافها ، ومن الأسباب أيضاً لانعقاد الزواج أمام القاضي هي القرابة بين الزوجين[٢٥٥] ، فقد حرم الإسلام الزواج بالنساء المذكورة في الآية ٢٣ من سورة النساء[٢٥٦] وحرمت النصرانية الزواج مهما كانت صلة القرابة بين الزوجين ، يستثنى من هذه القاعدة العامة إذا ما حصل الزوجان على الترخيص[٢٥٧] .

وتتضح لنا الصورة في هذا الأمر زواج فاسو حاجي ريستيتش وييلكا يفتانوفيتش ، فلم تكن بينهما أي قرابة غير أن الزوجة الأولى لمانويلو يفتانوفيتش والد ييلكا كانت أخت ماري حاجي ريستيتش وهي أم فاسو فاعتبروا بيت مانويلو يفتانوفيتش أنه على صلة القرابة مع حاجي ريستيتش رغم كون ييلكا وهي بنت مانويلو من الزوجة الأخرى واسمها آنجا سرشكيتش لزمهما الحصول على الترخيص أي لزواج فاسو بييلكا ، ويتم انتظار الترخيص حوالي ستة أشهر ، وبما أن ييلكا وفاسو ينتميان لأسر مشهورة ومرموقة حصلا على الترخيص بسرعة .

إذا تعلق الأمر بفقراء النصارى يتأخر الترخيص كثيراً، لذلك يسهل الزواج أمام القاضي ،وقد تمتع القاضي ورجال الدين بالحق الحصري للتزويج والتطليق وفقاً لأحكام ديانتهم ، كما كانت هناك تصرفات من فبل القضاة لدى زواج غير المسلمين وذلك يدخل في صلاحية غيرهم من رجال الدين

---

٢٥٥ حصل في ذلك الوقت أن القضاة حكموا بفسخ الزيجات النصرانية وفقاً للأحكام الشرعية الإسلامية ، لذلك شكت السلطة الكنسية إلى اسطنبول فوصلت التعليمات للقضاة تمنعهم من ذلك ، تاريخ الحياة الخاصة في الأراضي الصربية ص ٧٥ ـ ٠٦ ، فهيم سباهو من الحياة العامة والخاصة على عهد الأتراك في الكتاب عن البلقان ١ ، المعهد البلقاني بلغراد ١٣٩١م ص ٣٧١

٢٥٦ سورة النساء الآية ٣٢

٢٥٧ الترخيص هو الإعفاء عن تطبيق أحكام الكنيسة ، هذا العمل يقوم به لأهالي سراييفو السلطة الكنسية من اسطنبول

وذلك يبدو واضحاً من الأمر الموجه للقضاة بأن يمتنعوا من التزويج دون إذن الأولياء ، أي ولي الفتاة[٢٥٨] ، وهذا يدل دلالة واضحة أن القضاة كانوا يقومون به مع أنه يتبع لأحكام في الإسلام .

مسألة موافقة الولي تتعلق بالمسلمين أما أتباع الأديان الأخرى فغالباً ما يحضرون وحدهم أمام القاضي ، قلما تأتي المرأة شخصياً إلى المحكمة ، وما يدل أن الواقع كان كذلك هي الأغنية الشعبية أن أحد الأبطال أخذ الفتاة إلى القاضي ليزوجها شخصياً :

قم يا علي يا روحي الغالي
وهبت لك حسن جمالي
انهض علي وخذ باقايا معك إلى القاضي[٢٥٩]

كيف يكون الزفاف وما هي مجرياته وتحضيراته سنحاول الإجابة عن هذا السؤال في الصفحات القادمة ، وبادئ ذي بدء نقول أن حفلة الزفاف تعلقت بالديانة وبالوضع المالي للأسرة أي أسرة العروس والعريس ، كانت هناك خطوات وإجراءات لإعداد الزفاف وانعقاد العقد نفسه ، قبل الزفاف ثمة عادة بين أهالي سراييفو تسمى : بوكاروشا وهي جلسة نسائية تحضرها النساء حتى بدون دعوة لأنه ليس من عادة القوم توجيه الدعوة لها ، يعتبر هذا عاراً لأن كل امرأة تحضر الجلسة تأتي بهدية أو قطعة قماش أو نحوه فلا ينبغي أن تدعى المرأة حتى لا يقال دعوها لكي يحصلوا منها على الهدية .

يمكننا أن نرى في الجلسة ملاعق ذهبية وفضية وصحون مزخرفة بالفضة وسلات حريرية لبطاقات شخصية وشراشف مصنوعة خصيصاً [٢٦٠]، بجانب هذه الهدايا التي تحصل الفتاة عليها من زوارها يعد لها أهلها هدايا من أسرتها ، الفارق الكبير يبدو ظاهراً جداً بين العائلات الفقيرة

---

٢٥٨ أ إ س ، ز آ ن أ ب هـ سجل محمد مستفيسا رقم ٧٣٢ ل ٩٣ ب

٢٥٩ ح . كريشيفيلياكوفيتش المختارات ١ ص ٧٣٣ ، انظر أ إ س سجل قاضي تشاني (٠٤٧١ ـ ٢٥٧١) الترجمة والتحقيق خديجة شار درندي سراييفو ٥٠٠٢ ، يحضر الشاهدان العقد دون الفتاة والمهر المؤجل يكون من ألف وذلك لمن وضعه المالي ضعيف أو الأرامل إلى خمسة آلاف أتشي (العملة آنذاك)

٢٦٠ كانت العادة منتشرة في العقد السابع من القرن التاسع عشر واختفت بعد الاحتلال النمساوي المجري : بوكاروشا عادة قديمة جاءت مع الأتراك وبقيت وهي أن تحضر النساء من البيوت المجاورة والقريبات والعرابات فيقدمن للفتاة التي تمت خطبتها هدايا ويأتي أحد الشباب بشراب حلو يقدم للنساء الحاضرات ، انظر لمزيد من المعلومات : اللمحات من حياة أهالي سراييفو بوكاروشا صحيفة سراييفو ٦٩٨١ السنة التاسعة عشر رقم ١١ ، ستيفو كالوجريتش من تلريخ سراييفو ص ٦٦

والغنية وذلك بالتطريز والمواد المستخدمة للهدايا ، سنة ١٨٦٥ م تزوجت داشا بنت الحاج إيلياء من يوفو سافيتش وكانت تبلغ وقتها الثامنة عشر من عمرها بينما تكبد أهلها عناءاً كبيراً ليدفعوا تكلفتها[٢٦١]، وتطلب في إحدى رسائلها أن يرسلوا إليها غطاءين من حرير أبيض مع وسادتين وتنورتها من الحرير وصندوقها الذي أهدي إليها لدى زواجها والبساط والنحاس الخاص بها حتى يكون دعماً لها في بيتها [٢٦٢] .

وعن كيفية انعقاد العقد في الزواج أمام القاضي نجد وصفاً لهاري تومسون حيث يقول: «لما كنت في سراييفو تفضل أحد أصدقائي بأخذي إلى محكمة المسلمين ، وبينما أنا هناك جاء أحد الأتراك ليتزوج ، لم تحضر الفتاة البتة إنما مثلها أحد أقاربها ووقف أمام القاضي مع رجلين هما الشاهدان ، في مثل هذه الحالات يمكن أن يكون هناك رجلاً وإمرأتان وليس رجلين فقط ـ يشرح تومسون ـ ويتابع : «المراسم كانت مدنية فلا تقام في الجوامع ولكن المشاعر الدينية تمتلأ بالوجدان ، ليست مجرد مراسم كما يحصل عند مختار الحي ، أما خطوات الزواج نفسه فهي أولاً يكتب القاضي نص العقد ويذكر فيه قدر المهر ، ويأتي بعد ذلك دور الشاهدين يقترب منهم العريس وموكل المرأة فيتقدمون نحو القاضي ، يجلسون على الأرض ويتشهدون حتى يثبتوا وفاءهم للدين ، بعدها يأخذ موكل المرأة (العروس) يد العريس ويسأله هل يوافق على الزواج من موكلته ويقر بالمبلغ المذكور مهراً لها كما ورد في العقد ويجيب العريس أنه موافق» ، ويتابع تومسون أن العقد الذي حضره كان للفقراء فلم يكن المهر يزيد على عشرة فورينت أي حوالي سبعة عشر شيلينغ ولكن المبلغ مهما كان صغيراً لا بد أن يدفع[٢٦٣] .

مراسم الزفاف في الكنيسة كانت مشابهة بهذه التي سبقت : حيث يكتب عقد الزواج بحضور الشهود ويثبت كتابة فإذا خولف جاءت الخصومات التي تنتهي أحياناً بإراقة الدماء ، ويبارك القس الجمع ويتبادل الزوجان خاتميهما .

فيما يتصل بالمال بين الزوجين ومع الترتيبات المرافقة للزواج تأتي الزوجة الجديدة بحبل وشوال إشعاراً منها برغبتها في الاعتناء بالبيت ولدى دخولها البيت تقوم برمي الدراهم الصغيرة حولها إشعاراً أنها جلبت البركة للبيت ، ذهابها الأول يكون إلى البئر ويتابع بالاعتناء من قبل الأسرة كلها ويدعون في هذه المناسبة ويطلقون الرصاص من البندقيات ، ودعماً للعروسين يأتي كل أفراد أسرتيهما بمستلزمات البيت هدية لهما ، ويستمر الزفاف أربعة عشر يوماً عادة وأحياناً يزيد على ذلك [٢٦٤].

---

٢٦١ فلادسلاف سكاريتش : المرجع السابق ص ٠٦ ملاحظة رقم ٨

٢٦٢ آ أ س ز هـ الرسائل الخاصة صندوق رقم ١

٢٦٣ عمر حاجي سليمانوفيتش المرجع السابق ص ١٤٢ ـ ٢٤٢

٢٦٤ المرجع السابق ص ٥٣٢ ـ ٦٣٢

أما عقود الزواج عند اليهود فتكتب في دفتر واحد (كتابة) وفيها تذكر حقوق وواجبات الزوجين والشهود[٢٦٥]، ويكتب روسكيبيفيتش أنه بعد العقد في المحكمة يتم إعطاء الهدايا للإمامين الحاضرين والمدعوين ويهدي العريس لعروسه هدية وهي ترد له بهداياها إليه ، وتنقل أغراض المرأة إلى بيت زوجها وهذا يستغرق أحياناً عدة أيام ، وقبل ذهاب المرأة إلى بيت زوجها تغتسل المرأة ويأتيها ضيوفها من النساء وهذا يستغرق ساعات طويلة ، وفي اليوم التالي تجلس العروس في مركبها في سيارة تجرها الخيول أو الثيران ويأخذونها إلى بيت عريسها بعد حفلة الغذاء وكلمة يلقيها الإمام وتصبح زوجة له مع كل الحقوق للمرأة المسلمة .[٢٦٦].

ثمة عادة لدى المسلمين وهو وضع دوفاك (تاج) على رأس العروس عند خروجها من البيت[٢٦٧] ، وقد ترك لنا أسبوت وصف للأفراح بمناسبة دخول المرأة بيت زوجها حيث يقول : «قد يطول الاحتفال بالزواج في بيت الزوج إلى ثمانية أيام ، وبعد ذلك تأتي الزوجة العروس إلى بيت زوجها وتدخل فيه ويرافق ذلك إطلاق الرصاص بينما تلبس العروس ملابس مخصصة للزفاف ، وقبل أن يختلى بالعروس وهي مزينة وفقاً لرغبة الزوج العريس تكون في رفقة أقاربها وصديقاتها فتسجد لتدعو الله تعالى ، وتخرج النساء واحدة بعد الأخرى ثم يدخل العريس الغرفة وقد بقيت عروسه وحدها في الغرفة تصلي [٢٦٨]».

في العقد السابع من القرن التاسع عشر وتحت تأثير الرعايا الأجانب دخلت عادة إرسال بطاقات الدعوة للزفاف ، ونجد في المصادر أن ثمة دعوة وصلت إلى بيت ريستو حاجي ريستيتش من هذا النوع ومحتواها ما يلي : «السيد شلبنيكوف وحرمه يدعوان السيد ريستو حاجي ريستيتش وحرمه أن يتفضلا بالحضور إلى الكنيسة يوم الخميس في الساعة الحادية عشر ونصف بمناسبة زفاف ابنتنا أولغا بالسيد سانتيناري وبعد الكنيسة إلى الحفل المقام في البعثة الروسية[٢٦٩]» ، وما يدل على أن العادة أصبحت متبعة لدى بقية الناس هي الدعوة التالية : «بمناسبة زفاف ابني غليغوري أتوجه إليكم بالدعوة لحضور الغذاء اليوم في منزلنا وأن تتفضلوا

---

٢٦٥ آفرام بنتو : المرجع السابق ص ٦٣

٢٦٦ يوهان روسكيبيفيتش المرجع السابق ص ٠١٢

٢٦٧ لباس التاج المسمى دوفاك ولونه أخضر يعار للفتاة لدى زفافها ، يوضع على رأسها ويخلعه عريسها بعد أن تدخل عي به بيته ، دوفاك نفسه يوضع على راس الفتاة بمناسبة النكاح النسائي وهي مناسبة تأتي فيها إحدى عالمات المدينة فتتصفح الفتاة أمامها المصحف الشريف ، ينتهي هذا العمل بنزع دوفاك ودعوة يدعوها الحاضرون ثم يرمى على غيرها رغبة أن تلحق هي بها في الزواج ، محمد حاج ياهيتش باجيانية (الصالحات في سراييفو والبوسنة) ص ٥١١ ـ ٦١١

٢٦٨ آسبوت يوسهان المرجع السابق

٢٦٩ آ أ س آ ز هـ صندوق رقم ١

بزيارتنا في تمام الساعة العاشرة والنصف مع أسرتكم الموقرة ، مع احترامي، التوقيع : ميهيايلو سراييفو نوفمبر ١٨٧٠م[٢٧٠].

يصف جودت أفندي الأفراح بهذه المناسبات بشكل كامل ويقول : «جميع حفلات الزفاف تتبع الخطوات التالية : «تبدأ في بيت العروس وتنتهي في بيت العريس» ، ولكنه يلفت النظر إلى شيئ أهم من ذلك هي كون حفلات الزفاف مكلفة جداً إلى درجة أن الفقراء يستقرضون ليتم الزفاف[٢٧١] ، وما يفيدنا أن الأمر لم يكن كذلك في بقية مناطق الدولة هو الأمر المبعوث من اسطنبول إلى البوسنة لمعالجة هذه القضية ، وجاء في الأمر أن العاصمة بلغها أن أشراف القوم يتزوجون ويصرفون مبالغ طائلة في حفلات زفافهم ما يضطر الفقراء إلى الاستقراض وقبول الدين من التجار ، وذلك يقع في الطبقة الوسطى لأنها تتأثر بالأشراف فتصرف أكثر من اللازم وتلجأ إلى القروض ، فالأمر هنا هو إنهاء هذا العمل حتى لا يكون له وجود في الولاية[٢٧٢] ، وما يدل على تأثير الأمر في واقع سراييفو هي المقالة التي نشرت في سراييفسكي تسفيتنيك على الصفحة الرئيسية وجاء فيها: «ننظر بعيون راضية أن مدينة سراييفو فيها اعتدال خلافاً لمدن أخرى فيما يخص تكاليف الزفاف ، فعندما نجمع ما يصرف في سنة واحدة على ضرب الطبول والغجر يمكن بناء مدرسة أو معمل في المبلغ نفسه[٢٧٣] «.

---

٢٧٠ أرشيف البوسنة والهرسك ز هـ صندوق رقم ٢ الرسائل الخاصة.

٢٧١ ح . كريشيفلياكوفيتشا المختارات ٤ ص ٧٥

٢٧٢ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٤٤ من ٩٦٨١/٠١/٠٣ ص ١

٢٧٣ المرجع السابق : كيف كانت حفلات الزفاف في توزلا بعد هذا الأمر يصفها سرنوغوشيفيتش : بعد هذا زوج خلاف الأمر حاج بيك ابنه محمد بيك والد باقر بيك وأقامحفلة الزفاف لشهر كامل ، أتى بالغجر ذكورهم وإناثهم من كازانلوك بلغاريا اليوم ومجموعة العازفين ولم يبق بيت للمسلمين والكاثوليك والصرب والغجر إلا دعي سيده للغذاء عنده ، يأتي خادم حاج بيك فيقول لسيد البيت أن حاج بيك يسلم عليك ويدعوك للغذاء ، هذا يقوله للأتراك ويقول لغير المسلمين ، رحب بك حاج بيك ويدعوك للغذاء فيجيب المدعو أن يرسل بهديته بساعة قبل الغذاء ، أما إذا قال يرحب بك حاج بيك أن تأتيه للمباركة فلا يجب إرسال أي هدية وإنما يأتي ويغذى ويشرب دون أي تكلفة ، كنا ستة عشر فرداً من الصرب وإثنان من الكاثوليك وقسان من الكاثوليك وقسان من الأرثوذوكس فدعينا للغذاء لا للمباركة فاشترينا جميعاً كيساً من القهوة ٦٥ أوقية وكيسين من السكر وكيسين من الأرز وسبعة من الخرفان ووضعنا على أقرانها تفاحاً مربوطاً بحرير مدبجاً بالذهب وعشرين متراً من القماش فأرسلنا ذلك هدية منا ، وتناولنا الغذاء الذي تخلله الخمر المسمى راكيا ثم النبيذ الأسود الذي سقانا إياه ابن حاج بيك لأن عامة الناس لا يأخذون الخمر بأيديهم وكان شمسي بيك يشرب البنيذ ، وبعد انتهاء الغذاء والشراب شربنا القهوة ورقصنا ثم شربنا ورقصنا من جديد حتى الظلام الطامس ، وشكرنا المضيف وانصرفنا ، ذكريات شيفكو سرنوغرشيفيتش ص ٠٣ ـ ١٣

كان الشاز [٢٧٤] من آلات العزف الضرورية في حفلات الزفاف التي كانت تعد مناسبات اجتماعية وجدت النسوة فيها فرصة للحديث الذي لا ينتهي[٢٧٥] ، وكون الزفاف وحفلته حادثة كبيرة يكثر الحديث عنها وتظل تتردد حتى بعد انقضائه ، وفي قصة زفاف أحد أفراد أسرة حاجيتش جاء فيها : «تفحصت النسوة هدايا العروس وما جاءت به من الأشياء فما بقيت شاردة ولا واردة إلا نظرن إليها ، ومن حسن حظها أن حفلة الزفاف جاءت سريعاً فبقي الحديث عنها دون غيرها ، فتكلمن عن العريس ونسبه وعن ملابسه وكيف جاء ليأخذ العروس من بيتها عن الحفلة عموماً كما هو شأن النساء في حديثهن [٢٧٦].

تفيد سجلات البلدية الصربية أن حفلات الزفاف كانت تقام عادة في الصيف ، وعند مراجعة هذه السجلات اتضح لنا أن متوسط عدد الزيجات في الكنيسة الأرثوذوكسية تسعة وعشرين ومعظمها أقيمت في شهر سبتمبر[٢٧٧] ، وهناك بعض المدن التي عينت الأيام التي يتزوج فيها وكانت عادة أهالي سراييفو هي أن يكون الزفاف إما يوم الخميس أو يوم الأحد مساءاً [٢٧٨] .

---

٢٧٤ الشاز آلة موسيقية من أمثال طنبورا ، عدد الأسلاك فيها ما بين ستة إلى ستة عشر ، شاز في البوسنة فيه ٨ أو ٠١ أو ٢١ سلكاً وكلها لنبرة معينة في العقد السابع من القرن التاسع عشر أشهر العازفين عليه كانوا : مصطفي بيك شوشاك ، محمد أغا زلجو ، إبراهيم أغانينو بيرقداريفيتش ، وموياغا زلاتار ، انظر روسمير ماهموتشيهليتش ، المقال عن الموسيقى في سنة ٧٦٨١ الأصول من مكتبة الغازي خسرو بيك في ضوء بعض ملامح الثقافة الموسيقية الشعبية في البوسنة والهرسك ، مجلة المكتبة ٢ ـ ٣ سراييفو سنة ٤٧٩١م ص ٥٤١ و ٧٤١ ملاحظة رقم ٢٣

٢٧٥ أن الأمر كان كذلك لعقود قبل ذلك يثبت باشيسكيا حين يقول : بتاريخ ٢١/١١/٧٧٧١ تزوج إسكافي بفتاة وقتل يوم زفافه ، وخنقوا القاتل وكثر الكلام عن هذا بشكل شديد ، ملا مصطفى باشيسكيا المرجع السابق ص ١١٢

٢٧٦ لمحة من حياة سراييفو ـ الزفاف ـ صحيفة سراييفو رقم ١١ سنة ٩١ لعام ٦٩٨١م

٢٧٧ مع الأسف تمتلك البلدية الصربية سجلاً واحداً للمتزوجين لفترة ما بين ٢٧٨١ ـ ٢٩٨١ فالمراجعة من قبلنا كانت لسنتين هما أقرب السنوات للفترة التي ندرسها في بحثنا ، البلدية الصربية تسجيل بـ ٢ سجل المتزوجين ٢٧٨١ ـ ٢٩٨١ .

٢٧٨ عادة أهالي اسطنبول هي إقامة حفلة الزفاف يوم الجمعة ويوم الإثنين ، رافائيلا لفيس : الحياة اليومية في تركيا العثمانية (الإنجليزية) ص ١٠١

الطلاق

كان للجمعيات الدينية ومؤسساتها الكلمة الأخيرة في انعقاد الزواج أو الوقوع في الطلاق فهي المؤسسة التي لها السلطة على الحياة الزوجية ، ولم تكن الأحكام الدينية تحرم الطلاق غير أن كل دين وضع شروط وقيود لجواز الطلاق[٢٧٩] ، وقد تقدم في حديثنا عن زيجات النصارى أنهم آثروا الزواج أمام القضاة المسلمين حتى يسهل عليهم الطلاق إذا اقتضى الأمر فلم يتقدموا للقس بل إلى القاضي ، ويجب علينا أن نذكر أن الطلاق جائز في الإسلام غير أنه غير محبذ أو مرغوب فيه[٢٨٠] .

هناك عدة عوامل ودوافع للطلاق تبدا بأن يطلبه أحد الزوجين إلا أنه ينبغي علينا أن ننظر إلى فترة أطول من التي ندرسها في هذا البحث باعتبار أن الطلاق نادر الوقوع وعار لم يكتب عنه الكثير ، بداية نلفت الانتباه إلى كون معظم الزيجات كانت تنتهي بوفاة أحد الزوجين ، وكان من الطبيعي وحتى أنه من المحبذ أن يتزوج أحد الزوجين بعد وفاة زوجه ، ففي إحصاء حارة علي باشا من سنة ١٨٦٧ من جملة ١١٧ زيجة لم تحصل أي حالة طلاق بينما تزوج خمسة عشر زوج و زوجة بعد وفاة أزواجهم منهم إحدى عشرة امرأة وأربعة رجال .

أسباب الطلاق :

أسباب الطلاق متنوعة إلا أن أشهرها وأكثرها وجوداً هو عدم الفهم الكافي للأحكام الشرعية أو سوء تفسيرها وشرحها ويظهر ذلك أحياناً كسبب للطلاق ، ومثال ذلك حالة زلاتكا نفيسة بنت صالح التي هربت من بيت زوجها تاشا كوفيتش ملا مصطفى سنة ١٨٤٨م ولجأت إلى بيت قريبها أوكاريتش صالح ظناً منها أن زوجها طلقها لأنه قال لها : «أنت ليست لي »، وبعد أن استفتى زوجها المفتي عن حكم قوله : «لست لي» أفتى له المفتي بأنها لا تزال في عصمته لأنه لم يصرح بالطلاق، ولكن زلاتكا نفيسة رفضت أن تعود إلى زوجها رغم ذلك[٢٨١] ، واستمرت الخصومة ولم تجد حلاً في إطار الأسرة فقدمت القضية إلى إبراهيم إمام الحي حيث سكن الزوجان وتتضمن الرسالة الموجهة إليه من قبل قاضي سراييفو كيف ظهر الخلاف بينهما وأن

٢٧٩ من المثير للاهتمام أن فرنسا سمحت بالطلاق بإصدار قانون الطلاق سنة ٢٩٧١ وتم إلغاء القانون سنة ٦١٨١ م ، أبيح الطلاق قانونياً سنة ٤٨٨١ متأخراً جداً ، فيليب آريس ، جورج ديبي تاريخ الحياة الخاصة ٤ ص ٨٢ ـ ٠٣

٢٨٠ يوسف القرضاوي ، المرجع السابق ص ٥٧٢ ـ ٧٧٢

٢٨١ سجل محمد ملا مسفيتسا سطر رقم ٧٣٢ ل ٨٦ آ

القاضي ينصحه أن يحاول الإصلاح بينهما ويستعين برجلين من أشراف جماعته وأن تقتنع نفيسة بالعودة إلى زوجها . يمكننا أن نستنتج من هذا أن القرار بالطلاق وهو قرار مهم للغاية شارك فيه جنباً إلى جنب مع رجال الدين أشراف الناس الذين يعرفون الأسرة ويمكنهم التأثير عليها .

ومن أسباب الطلاق أيضاً العقم وقد ورد ذكره في الأغنيات الشعبية ، يكتب روسكييفيتش عن هذا الموضوع بما يلي : النكاح بلا أولاد يمكن إنهاؤه وفقاً للقانون [٢٨٢] « حيث اعتبرالأولاد مفتاحاً للسعادة الزوجية وفقدانهم تنغيص لها وعار يحاول الرجال أن يتبرؤوا منه بالزواج الجديد، وتقص علينا الأغنية الشعبية التالية وهي بعنوان العاقر التي تتزوج من رجل آخر وتروي لنا تفاصيل مخالفة للعنوان وأحداث الأغنية تخالف تماماً عنوانها :

تشد رأسها يوفان بيغوفيتسا (إمرأة)
تربط رأسها وتعد دنانيرها
يمسك يوفان بيك (الرجل) مرآة لها
ما أجملك حبيبتي الوفية
لو رزقت من ثمرات الفؤاد أولادا
تكونين أقرب إلى قلبي ثلاث مرات
فتبسمت ضاحكة على قوله
وجاوبت البيك يوفان قائلة
تزوج أنت وزوجني غيرك
كأنه قول أراد سماعه يوفو
فكتب ورقة لأخيه غير الشقيق
جهز الركب واحضر يا أخي ريستو
اجمع الناس وإتيني في داري
أهديت حبيبتي لك مع حبي لها
هب ريستو لكلام أحب سماعه
جمع الناس وجهز الركب من السادة
حضر دار يوفان بيك
أخذ يوفان بيغوفيتسا (إمرأة)
وبعد مضي سنة أو نحوها
ولدت ولداً ريستان بيغوفيتسا (المرأة نفسها تنسب إليه)
ولد كامل الأوصاف والخلق
لما سمع يوفان بيك بهذا

---

٢٨٢ يوهان روسكييفيتش : المرجع السابق ص ٥٠٢

ذهب إلى دار ريستو
صعد قلعة داره وطرق شبابيك حبيبته
ارجعي إلي يا حبيبتي الوفية
ارجعي وأصب عليه الذهب هدية
أطيبك بأروع الطيب والروائح
عن وجهي ابتعد يوفان بيك
لن أعود إليك أبداً
ولو كان قيدي معك ذهباً[٢٨٣]

تصف لنا هذه الأغنية الشعبية وقوع الطلاق بسبب عدم الإنجاب وأنه أمر يحدث عادة وتتهم المرأة أنها عاقر واللوم يقع عليها ، هذا المثال واحد بين أمثلة كثيرة يبرر ضرورة دراسة موقع المرأة في الفترة التي اخترناها .

ومن الأسباب المذكورة للطلاق لدى الرعايا الأجانب الذين يعيشون في سراييفو هي مغادرة أحد الزوجين مكان إقامته كما حصل في حالة ميليتسا دوشيتش وزوجها إيلياء الذي غادر سراييفو وذهب إلى دالماتسيا ، وحاولت البعثة النمساوية وبناءاً على طلب إيلياء أن تقنع ميليتسيا أن تلحق بزوجها لأنهم لم يجدوا مبرر لعدم التحاقها به ولكن لم يفلحوا في ذلك ، وبعد عدة محاولات أخبرتهم ميليتسيا أنها : لن تعيش معه في أي حال من الأحوال[٢٨٤] ، وتعلل رفضها بأن إيلياء يسيئ إليها بهذه المغادرة حيث كان قد وعدها أنه سيبقى في سراييفو[٢٨٥] ، ورغم كونها لم تطلب الطلاق أي ميليتسيا فقد كشفت عن تفاصيل مهمة متعلقة بالإساءة إليها من قبل زوجها بنكثه عهده لها، وتعتبر تلك الإساءة سبباً رئيسياً لعدم رغبتها في الحياة المشتركة مع زوجها ، والأهم في نظرها هي مغادرة مكان الإقامة [٢٨٦] ، وهناك حالة أخرى مشابهة طلبت فيها لوسيا فوتشكوفيتش الطلاق من زوجها للسبب نفسه ، حيث تركها زوجها بوجو وانتقل إلى موستار[٢٨٧] ، أما حالة آنا يوفتشيتش وزوجها إفان يوفيتش فقد تعلقت بموضوع الغيبة التي كانت سبباً لفراقهما ، فقد اتهمته زوجته أنه عندما كان يعمل في سراييفو معاوناً لأحد الحرفيين تعلق بامرأة اسمها ماريا

---

٢٨٣ إ ف يوكيتش : الأعمال الكاملة سراييفو ٣٧٩١ ص ٧٨٤ ـ ٨٨٤

٢٨٤ أرشيف البوسنةآ أ غ ك ر ٧٤٠١/٢٦

٢٨٥ أرشيف البوسنة ٠٩٨/٣٦

٢٨٦ أرشيف البوسنة ٠٣١/٦١

٢٨٧ تذكر أن السبب الرئيسي هي مفارقة الفراش الزوجي من قبل زوجها : انظر الحياة الخاصة ص ٩٦٧

[288] وعلى إثر ذلك طلب إيفان طلاق زوجته منه ، كما أن مثال لودفييغ ماتياس مثير للاهتمام كذلك لأنه لا يطلب الطلاق من زوجته فحسب بل يتهمها بالسرقة منه [289].

كانت الخصومات حول تقسيم الممتلكات بين الزوجين سبب في الطلاق غير أنها غالباً ما كانت بين الرعايا الأجانب ، ومن أمثلة تلك الخصومات حالة المدعو إسرائيل ويوليا والتي توضح إلى أي مدى يمكن للأمر أن يتطور ، وبحسب السرد الوارد في المصادر فإن القصة كما يلي : «رفض إسرائيل أن يدفع ما قدمته يوليا لزواجهما ليكون مالهما المشترك ، وعند طلاقهما وجب عليه أن يدفع لها مبلغاً قدره ألف وستمائة واثنين وخمسين فورنت (العملة المتداولة) إلا أنه تحجج بأن المال ليس في حوزته ، فرفعت يوليا دعوى عليه واضطرته لعرض مصنع الخمور الذي يمتلكه للمناقصة وكان في منبع نهر البوسنة ، وكلف بالمهمة الضابط المشير هركا لوفيتش ، حيث كتب قائمة تضم ممتلكات اسرائيل[290] وبهذا حصلت يوليا على مالها وخسر اسرائيل كل شيئ .

وتثبت الوثائق أن السكان الأصليين ونظراً لوجود التدخل من الأسرة والجيران والعلماء كانوا يتوصلون إلى اتفاق تسوية حول الطلاق سواء كان أحد الزوجين يلتزم بالدفع للآخر أو يتخلى كل طرف عن حقوقه [291] .

يذكر المؤقت (المؤرخ البوسني المشهور) أن خلافاً نشب بعد زواج محمد بيك زايم من أخت مصطفى باشا بابيتش عمدة مدينة سرايبفو ، ورغم أنهما رزقا ولداً [292] إلا أن أخا زوجته كان لا يطيب له لقاء محمد بيك بل انتهز جميع الفرص لينتقم منه ، وفي محاولة منه للانتقام بعث إعلاماً ضده للوالي يتهمه أي محمد بيك أنه يفسد في الأرض ويثير الفتن ، الأمر الذي اضطر محمد بيك بعدها للخروج من سرايبفو خوفاً من الانتقام [293].

---

٢٨٨ أرشيف البوسنة ٠٦٧١/٧٦، ٠٦٧/٧٦

٢٨٩ أرشيف البوسنة ٢٩/٧٦ ، ٠٣١١/٨٦ ، ٣٩٧/٨٦

٢٩٠ أرشيف البوسنة ٣١٤١/٨٦ ، ٤٥٣١/٨٦

٢٩١ يثبت هذا تصريح من سنة ٢٦٨١ أمام قاضي سرايبفو المدعو محمد حول تسديد الدين والمصالحة حول الطلاق مع تخلي عن بعض الواجبات من الطرفين ، إ آ س آ الوثائق التركية لحمدي كريشيفلياكوفيتش صندوق رقم ١ ب رقم ١١ /٨١٢

٢٩٢ من المثير للاهتمام أن هامشا وهي البنت المذكورة أنها ولدهما كانت جدة لأنور كاديتش : صالح صدقي حاج حسينوفيتش الموقت ، المرجع السابق ص ٩٧

٢٩٣ فلادسلاف سكاريتش : المختارات ص ٤١٢ ، صالح صدقي حاج حسينوفيتش الموقت ، المرجع السابق ص ٩٧٩

كان الغجر هم الوحيدون الذين ينظرون إلى أمر الطلاق على أنه شيئ طبيعي للغاية ، ولم يكن الزواج بدوره مؤسسة قوية البنية لديهم ووقع منهم تكرار الزواج بالشخص نفسه[٢٩٤].

إذن كما رأينا فإن الطلاق كان نادر الوقوع ويؤثر على حياة العائلة ومن حولها و تتحمل الزوجة وحدها العار في الأمر فتهان وتتعرض أسرتها بأكملها للاتهام.



٤،٥ صندوق مزخرف مع إرث العروس

٢٩٤ محمد أ موميتش : موقع الغجر ص ٨٥١



٤,٦ شورما ـ منديل العروس مثال للتطريز اليدوي من سراييفو



٤,٧ بوشالوك

V

اللباس

تعتبر الملابس جانب مهم من جوانب الحياة وهي معرضة للتغيير بتأثير المحيط ، وفي الفترة التي ندرسها كانت الألبسة لها غاية تتمثل في الستر وحماية الجسم ، وقد عبر اللباس عن الوضع المالي والرتبة الاجتماعية وكذلك عن الوجهة السياسية والهوية الدينية ، وكان لباس الإنسان أيامها مرآة للفرد وموقعه في المجتمع ومدى غناه وانتمائه لدينه ونظافته وذوقه ونعتقد أنه من المهم في هذا المبحث أن نلفت الأنظار إلى نوعية الألبسة في الحياة اليومية لأهالي سراييفو والأجزاء الرئيسية لهذا اللباس ولونها وموادها .

يمكننا تقسيم لباس أهل المدينة إلى اللباس اليومي والرسمي والفرق يظهر في نوعية المواد المستعملة في صنعه ، وفوارق اللباس من ناحية اللون جاءت بين الأديان .

بداية نقول أن الطبقات الفقيرة حاولت تقليد الأغنياء الذين هم بدورهم تشبهوا بحكامهم وأشرافهم سواء في العرق أو في الدين داخل البلد أو خارجه ، وهذه هي الطريقة التي دخل فيها التأثير الخارجي للباس ، كما أن التقليد في اللباس شكل عقبة للسلطة لأن أغنياء النصارى و اليهود تشبهوا بأغنياء المسلمين وحاولت السلطات منع ذلك عدة مرات عن طريق الإعلانات المتكررة والتي جاء في واحد منها في سنة ١٧٧٠ م أن اليهود والنصارى لا يسمح لهم لبس الخفين الأصفرين أو الشبشب من اللون نفسه وإنما الأحمر فقط ، ولكن لعدم إمكانية التطبيق ألغي الأمر في العام نفسه"[٢٩٥]. كما صدر فرمان مشابه من السلطة سنة ١٧٩٤م يؤكد أن لباس المسلمين لونه أخضر وأصفر وأحمر بينما الأسود والغامق للنصارى الأرثوذوكس والأزرق لليهود والنصارى الكاثوليك"[٢٩٦]، ومن المثير للاهتمام أن اليهود قاوموا المنع أي منع لبس الخفين الأصفرين مع اللون الأحمر فلبسوا سراويلهم مقلوبة عناداً لهذا القرار"[٢٩٧]، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ضعفت السلطة العثمانية وضعف معها تأثير الطبقة الحاكمة من المسلمين بينما حصل السكان غير المسلمين على أهمية أكبر من التي كانت لهم في السابق لا سيما في التجارة والاقتصاد فلم تعد الأوامر المتعلقة باللباس تحترم .

---

٢٩٥ ملا باشيسكيا المرجع السابق ص ١٢١

٢٩٦ سعيد م تراليتش : تأثير الأتراك على حياة المسلمين في البوسنة والهرسك ص ٤٥١

٢٩٧ المرجع نفسه ص ٤٤٢

وباعتبار أن سراييفو هي مركز الولاية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر استقبلت الرعايا الأجانب بلباسهم المختلف فأصبح الشارع يزدهر بألوان متنوعة من اللباس المحلي العادي إلى اللباس الصوفي الخاص بهم .

وبما أن سراييفو هي مركز التجارة فإن المواد التي استعملت في صنع الألبسة كانت تستورد من أنحاء الدولة العثمانية ومن المراكز الغربية مثل فيينا والبندقية وغيرهما ، وكان القماش الفاخر من أكثر المواد المستوردة حينها ، وبجانب هذه المواد المستوردة استعملت الأقمشة المحلية الصنع فثمة محلات خاصة للخياطين الذين عملوا في مجال صنع الألبسة ، وكانت هذه الحرفة متقدمة في سراييفو وكانت مواد الخياطة تصنع يدوياً والعمل فيها يدوي حتى أحضر أنتون شموتس أول آلة للخياطة وقد نشر إعلاناً في الجريدة نصه : «مهم لكل واحد : أنا الموقع أعلن أني أحضرت آلة أمريكية تخيط لوحدها وكل من أراد أن يخيط أقمشة أو ملابس داخلية أدعوه لاستعمالها وكذلك أدعوا التجار لاستعمالها، ولدي كذلك كمية من القماش للبيع فليختار منها من أراد شراءها ، وخاصة أدعو الخياطين وتجار القماش فالآلة مهمة لهم يختارون ما يطيب لهم أن يصنعوا عليها وأيضاً صانعي الأحذية وغيرهم بحاجة إليها لأنها تخيط الجلد أيضاً ، سعر الخياطة زهيد جداً ، الآلة في منزلي في الزقاق المجاور للمطبعة الجديدة[٢٩٨]».

يفيد هذا الخبر أمراً آخر وهو دخول الأجانب في الخياطة ، وما يثبت وجود محلات الخياطة التي يمتلكها الرعايا الأجانب هي شهادة وفاة نشرت في سراييفسكي فيسنيك لآنتا بيرسيليتش من الرعايا النمساويين حيث عمل في سراييفو خياطاً[٢٩٩].

كان القماش والصوف من أكثر المبيعات في محل ألكسا ديسبيتش ، وكانت قيمة القماش الجيد [٣٠٠] كما ورد في دفتره ٦٤ غروش ، ونادراً ما يباع الحرير في محله حيث كان ثمن أربعة عشر غراماً من الحرير ١٨ غروش ، استورد ألكسا يوفو ديسبيتش معظم بضاعته من فيينا عن طريق صهره سيمو ويذكر في طلب الاستيراد الذي وجدناه في المصادر أنه يطلب : «فرتال من القماش الصغير الأحمر والأزرق وأن يكونا سميكين وفرتال من القماش الأخضر والأزرق والأحمر وكمية من القماش الماوي والأخضر والقماش كوشيليا الذي نبيعه ما بين ٤٢ ـ ٤٤ غروش ،و ٥٠ ديفار ستيل و ٥٠ ريفا قماش أحمر و ٥٠ ريفا قماش أخضر و ٥٠ إشار نسائي طويل ، وأربع أوزان مشمع ملونة و ٦ وسائد وخمسة شالات رجالي من الحرير من ٧ إلى ١٠ فورنت ، وثلاثة زخارف مدورة ذهبية يمكن بيعها هنا بمائة وخمسين فورينت وعشرين قطعة حريروثلاثة أوزان كالوش من ٧

---

٢٩٨ سراييفسكي فيسنك ٦٦٨١/٤/٧ رقم ١ ص ٨

٢٩٩ سراييفسكي فيسنيك رقم ٩٤ ٩٦٨١/٢١/٤ ص ٢

٣٠٠ فلاديسلاف سكاريتش المختارات ١ ص ٢٢٣

إلى ١٠ ومائتان كلميا من النوع الجديد ، كذلك نريد صندوقاً من الخيوط الداكنة[٣٠١]» ، وندرك من القائمة أن هذه الأنواع هي الأكثر مبيعاً .

وقبل أن ندخل في تفاصيل اللباس نلفت الأنظار إلى وجود ظاهرة شراء اللباس المستعمل وعملية التبادل في الألبسة ، واتضح لنا أن هذا الأمر كان عادياً بعد الاطلاع على القانون الذي يجيز ذلك ونصه : «يجوز إيجار الأشياء المتنقلة مثل الألبسة والأسلحة والخيم لوقت معين وبأجرة معلومة[٣٠٢]» ، بقية النص يدل على وجود حاجة الفقراء إلى هذا ويلزمهم تسديد المبلغ المقرر للألبسة المتسأجرة حتى لو لم يلبسوها ولا مرة واحدة [٣٠٣] ..»أيضاً يعاقب الإنسان إذا استأجر لباساً لنفسه ثم أعاره غيره ليلبسه[٣٠٤] «، ضرورة تنظيم هذا الأمر يدل على كثرة عدد الفقراء وحاجة الناس إلى هذه العملية ، وقد حاول الغجر الاستفادة من الأمر بطريقة انتهازية فعندما دفن كبير القساوسة دينوسيو في يناير ١٨٦٢م ووفقاً لتقاليد الكنيسة الأرثوذوكسية كان نعشه مكشوفاً فحمل على التابوت في أجمل صندوق لهم ، وحمل الصندوق من طريق حارة الغجر (حي مغربية) ولما رأوا لباسه ظنوا أنه بإمكانهم بيعه بسعر جيد فقرروا أن يقوموا بعملية جريئة ، فنبشوا قبره في ظلام الليل فلم يجدوا لباسه الفاخر إنما وجدوا لباس الرهبان ، وبعد أن علم الوالي طوبال عثمان باشا بذلك أمر باعتقال الفاعلين وطردهم إلى فيدين[٣٠٥] .

ولا يمكننا تحديد مدى انتشار هذا النوع من اللباس بين أهالي سراييفو بدقة باعتبار أنه حتى في حالة الوفاة توضع قائمة بالممتلكات الشخصية تضم الملابس ومنها:السراويل والقمصان والملابس الداخلية، ولكن يمكننا أن ندعي أن شراء اللباس المستعمل كان له انتشار باعتبار أن مرض الكوليرا انتقل إلى سراييفو ١٨٦٦م لأن بعض أهالي سراييفو لدى مرورهم ببلغراد اشتروا الملابس القديمة وأحضروها إلى وطنهم وباعوها.

كما أن تبادل الملابس كان من صميم عادات أهالي سراييفو المتمثلة بإهداء الملابس لفقراء المدينة من قبل العائلات الغنية وخاصة بمناسبة الأعياد الدينية ، ومن الملابس التي تهدى إليهم كانت الملابس الأساسية مثل : البردة والسروال والقميص وكوبران والشبشب والخف والشال والحاجات الأخرى[٣٠٦].

---

٣٠١ آ س آ مجموعات عائلة ديسبيتش صندوق رقم ١ كتاب رسائل ألكسا ويوفو ديسبيتش ٢٥٨١ ـ ٢٦٨١ رسالة رقم ١ ٢٢/٥/٢٦٨١

٣٠٢ القانون المدني العثماني ٤٣٥

٣٠٣ نص القانون كما يلي : إذا استأجر أحد لباساً ليذهب به إلى مكان ما ثم لم يذهب وإنما لبسه في بيته أو لم يلبسه البتة وجب عليه دفع الأجرة ، المرجع السابق ٥٣٥

٣٠٤ الحلي له حكم اللباس ، المرجع السابق ٧٣٥/٦٣٥

٣٠٥ ألكسا بوبوفيتش آخر كبار قساوسة اليونان في البوسنة ، سراييفو ٥٠٩١ ص ٤ ـ ٥

٣٠٦ ألكسا بوبوفيتش : سير أعلام سراييفو ص ١١٢

ولإدراك خصائص اللباس في سراييفو في الفترة المقررة دراستها نصفها وصفاً تفصيلياً، فالبنسبة للمرأة المسلمة كان لباسها يتألف من القميص الطويل ويزين بالزخاريف الذهبية بين النساء الأغنياء والسروال الواسع ويوضع فوق القميص فرسن وهي بردة بلا أكمام وتكون فوق السرة ويشرمي وهي شبيهة بالسابقة ولكن تكشف عن صدر المرأة خلافاً لها ، وديغسيليا والجبة وتنورة إلى ما دون السرة وعادة تكون من السمت ، وأنثيريا كانت تلبس في هذه الفترة على السراويل وليس القميص الطويل فقط[٣٠٧]، أما لباس نساءالأرثوذوكس فكان مختلفاً فقط في اللون وهو أزرق غامق أو أسود .

وبعد ما أحدثه التأثير النمساوي في هذه الفترة لبست نساء الأرثوذوكس تنورة طويلة فوقها قميص ورداء ، وطاقية صغيرة بادش وهي من مزايا لباس الأرثوذوكسيات وتكون الضفائر حولها ، أما لباس الكاثوليكيات ميزته الزخارف على أطراف الثياب وتضع المرأة الكاثوليكية طاقية صغيرة أيضاً وتغطي نفسها بمحرمة قماشية رقيقة[٣٠٨] ، بينما كان لباس اليهوديات يتكون من قميص له كمان عريضان وييلك وهو سروال ، وتضع اليهودية على رأسها طاقية تثبت الدينار عليها باللؤلؤ ، وتضع بنات الأغنياء قلادة من اللؤلؤ أو الدنانير .

وكان لباس المرأة المتزوجة عبارة عن قماش رقيق وأكمامه مزخرفة بالخيوط الذهبية أو الحريرية والجزء الأعلى تكثر عليه الزخرفة ويغطي الجسد ويكون للحماية من الأمطار والرأس عليه طاقية صغيرة ملفوفة بالحرير المسمى توكادو ، وكانت النساء الغنيات يضعن عليها الدنانير الذهبية ، وفوق توكادو يكون شال يغطي الرأس والظهر جزئياً حتى يكون الشعر مستور ، وهذا النوع من التغطية والطاقية هي ميزة لباس اليهود[٣٠٩]، فكانت الطاقية تستر الشعر بطرفها الأحمر وتبدو من خلاله الدنانير على جبهة المرأة ، كما لبست النساء الجبة أيضاً ولكن أقصر من التي لبسها الرجال .

كانت النساء الغنيات تأتي إلى بيوت أزواجهن بالإرث وهو رداء من الحرير أو القطيفة المزخرفة بالخيوط الذهبية والفضية ، وتلبس المرأة هذا الرداء الخاص في المناسبات الخاصة مثل الأعياد وحفلات الزفاف ونحوها ، هذا الرداء كانت له قيمة عظيمة جداً كون أن المصادر تشير إلى أن الأم تهديه لابنتها ثم هي لابنتها[٣١٠] .

---

٣٠٧ انظر ليليانا بليكاشيتش حاج ديديتش : التقاليد البلدية لمسلمي سراييفو و زاغرب ٧٨٩١ ص ٠١ ـ ٨١

٣٠٨ ملابس أهالي المدن في البوسنة والهرسك في القرن التاسع عشر : كاتالوغ للمؤلفة نفسها، متحف مدينة سراييفو ص ٩١ ـ ٠٢

٣٠٩ المرأة اليهودية تشبه المسلمة في لباسها فهو غامق الحمرة ومقفل ، يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٩٢٢

٣١٠ أفرام بنتو المرجع السابق ص ٧٢

وبما أن لباس المرأة في بيتها يبرز جمالها النسائي فإن هدف لباسها خارج المنزل كان عدم لفت أنظار الرجال إليها ، لذلك تمتاز الألبسة النسائية بأنها بسيطة للغاية ، ومن الألبسة الضرورية هي الفرجة أي نقاب المرأة[٣١١] وهو غطاء رقيق مصنوع من القماش الخفيف مع الأكمام العريضة ، كانت النساء الفقيرات تضع قماشاً عادياً لتغطية رؤوسهن ومناكبهن وصدورهن ، يذكر حمدي كريشيفلياكوفيتش أن اللباس (زار) هو لون من ألوان النقاب دخل إلى سراييفو سنة ١٨٦٦م وغالباً ما كان يتأثر بالموضة من اسطنبول ، وأول امرأة وضعته هي عطيفة موريتش[٣١٢] حيث وضعت على وجهها ياشماك ـ منديل وفوقه النقاب .

كانت ألبسة النساء مزينة بالتطريز الغني وكل تطريز فريد من نوعه وكان يعمل يدوياً لكل قطعة لباس ، ولا بد من ذكر أن تطريز فستان الفرح تقوم به الفتاة لنفسها قبل أن تتزوج ليكون الفستان جزءاً من إرثها تأتي به من بيت أهلها إلى بيت زوجها ، وغالباً ما كان التطريز في سراييفو بالخيوط المذهبة ، وتظهر مهارة التطريز على الفساتين والمحارم وتزيينات البيت.

ومن العناصر المهمة بالنسبة إلى لباس المرأة هو حليها ، والحلي المفضل هو الذهب أي خواتم الذهب وأساوره وحلق الأذن ونحوها ، دفع ألكسا يفتانوفيتش حلق الأذن لإحدى بناته سبعة وعشرون غروش للقطعة ، ومن المثير للاهتمام أنه يشتري لهن بينما يشتري لأمه وخالته القماش أو الملابس أو الجوارب ، وكانت العادة لدى زواج المرأة كما يذكر بيساروفيتش أن يشتري الرجل شورجيا مع ياقا تكلفتها ما بين عشر إلى خمسة وعشرين ديناراً ذهبياً وكانت زينة المرأة في المناسبات كلها ، ولكن كانوا ينظرون كم عدد اللؤلؤ والحلي من الدنانير والرشيديات وهي ثلاثة دنانير على الصدر ، بعض النسوة كن يحملن اللؤلؤ حول أعناقهن بحيث يغطي العنق وأقله عشرة إلى خمسة عشر عقداً من اللؤلؤ ، وكان تبلوك «الدنانير والضفائر» حولها الدنانير كذلك على الجبهة تسمى كادرميزيا[٣١٣] وكانت من الأذن إلى الأذن ، أما الخصر فيكون تزيينة من يافتا قيمتها أربعون ديناراً ، وفيما يتعلق بالخواتم والجواهر فكانت على جميع الأصابع واحد جنب الآخر ، ومن النساء من كانت جواهرها قيمتها ألف دينار علماً بأن إسوارة بنزلوك[٣١٤] قيمتها خمسون ديناراً[٣١٥].

---

٣١١ الفرجة هي أهم قطعة في لباس المرأة المسلمة وتكون غالباً لونها أخضر وعند غيرهن الأزرق أو الكستني ، علي بيتيتش : الراحة الشخصية والمنزلية ص ٣٦١

٣١٢ ح. كريشيفلياكوفيتش المختارات ١ ص ٩٩٣

٣١٣ ديزيا ـ قلادة كادرما الأحجار الكبيرة مثل الكورال أو دينار اللؤلؤ ، عبد الله شكاليتش : الكلمات التركية في اللغة الصربية والكرواتية سراييفو ٦٦٩١

٣١٤ بنزلوك ٤ شكاليتش المرجع السابق

٣١٥ يوفو حاج بيساروفيتش : من تاريخ سراييفو والبوسنة في فيلا بوسانسكا ٦٨٨١ رقم ٦

تعرف بنات ونساء الأغنياء بحليهن لأن اللآلئ كانت كبيرة الحجم في زينتهن ودنانير الزينة تأتيهن من البندقية وهي سميكة مع خواتم الألماظ والضفائر المزخرفة بالجواهر وعلى بعضها خمس أو ست قلائد مع الدنانير المزخرفة وتتدلى إلى الأسفل وتحت البافتا لآلئ كبيرة الحجم يربطنها كالحزام، وباختصار فإن نساء وبنات الأغنياء يضعن على أنفسهن حلياً تصل قيمته إلى ثلاثة آلاف دينار[٣١٦]. ويثبت بيلينسكي أن الحلي من بين العناصر المهمة التي تبرز المرأة وضعها المالي من خلاله حتى بعد الاحتلال النمساوي المجري ويخلص إلى القول أن المسلمات لدى زيارتهن لزوجته للعشاء يضعن على أنفسهن حلياً قدر ممتلكات بعض الأشخاص كاملة[٣١٧].

أما لباس الرجال فعادة ما يكون من شاكشير وشوراك وحزام وشمرا وحزام جلدي ، وشروال وبيلينغاشا مع توزلوك ملصقة أو مفصولة والجوارب إلى الساق ورداء بلا أكمام يستر الصدر وتحته يشرما ، ومعطف مزخرف أيضاً بلا أكمام وحزام من الحرير أو الصوف أو نوع آخر من القماش ليثبت السروال، وتعتبر الملابس الداخلية ضرورية .

وفي المناسبات الخاصة يلبس الرجل معطفاً له أكمام واسعة ويسمى جبة ويوضع تحته جلد الحيوان المدبوغ ، ومن الملابس أيضاً القمصان ، والمعطف والقفطان مصنوعين من القماش ، والسراويل من الصوف ، ويلبس كبار السن وأشراف القوم دولاما وهي معطف واسع يصل إلى الركبتين ، وقد عثرنا في المصادر على وصف لملابس الرجال تركه لنا روسكييفيتش جاء فيه: «بناءاً على الغنى والذوق أي هل هو بيك أم أغا أم أفندي ، يلبس الرجل معطفاً مزخرفاً بالخيوط الذهبية أو الحريرية أوما دونها»، كما لبس الرجال شاكشرا (السراويل) وتكون واسعة جداً على الصدر وأضيق عند الركبتين وعلى الظهر موسعة بالإضافة إلى القماش حتى يسهل عليه الجلوس إذا ما جلس على الأرض ، ويلبس الرجل معطفاً للمطر مبطنة بالجلد وعند الفقراء بغيره مع غطاء الرأس وعادة من النسيج الغليظ ولونه غالباً الأحمر[٣١٨]، أما البدلة فهي من التأثير الغربي وجاءت في العقد السابع من القرن التاسع عشر ولها وجود في شوارع سراييفو ، فقد اشترى ألكسا نيكوليتش في السابع من مارس سنة ١٨٦٩م قميصاً من طراز غربالدي واشترى معه رباط العنق ودفع ثمنهما ٥٢ فورنت ، ومن المثير للاهتمام ما تورده السجلات أن ألكسا وأخوه نيكولا غالباً ما يشتريان الجوارب والملابس من البائع كوستاي بيتروفيتش ، وكان سعر الجوارب في سنة ١٨٦٩م يتراوح بحسب الجودة والحجم ، وأرخص الجوارب الصغيرة كما ذكر ألكسا دفع ثمنها

ص ٠٩

٣١٦ ألكساي بوبوفيتش : سير أعلام سراييفو ص ٦

٣١٧ ليئون بيلينسكي : البوسنة والهرسك في ذكريات ليئون بيلينسكي سراييفو ٢٠٠٤ ص ٨٥

٣١٨ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٨٨٢

٤,٢ غروش وأغلاها وهي لإبنه يفتان ودفع فيها مبلغ كبير قدره ١٩ غروش [٣١٩].

الفوارق في اللون جاءت بناءاً على الانتماء الديني حتى عند الرجال ، فكان لون اللباس شعاراً للهوية الدينية ، حيث يلبس المسلمون ملابس خضراء والأرثوذوكس زرقاء وكستني وشورجيا، وعند المسلمين أيضاً خضراء وحمراء وعند غيرهم الزرقاء والصفراء وشوراك، وعلى سبيل المثال ثمة أجزاء في اللباس موحدة وتدل على الوحدة وهو الحزام يلبسه الجميع في لون واحد ويكون لونه أحمر عند المسلمين والنصارى والجبة تكون زرقاء لدى الجميع ، الأمر نفسه يحصل مع الأنثيريا فلونها أخضر ودولام يكون لونه أحمر[٣٢٠]، كبار السن من الغجر كانوا يلبسون ما يلبسه فقراء المسلمين والبقية لم يكونوا يختارون وإنما يلبسون المتيسر لهم[٣٢١]، أما ملابس الدراويش (الصوفية) حيث كانت عدة طرق صوفية موجودة في سراييفو فكانت مختلفة كذلك ، حيث يلبس الصوفي جبة طويلة وألوانها مختلفة وشوالاً طويل ، والعمائم لونها كذلك متنوع بناءاً على الطريقة التي ينتمون إليها .

وصف جورجيفيتش الدروايش أنهم يحملون الأسلحة فبعضهم يحمل السيف وبعضهم القنا وبعضهم الفأس على شاكلة الهلال والهورن وينفخون فيه ليدعوا الأرواح ثم يخبروا عن الغيب[٣٢٢] ، والمهم في نظر الدروايش هو ترك انطباع الغموض ويحققونه بالملابس المذكورة .

نرى مدى المفارقة في اللباس وجودته من الميراث في حالتين ، أولهما بعد وفاة أحمد منيب أفندي غلوجو وكان من الأغنياء في المدينة وتوفي في شهر يوليو سنة ١٨٥٠م وترك ما يلي من الملابس : لاهور[٣٢٣] قديم ـ شال ـ ، معطف من الصوف وشال ملون وآبدسلوك منشمر [٣٢٤]بالخيوط الفضية ، ورداء قصير ملون من الشام ، يليكاململون ، ملابس داخلية ، جونليك كاديونيتسا[٣٢٥] ، سراويل حمر وترابولوز[٣٢٦] وشال فارسي مع غرانام أبيض وسامور شوراك[٣٢٧] من القماش الأحمر وشوراك

---

٣١٩ إ أ س آ ز هـ صندوق رقم ١١ دفتر ألكسا ويوفو نيكوليتش ٧٦٨١ ـ ٠٧٨١

٣٢٠ علي بيتيتش : الراحة الشخصية والمنزليةص ٣٦١

٣٢١ ميلفكو س. يليبوفيتش : غجر فيسوكو ، مكتبة أتنولوشكا رقم ٧١ زاغرب ٢٣٩١ ص ٣١

٣٢٢ مارتن غيورغيفيتش : المرجع السابق ٦٢

٣٢٣ نوع من القماش الرقيق المستورد من الشرق ، ع شكاليتش المرجع السابق

٣٢٤ الحزام ع شكاليتش المرجع السابق

٣٢٥ صندوق العطر ع شكاليتش المرجع السابق

٣٢٦ الحزام الحريري مع الزينة على طرفيه ويستورد من الشام ، المرجع السابق

٣٢٧ البردة المبطنة بالجلد في هذه الحالة من جلد النمس ، المرجع السابق

صغير أخضر اللون ورداء قصير من شال باسماويلك ورداء قصير أبيض اللون وشال جبة [٣٢٨] من عدة قطعات ، رداء أبيض[٣٢٩] قصير وآخر قديم وشال وجبة قديمة برباط وجوارب تبلغ الساق وغاشيا قديمة وأزرار وخيوط حريرية و٣٩٣ داركا و ٢٥ دارما بيّنسيلاح [٣٣٠] وقد خيط بالخيوط الفضية ، الحالة الثانية هي تركة الحاج محمد بن الحاج أحمد توفي قبيل شهر أبريل سنة ١٨٧٥م في طريق عودته من الحج ، وترك وراءه الملابس التالية : خمسة قمصان وسروالاً واحداً ، شوزاك ، شورذيا ، بينيميش من القماش ، بوشو ، حزام أحمر ، بنيسلاح ، طربوش مع العمامة ، ساروك ، و جزمة[٣٣١].

هذه المقارنة بين الحالتين تكشف الفوارق العظيمة بين الطبقة الغنية والطبقة المتوسطة والترف الذي كان بعض الناس فقط قادرين عليه ، وهذه من خصائص الأغنياء الذين بمقدورهم شراء الأقمشة الفاخرة والملابس الغالية بينما يلبس الفقراء بدلة واحدة لعقود [٣٣٢] .

يشكو ماركو ماريتش أنه بقي بلا ثياب ولا حذاء فيقول: « لا سراويل عندي بل ألبس ملابس النساء ، لا شيئ عندي، بكلمة مختصرة .. أنا عار[٣٣٣]» ، كما نرى كان كثيرون لا يملكون غير ثياب واحدة ، ويذكر بيساروفيتش أن الرداء الواحد كان يلبس عشرين عاماً والشبشب لخمس سنوات ، ومن كان يملك كاوايي يمنية من تشيتا اسطنبولية يعتبر شيئاً فاخراً[٣٣٤] .

يتبين لنا مما سبق أن دور الملابس وكونها متنوعة يأتي لإبراز الطبقة وإظهار غنى العائلة ، وباعتبار سراييفو مدينة باردة وشتاؤها قارس وطرقاتها حجرية فإن قيمة الأحذية كبيرة في اللباس اليومي ، وبالنسبة لأنواع الأحذية فقد كان أكثر انتشاراً : الجزمة ، الخفان ، الشبشب والجزمة الصفراء الواسعة من صفيان[٣٣٥] باعتبارها الأحذية التقليدية ، بينما كان هناك حذاء حديث جداً من الموضة الغربية الموجودة وقتها يصفه روسكييفيتش بأن الذين يلبسون البدلة الأوروبية وخاصة موظفو الدولة وخدمهم يلبسون الأحذية التي يسهل خلعها صيفاً وشتاءاً[٣٣٦].

---

٣٢٨ لباس رسمي لعلماء المسلمين ، المرجع السابق

٣٢٩ الحزام له جيوب للأوراق والنقودع . شكاليتش المرجع السابق

٣٣٠ تركة أحمد منيب افندي غلوجو لراشد حيداريفيتش ص ٧٠٢ ـ ٧١٢

٣٣١ علي بيتيتش ، الراحة الشخصية والمنزلية ص ١٥١

٣٣٢ سعيد م تراليتش ، تأثير الأتراك على حياة المسلمسن في البوسنة و الهرسك ص ٤٥١

٣٣٣ د. أندريا زردوم المرجع السابق الرسالة ٤١١ ص ٣٦١

٣٣٤ يوفو حاج ن . بيساروفيتش ، من تاريخ سراييفو زالبوسنة ، بوسانسكا فيلا ٦٨٨١ رقم ٦ ص ٠٩

٣٣٥ هنرك رنر ، المرجع السابق ص ٤٩

٣٣٦ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٥٨١

بعد الإصلاحات في الجيش النظامي وفي الإدارة فرضت الأحذية الأوروبية ولم يكن في سراييفو من السكافيين من يجيد صنعها فحضر عدد منهم من دالماتسيا[٣٣٧] ، لهذا السبب أرسل طوبال عثمان باشا ثلاثة شباب ليتقنوا حرفة الإسكافية ، هؤلاء الحرفيين تمركزوا في شارعين في سراييفو وهما تاراكشية و نعلشرشية وتسمت الحارة بعد ذلك بحارة كندرجولوك[٣٣٨].

كان كل فرد في بيوت الأغنياء يملك عدة أحذية بينما لا يملك الفقراء غير حذاء واحد ، وأفقر الناس لم يملك الأحذية البتة وإنما مشوا حافي القدمين[٣٣٩] حتى في البرودة القارسة وكانوا يأتون كذلك إلى الأسواق[٣٤٠] ، وفي مقالة لجريدة سراييفسكي تسفيتنيك عن الأحذية نشرت على صفحاتها ما يلي: «تلبس النساء في الصيف شبشب وفي الشتاء جزمة ، و تلبس حذاء وعليه ما يسمى فرالا[٣٤١] وجزمة عالية لونها أصفر مع شبشب والجديد هو الأحذية مع الرباط[٣٤٢] ولون الرباط كان أسود غالباً ويشترى مفصولاً عن الحذاء وسعره خمسة غروش ، وتلبس اليهوديات أحذية سوداء غالباً[٣٤٣]».

عمل صناع الأحذية بشكل واسع ودل على ذلك الإعلان الذي نشرته جريدة سراييفسكي تسفيتنيك وجاء فيه : «نشكر الحذائين الذين لا يزيدون في سعر الجزمة التي يبيعونها بسعرها المعتاد ، فليس كل إنسان قادر على شراء حصان أو عربة ، ولو لم يكن الإنسان والعياذ بالله يملك جزمة كيف يستطيع أن يمشي على ما يسمونها شوارع سرايفو التي تكثر فيها العربات ، على كل من لا يملك جزمة أن يشتريها[٣٤٤]»، هذا الإعلام ترويج ودعاية أكثر مما هو وصف للواقع .

وبجانب خدمة صنع الجزم عمل الحذائون على تصليح القديمة منها ، وبحسب سجلات ألكسا يفتانوفيتش أنه يدفع لتصليح أحذية كبار السن من العائلة مثل الخالة والعمة وغيرهما مبلغ ٥٥ غروش[٣٤٥] .

٣٣٧ فلاديسلاف شكاريتش المختارات ١ ص ٩٩٢ ملاحظة رقم ٥٦٢

٣٣٨ ح. كريشيفيلياكوفيتشا المختارات ٢ ص ٤٣١

٣٣٩ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ١٢٢

٣٤٠ سراييفسكي تسفيتنيك ٠٧٨١/١١/٨٢م وقم ٨٤ ص ١

٣٤١ الرحالة الإنجليز يذكرون فرالا صفراء وشبشب عند النساء كما في اسطنبول ، عمر حاج سليموفيتش المرجع السابق ص ٩٩١

٣٤٢ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٠٣٢

٣٤٣ أفرام بنتو : المرجع السابق ص ٧٢ ، م . بفي المرجع السابق ص ٩٣

٣٤٤ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٦٤ ، ٩٦٨١/١١/٣١ ص ١

٣٤٥ في يناير ٧٦٨١ دفع ألكسا تصليح الحذاء القديم لخالته ٥٥ غروش وهو مبلغ كبير إلى حد ما باعتبار أنه اشترى حديدتين لبناته بـ ٠٦ غروش، إ آ س زهـ صندوق رقم

ومن أجزاء اللباس الذي يعتبر ضرورياً هي الطاقية وتستحق اهتماماً حيث تعتبر شعاراً تتميز به الأديان ، وشكل الطاقية لم يكن مختلفاً بين الأديان بل كان في الإسلام فوارق غير التي بينهم وبين اليهود والنصارى وذلك بناءاً على حرفهم ومواقعهم فيعرف منها الشخص لأي طبقة اجتماعية ينتمي : التجار ، الأئمة ، الشيوخ ، المدرسون ، القضاة وأصحاب الأصناف والزراع وغيرهم .

كان كبار السن يلفون حول الطرابيش ما يسمى بساروك وهو قماش وألوانه مختلفة ، فكان علماء المسلمين يضعون اللون الأبيض أما الحجاج فيضعون اللون الأصفر والأبيض المختلط مع خيوط حريرية بينما يضع الدراويش العمائم الخضراء ، ويلبس الأغنياء الطرابيش الحريرية والفقراء الحمراء العادية أو يضعون قماشاً عادياً على رؤوسهم[٣٤٦].

أشهر مظاهر الموضة الأوروبية هي الطرابيش بلا ساروك[٣٤٧] أي دون لف القماش، كما انتشرت الألبسة والأحذية الأوروبية بعد منتصف القرن التاسع عشر ، و قد أثار هذا اللباس ضجة اجتماعية وصفتها الأغنية الشعبية التالية :

تلي فرمان وجيز
أمام الجامع ، جامع بيك
بكى كبار السن
وغنى صغار السن
خلعوا عمائمهم
ووضعوا طاقية مجيدية
خلعوا عن كل منهم رداؤه
وألبسوهم حورانية
خلعوا عنهم سراويلهم الواسعة

---

١١ دفتر ألكسا ويوفو نيكوليتش ٧٦٨١ ـ ٠٧٨١

٣٤٦ هنرك رنر المرجع السابق ص ٣٩

٣٤٧ فكرت كارتشيتش موقف العلماء المسلمين البوسنيين تجاه الإصلاحات في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ،(أنال) مجموعة مقالات مكتبة غازي خسرو بيكرقم ٧١ ، ٨١ ، سراييفو ٦٩٩١م ص ٧٢٢ ، مايو ٨٢٨١ في الجيش العثماني تم إقرار طربوش شمال أفريقيا بدلاً عن الطاقية الصوفية (شوبارا)

وألبسوهم بنطلونات
خلعوا عنهم يمنيتهم
وألبسوهم أحذية أجنبية[٣٤٨]

يبرز الفرق بين كبار السن وصغار السن في نظرتهم إلى الظاهرة الجديدة ويبرز لنا أن الجيل الجديد يحبذ الملابس المعاصرة ، وقد تعلق الجيل الجديد بقطعتين يمكن تعدادهما بين اللباس وعناصره فيما بعد وهي النظارة الطبية والتي كانت تستعمل في القرن الثامن عشر[٣٤٩] وتستورد عادة من اسطنبول أو فيينا [٣٥٠] ، واستدللنا على وجودها من خلال ما أورته المصادر بأن أنجا أرملة يوسو دميتريفيتش والتي توفيت سنة ١٨٦٩ عن عمرناهز التاسعة والتسعين تركت لبس النظارة ثمان سنوات قبل وفاتها [٣٥١] ، والأخرى هي الشمسية وما يدل على وجودها هي طلبية البضائع من فيينا التي أرسلها ألكسا ديسبيتش يطلب من بين الأشياء الأخرى عشر شمسيات[٣٥٢].

الملابس الرسمية ليست موضوع اهتمامنا وقد تغيرت وفقاً للقوانين المطبقة وقتها ولكننا نذكر بعض الحقائق إتماماً للصورة فيما يتعلق بهذا الجانب ، أكثر المتغيرات وقعت في ملابس العسكريين والملابس الرسمية ، حيث فرضت البدلة الحديثة على المجندين البوسنيين بعد محاولات دامت سنوات عديدة من قبل جودت أفندي ، وأدرك جودت أفندي أن الشعب يحب اللون الأخضر فلبس بعض الشباب البدلة أيام العيد ، ويصف جودت أفندي ذلك فيقول : «في المباني العسكرية في سراييفو تواجدت كتيبة من الجيش وصلت إليهم بدلات خضراء مع الرتب ولكن أمسكتها وأمرت بلبسها يوم العيد ، ولما خرج البوسنويون صباحاً إلى الجوامع تفاجأوا برؤيتهم في بدلات جميلة[٣٥٣]» ، ويخلص في الختام أن كلمة أخضر محبوبة لدى البوسنويين ويتضح هذا من كثرة ورودها في الأغنيات التي تغنيها فتيات سراييفو لعشاقهن ، وبدأ كثير من الشباب في سراييفو بلبس هذه البدلات[٣٥٤] ، ونشرت جريدة البوسنة آنذاك أن ملابس الموظفين

٣٤٨ سعيد م تراليتش : المرجع السابق ص ٤٥١
٣٤٩ علي بيتيتشالمرجع السابق ص ٥٦١
٣٥٠ د. أندريا زردوم : المرجع السابق رسالة رقم ٦٨١ ص ٣٣٢
٣٥١ فهيمم بيغوفيتش المرجع السابق ص ٠٥
٣٥٢ إ آ س ز د صندوق رقم ٠١ كتاب نسخة رسائل ألكسا ويوفو ديسبيتش
٣٥٣ ح. كريشيفيلياكوفيتش المختارات ٤ ص ٠٦
٣٥٤ المرجع السابق ص ٢٦

في الولاية تغير أيضاً حتى أن مستوى الكتبة من الدرجة الثانية الذين لبسوا حتى ذلك الوقت بدلات حمراء فاتحة ، والموظفون من الدرجة الثالثة أي الذين رتبهم الثالثة وكابيجباشلوك كانوا يلبسون البدلات الزرقاء مع الخيوط المذهبة ، فقد أزالت البدل الخضراء جميع الفوارق وكل بدلة يجب أن تكون على نمط واحد من القماش وعليه التطريز الذهبي[٣٥٥] .

كما رأينا فإن فترة ولاية طوبال عثمان باشا شهدت تغيير الموضة ليس بين موظفي الدولة فحسب بل بين عامة الناس ، وجاءت الموضة الأوروبية عن طريق التجارة ولها وجود كذلك بين الرعايا الأجانب واشتهرت أكثر فأكثر، فالرعايا الأجانب وخاصة الموظفون في البعثات الدبلوماسية أثروا على النصارى فأصبحوا يعتبرونها نماذج مثلى بدلاً عن تقليد النخبة المسلمة ، ولا نتغافل كذلك أن الألبسة الأوروبية كانت عملية جداً وتنتشر سريعاً وبوجه خاص بعد الاحتلال سنة ١٨٧٨م الأمر الذي أبعد الألبسة التركية عن الساحة .

ومن المستدات التي اطلعنا عليها والتي تخص تلك الفترة ما أفادنا بإدخال محلات لتنظيف الملابس وقد تابعت جريدة البوسنة فتح إحداها فكتبت ما يلي : «أعلن على الجماهير أنني فتحت محلاً لتنظيف الملابس من كل أنواع الأقمشة سواء كانت من الحرير أو القطيفة أو غيرهما ، وألتزم بتنظيف جميع البقع الوسخة من الملابس وإبقاء لونها كأنها جديدة[٣٥٦] »، لا يمكننا أن نحدد أسعار الخدمات ولكن الناس بدأوا يستفيدون من خدماتها وقد ورد ذلك في دفتر ألكسا يفتانوفيتش الذي دفع لمنظف البقع ٢٢ غروش[٣٥٧].

ولمعرفة أي الألبسة أكثر بيعاً وشراءاً وكيف كانت أسعارها نذكر المعلومات التي حصلنا عليها من دفترين للمبيعات وللمشتريات وهما دفتر ألكسا ديسبيتش يسجل فيه مبيعات محله ودفتر ألكسا يفتانوفيتش يكتب فيه مصاريف بيته، حيث نجد أنه خلال سنة ١٨٦٦م باع ديسبيتش البضائع والمواد التالية وبحسب كميتها وأسعارها بالشكل التالي : تولتا أسري من الصوف بـ ٧,٢ غروش ، تست ١٢ قطعة ، إبرة لـ ٢,٢٥ غروش ، قميص ٢٥,٢٠ غروش ، زوج أوزنيجال ٦٠ غروش[٣٥٨] ، عريشين[٣٥٩] وشكبزي ٢٤,٢٠ غروش ، ٦ عريشين آبري صوف ٣ غروش ، ٨ جوارب٤٧

٣٥٥ البوسنة رقم ٢٦ : ٦٦٨١/١١/١٢ ، و ٦٦٨١/٢/٣ ص ٢

٣٥٦ البوسنة رقم ٣٥ ، ٧٦٨١/٥/٢٢ و ٧٦٨١/٦/٣ ص ٢

٣٥٧ إ آ س زد صندوق رقم ١١ دفتر ألكسا ويوفو نيكوليتش ٧٦٨١ ـ ٠٧٨١

٣٥٨ ستزمن ع شكاليتش المرجع السابق

٣٥٩ قياس الطول عند النجارين قدره ٨,٥٧ سم وفي السوق ٨٦ وعند الخياطين ٥٦ سم ، ع . شكاليتش المرجع السابق

غروش[٣٦٠] ، أزرار ١,١٥ غروش ، ٤ جوارب ١٤ غروش (يبدو أنها ليست جيدة فسعرها منخفض) ، الشمسية ٤٠ غروش ، عرشين قماش ٦,٢ غروش ، ١٨ عرشين و١٣ تمرا [٣٦١]جوجقزا[٣٦٢] لونها أزرق وسعرها ١٦ غروش ، ٣/٤ عرشين قماش ملون ٥,١ غروش ، ٣ و١/٢جنزف[٣٦٣] غامق ٥ غروش ، ٧ و ١/٢ غرام شريط لتزيين لاتيسكو ٦,٢ غروش ، واحد هـ ر[٣٦٤] قماش جديد ٦٤ ، القفازين ٢٤ غروش ، ٣ موسوري شريط الذهب ٧٤,١ غروش ، أموسور ذهب ٢٩,٢ غروش ، أبري صوف ٦,٣ غروش ، ١ و ١/٤ عرشين أتلاس ٥,٢ غروش ، ١٩ عرشين ساليا[٣٦٥] بثلاثة غروش ، ٢ فلانر[٣٦٦] كوبارنا (الرداء) ٥٣,٢ غروش مجموعة الخيوط ١٨ غروش، ٢ توب شريط الصوف ١٦ غروش ، ٢ موسور ذهب ٥٦,٢ غروش ، ٤ جوارب ٨ غروش ، القفازتين ١٢ غروش ، ٦ فلانر ١٩٠ غروش ، ١/٢ عرشين داماست[٣٦٧] ٣,١ غروش ، ٣ توب شريط صوف ٢٤ غروش وبزى و[٣٦٨] شيتاكله لـ ٢٧ غروش ، كوبران من فلانر ٢٥ غروش ، دارم[٣٦٩] أبري ذهب ٣٠٢ غروش ، خيوط ٢ غروش ، ٦ و ١/٤ دوشكينزي وقفازتان ٢٠ غروش ، حذاء صغير ٢٨ غروش ، ٢ موسور ذهب ٥٨ غروش ، ١ و ١/٢ شويا ألسا ٤٥ غروش ، طربوش ١٢ غروش ، بوششوري ١٠٠ غروش ، موسوري ذهب ومجموعة الخيوط ١١٨ غروش ، حذاء ديتيتوفا (للأطفال) ٦,٢ غروش ، و٨ موسوري ذهب ٢٠٠ غروش[٣٧٠].

---

٣٦٠ يذكر فلاديسلاف سكاريتش أن سعر الجوارب ٦ غروش وهذا يعني أن سعرها كان ثابتاً نوعاً ما ، مفترض أن الجودة لها دخل في تحديد سعرهت، فلاديسلاف سكاريتش المختارات ١ ص ٢٥٣

٣٦١ يعني غراه وهوالجزء السادي عشر من عرشين ، ع . سكاليتش المرجع السابق

٣٦٢ القماش الحريري أو الصوفي المرجع السابق

٣٦٣ نوع من الحرير يختلط فيه اللونان المرجع السابق

٣٦٤ انظر الملاحظة رقم ١٣٣

٣٦٥ شكاريتش يسميها شالماحا وهي لون من القماش عليه خطوط طويلة تستعمل لرداء الرجال ، فلاديسلاف شكاريتش المختارات ص ٠٢٣

٣٦٦ يعني فلانر قماش لا فلانر الشخص الرجال كما جاء في الأصل ع . شكاليتش المرجع السابق

٣٦٧ حرير أو قماش صوف مع الزخرفة العربية ب . كلايتشيتش المرجع السابق

٣٦٨ القماش القطني الملونع . شكاليتش المرجع السابق

٣٦٩ قياس الوزن ١/٠٠٤ أوقية ع . شكاليتش المرجع السابق

٣٧٠ دفتر المبيعات يكون على أساس مبيعات يومية ، خلال سنة ٦٦٨١ بيع لـ٩٣,٢٤٣,٧٤٥ غروش منها في فبراير ١٢,٥٨٣,٧٣ غروش ، مارس ٤,٢١٥,٦٤ غروش ، أبريل ٤٣,٦٥٢,٩١ ، مايو ٤٣,٧٠٦,٣١ ، يونيو ٧,٢١٤,٢٣ ، يوليو ٧٧٥,٩٣ ، أغسطس ٢١٦,٥٤ ، سبتمبر ٢٩٩,٤٤ ، أكتوبر ٨٩١,٢٤ ، نوفمبر ٥٥٩,٨٨ ، ديسمبر ٣٤٩,٩٧ ، يناير ٧٦٨١ م ٣٢٩,٦٥ ، متوسط المبيع اليومي ما بين ٥١ إلى ٠٣ قطعة ولم يعمل في ٤١ يناير ، إ آ س آ زد صندوق رقم ٠١ دفتر المبيعات سنة ٦٦٨١.

بينما اشترى يفتانوفيتش طيلة سنة ١٨٦٦م البضائع والملابس والمواد التالية : في يناير ٣ عرشين حرير لكوبار ١٠٩ غروش ، ١٥ هـ ر حرير ٦١٠,٢٠ غروش ، فستان ٩٠ غروش ، فبراير ١١/٤ قماش ٧٥ غروش ، خيوط ١٨٨,٢٠ غروش ، قماش ١٤٠,١٠ غروش ، صوف ٩١ غروش ، مارس ٣١,٧٤ قماش غامق اللون ٢٠١ غروش ، قطعة سامور جلد ١٠ غروش ، حرير لونه غامق ١١ غروش ، حذاء ١٥ غروش ، روابط للأحذية ٥ غروش ، أبريل حذاء ٥٨ غروش ، جوربان ١٨ غروش ، طربوشان للنساء ١٨ غروش ، قطعتان من الذهب ١٥٠ غروش ، طربوش مبطن ١٨ غروش ، حرير ٧,٢ غروش ، حذاء ١١ غروش ، حلق للأذن ١٧ غروش ، شبشب ١٨ غروش ، يونيو حذاءان نسائية ٦٠ غروش ، جوارب ٦ غروش ، يوليو جوارب ٥ غروش ، حذاء ٥٤ غروش ، قماش ١٣ غروش ، طاقية ٤ غروش ، أغسطس سراويل ٣٥ غروش ، حذاء وأربعة أحزمة ٤٢ غروش ، حرير ٤٣ غروش ، دزاء ٤٤ غروش ، طربوش ١١ غروش ، كمامة (القماش) ٢٨ غروش ، قماش أزرق ٦٧ غروش ، طربوش ١٠ غروش ، سبتمبر حذاء ٥٤ غروش ، طربوشان ٢١ غروش ، قماش ٢٨ غروش ، أكتوبر حرير ١٢٠ غروش ، ١ و ٣/٤ كاشمير ٣٩ غروش ، نوفمبر شيئ من الأزرار ١١ غروش ، حذاء ٥٤ غروش ، ملابس داخلية فلانر ٤٨ غروش ، ديسمبر جوربان وشال ٣٦ غروش ، جوارب رقيقة نسائية ١٠ غروش وهي قطنية مستوردة مقاربة بالتي تصنع من الصوف وتكون رقيقة[٣٧١] .

أفادتنا هذه القائمة بصورة عن المشتريات الأساسية للأسرة فيما يتعلق يالملابس ، وأكثر المبيعات التي تلبس هي الأحذية فقد اشترى ثمانية أحذية أربعة ليفتان وهو ابنه الطالب في المدرسة واشترى حذاء لكل واحدة من بناته واشترى شبشباً لبناته بينما اشترى للعم جزمة وحذاء مثل الخالة ، ولم يشتر ألكسا لزوجته سافكا ولنفسه من الأحذية أي شيء سنة ١٨٦٦م ، والمصدران يفيدان أن القماش كان كذلك من أكثر المبيعات للخياطين ، فمن المثير للاهتمام أن الجوارب من البضاعة كثيرة الشراء ، وكان ديسبيتش يبيع ثمانية جوارب يومياً واشترت عائلة يفتانوفيتش عشرة جوارب سنوياً ، أيضاً نفهم أن بعض أفراد الأسرة يحصلون على الملابس فقط في شهر معين ما يدل على قداسة خاصة في ذلك الشهر وأن الأمر يتكرر في السنوات التالية ، وتحصل سافكا على حرير وفستان في يناير ، وغالباً لعيد الفصح ولم تحصل على شيئ خلال بقية السنة بينما حصلت البنات على حلق الأذن وشبشب وجوارب وحرير في أبريل وحصلن على ألأحذية في يونيو ، وهذا لا ينطبق على يفتان وهو الإبن الذي يحصل على مصروف الجيب وقدره دينار أي ٦١ غروش كل يومين مثل العمة أو العم ، ويحصل كذلك على قطعة لباس تقريباً شهرياً (جوارب ، حذاء ، حزام) ، كما اشترى له والده الطربوش المبطن بينما اشترى لنفسه وأخيه الطربوش العادي ، وبتحليل المعلومات الواردة من المصادر نستنتج أن شراء الملابس حتى

---

٣٧١ إ آ س آ ز د دفتر المصاريف المنزلية لألكسا يفتلنوفيتش

الأساسية منها عدة مرات شيئ لا تتحمله حتى الأسر الغنية مثل يفتانوفيتش إلا نادراً ، وأن الملابس الأساسية هي (الحذاء ، الجوارب ، قماش الخياطة ،) وهي ضرورية وتلبس أطول فترة ممكنة .



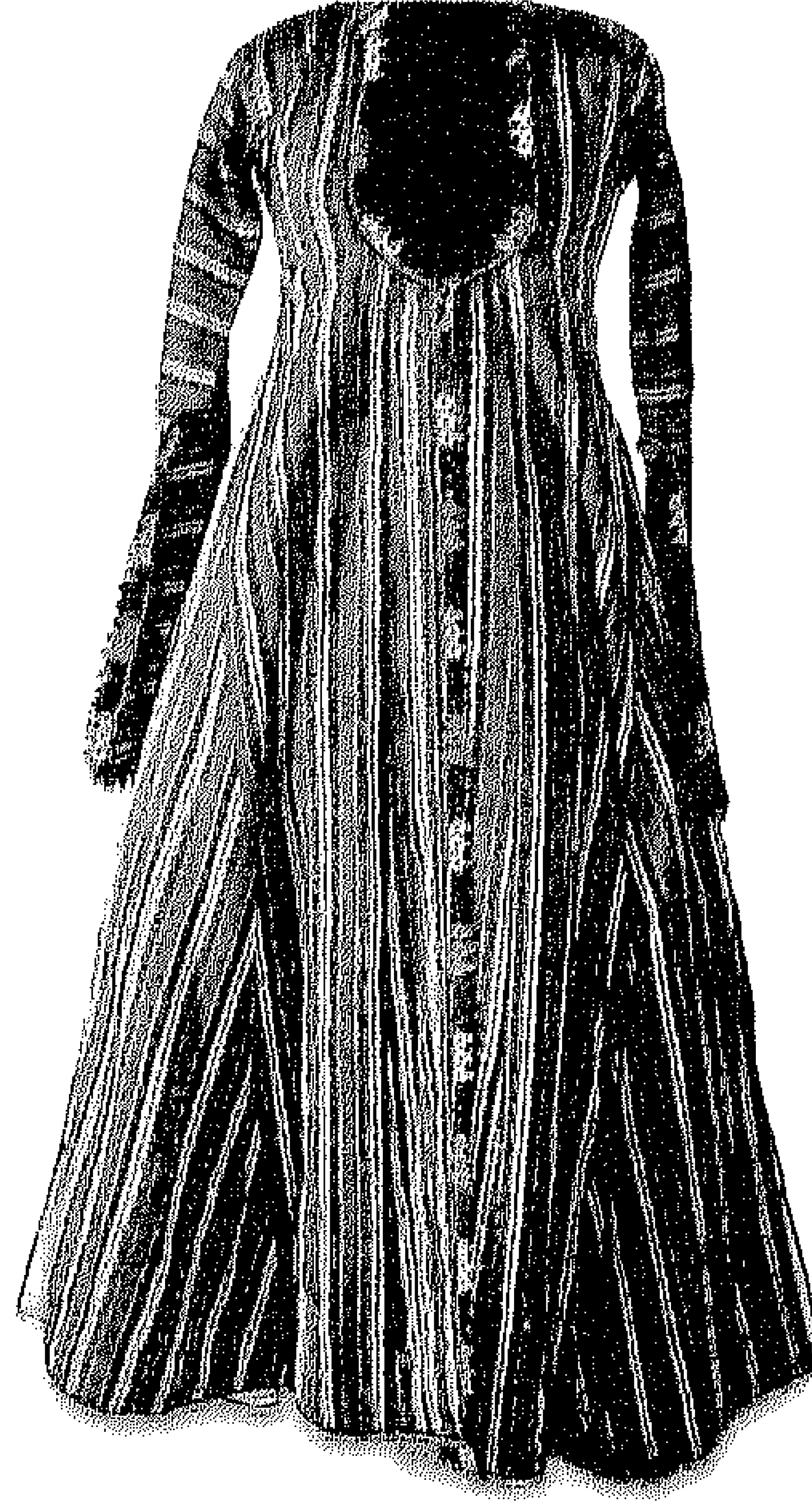
٥,١ لباس الرجال مع ساورك (العمامة) حول الطربوش



٥,٢ ملابس الكاثوليك مع السراويل يشيرميا وباموكليا (قطنية)



٥,٣ اليهودية مع طاقية متميزة توكادو



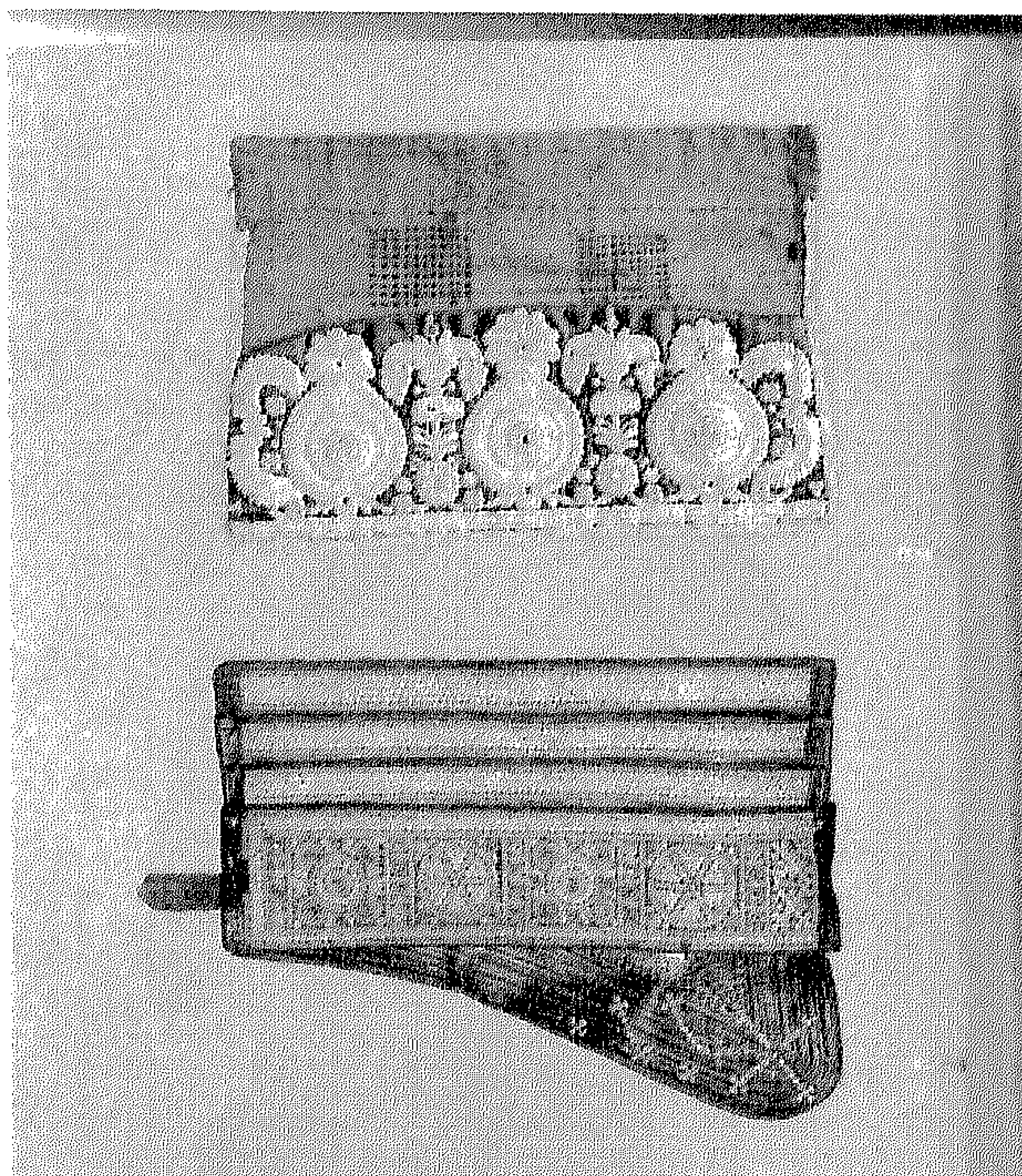
٥,٤ الرداء من الحرير الشامي آلاجة ملابس الطبقة الوسطى للمسلمين



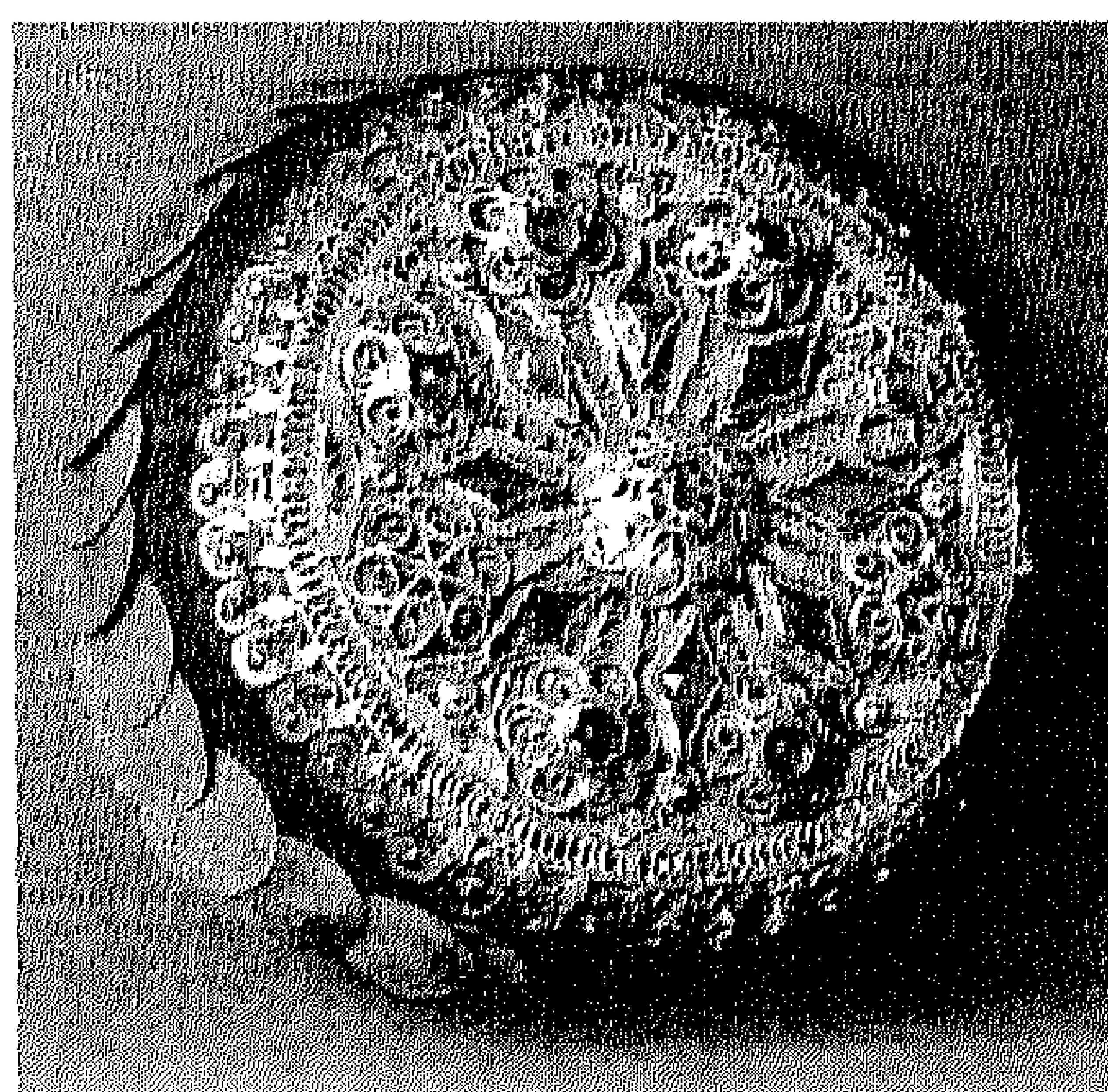
٥,٥ ليبادي مع الفستلن والقميص للعروس ـ ملابس الأرثوذوكس



٥,٦ رداء مزخرف بالخيوط الذهبية ـ ملابس المسلمين



٥,٧ بتشا تطريزها البديع لفرجة وبنسلاح (حزام)



٥,٨ تبلوك



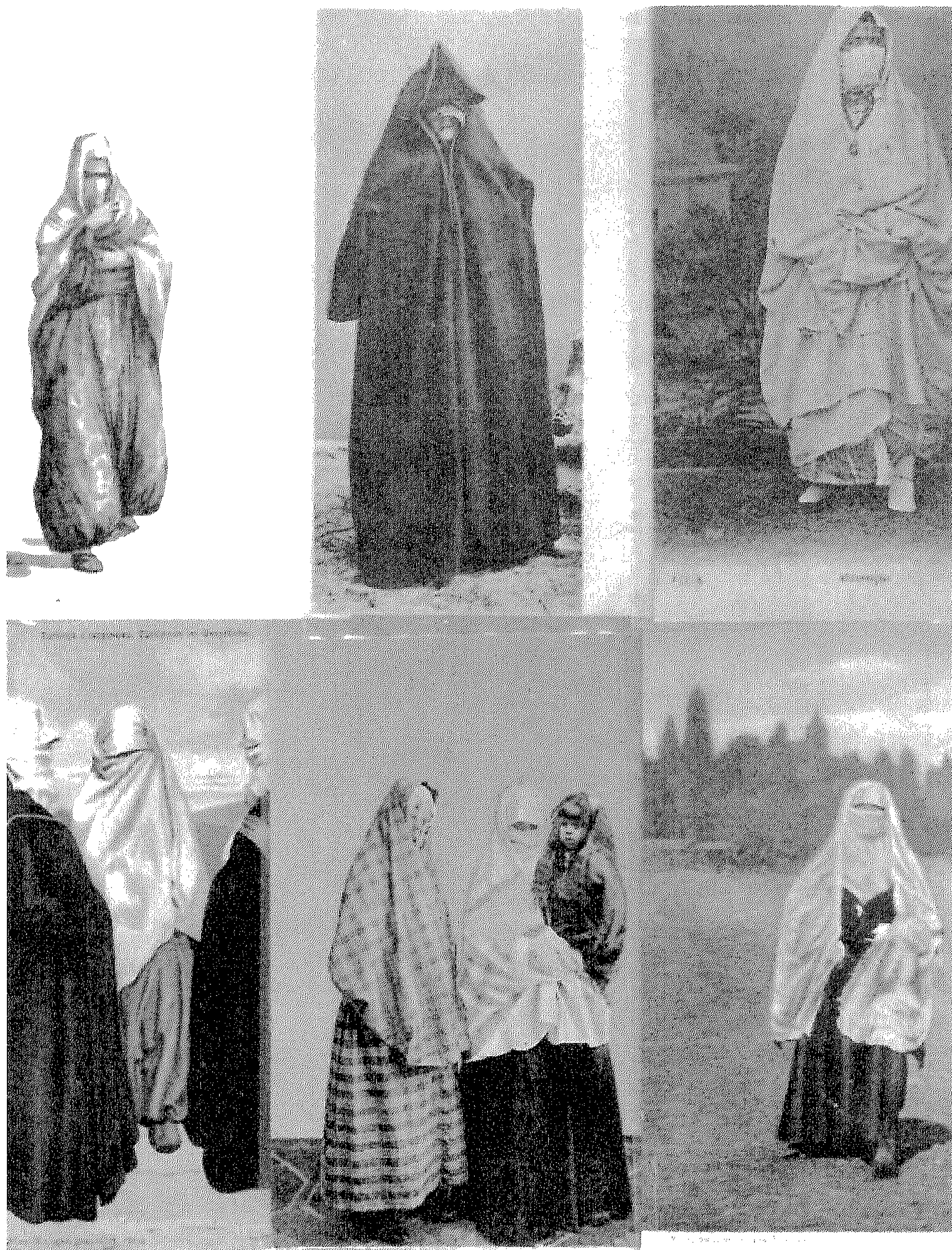
٥,٩ ملابس نسائية للفتيات



٥,١٠ شبشب مزخرف



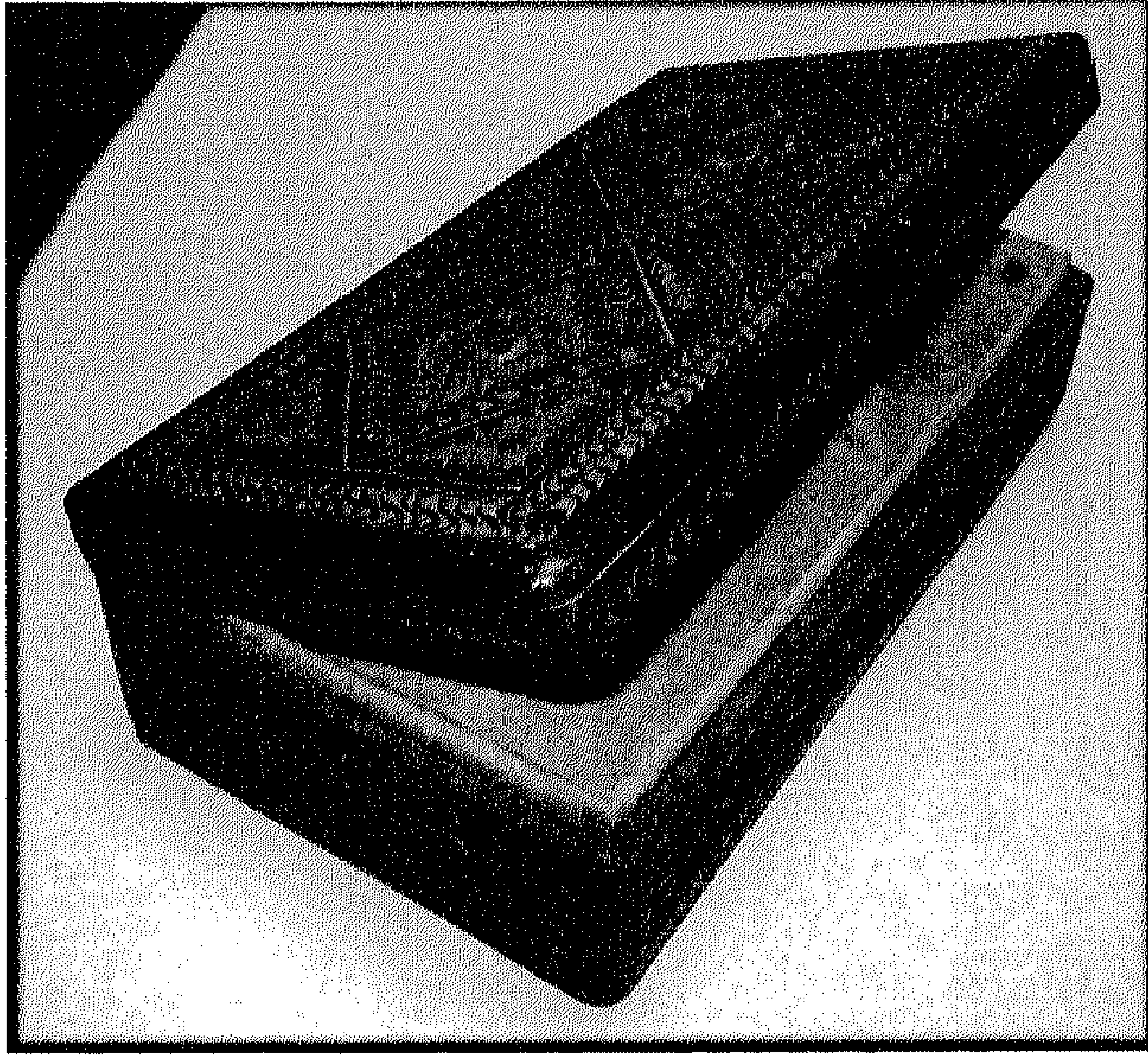
٥,١١ بافتا ـ قفل عمل الحرفيين من سراييفو



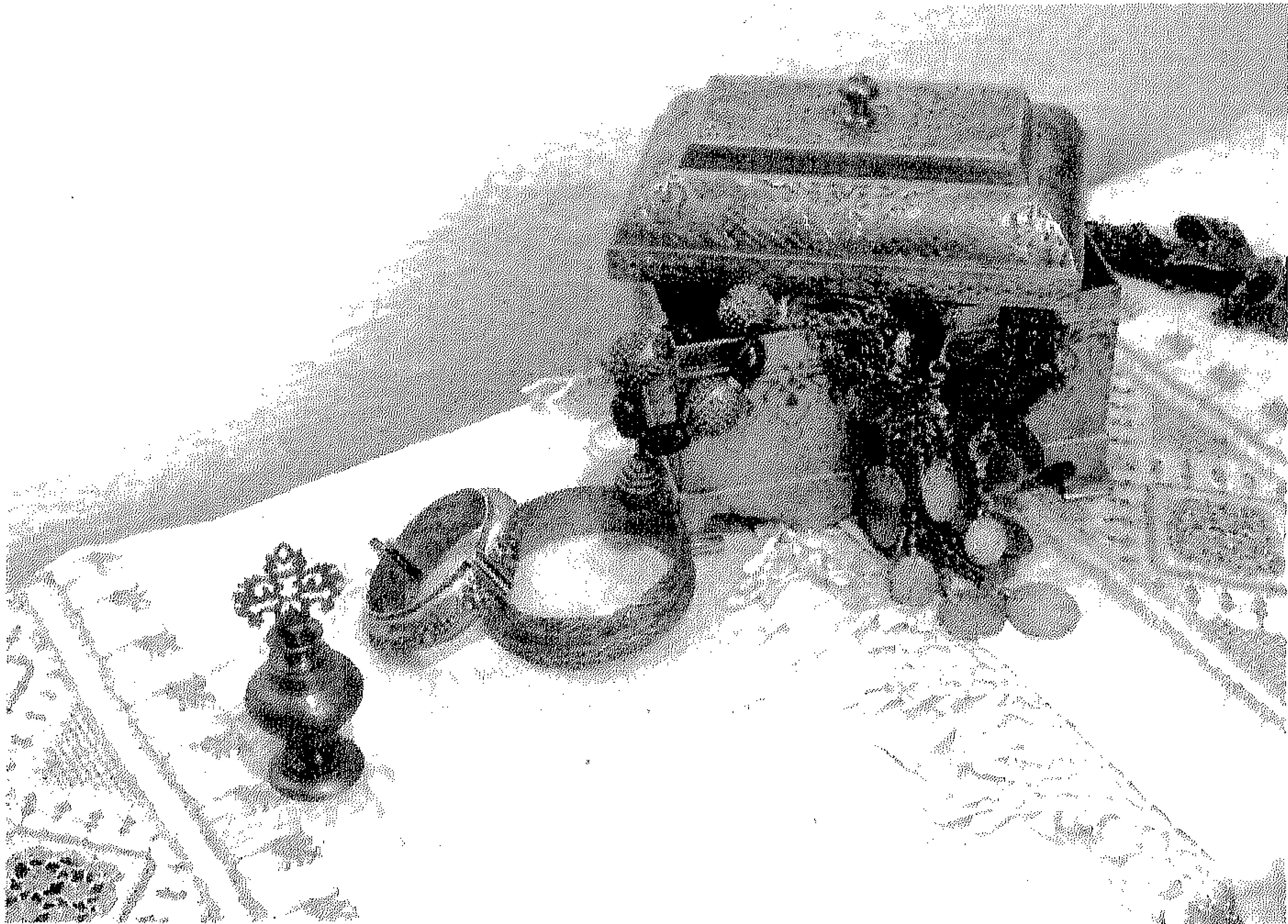
٥,١٢ أنواع الحجاب



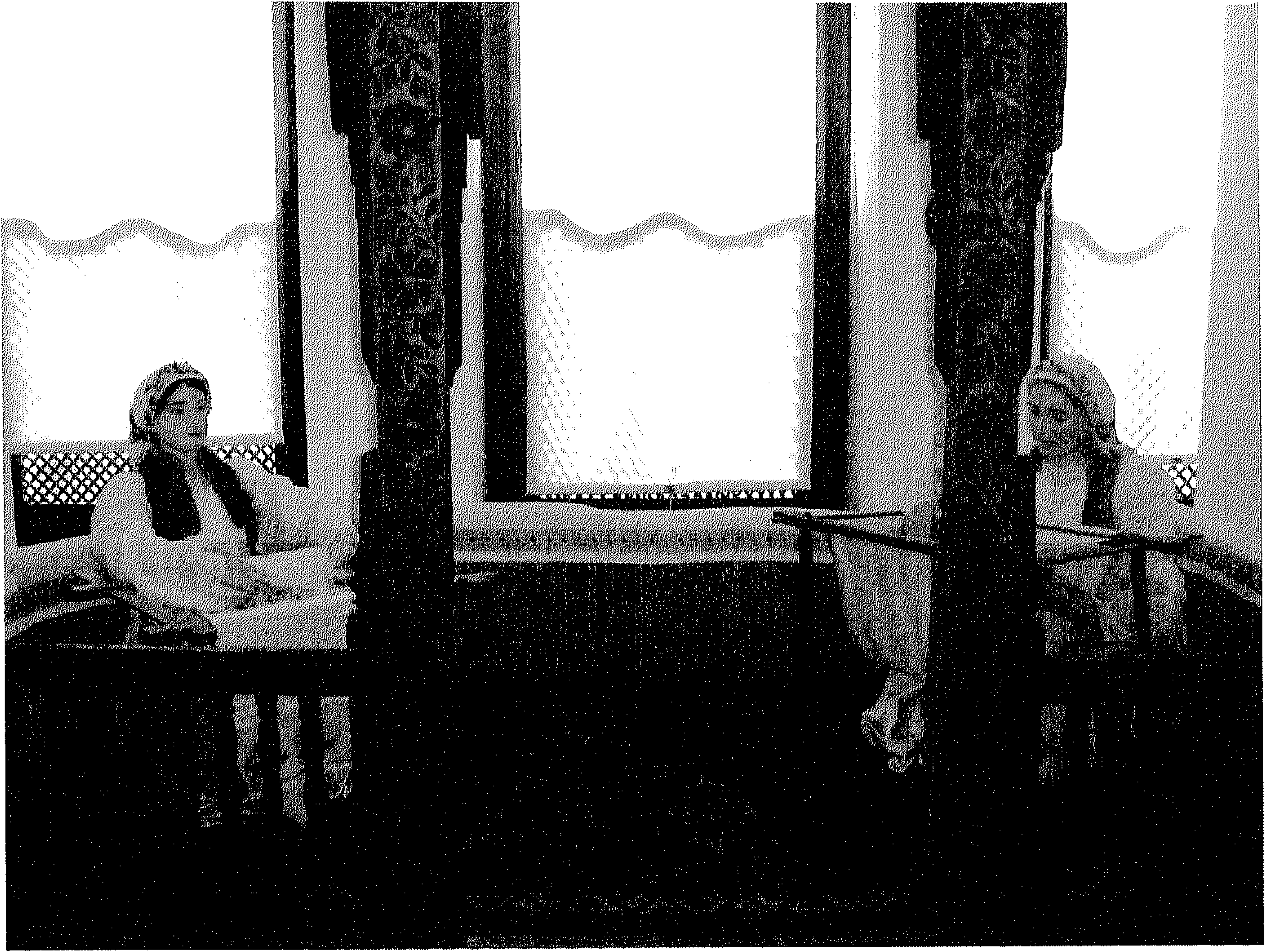
٥,١٣ لباس الفتيات



٥,١٤ خزانة خشبية مزخرفة ـ صندوق الجواهر والأدوات الصغيرة



٥,١٥ صندوق الجواهر ـ الجزء الثاني من القرن التاسع عشر



٥,١٦ الفتيات يقمن بالخياطة (التطريز)

VI

الطعام

كان تأثير الدولة العثمانية كبيراً جداً على سكان هذا الجزء من أوروبا ، وانعكس ذلك التأثير على الأطعمة ، فالطعام من العناصر المهمة للحياة اليومية باعتبار أن الأطعمة تعد عدة مرات كل يوم ، وكان أهالي سراييفو يهتمون بها غاية الاهتمام ، كما تمتلأ كتب الرحالة بتفاصيل حول الأطعمة المعتادة في البوسنة في تلك الفترة ، ويظهر الولع الكبير للأطعمة واضحاً من نصيحة منشورة في جريدة سراييفسكي تسفيتنيك ونصها : «نظراً لكون الحلويات مفضلة في بلدنا فإننا نعتقد أنه من الممكن إدخال كل ما هو جديد بشأنها وكذلك باقي الأطعمة الجديدة التي تضفي لذة وتفتح الشهية[٣٧٢]».

وإذا قارنا تسجيلات الرحالة حول الأطعمة في الفترة ما قبل باشيسكي وكتب الرحالة من الفترة التي ندرسها يمكننا أن نستنتج أن طريقة الأكل وأنواع الأطعمة بقيت نفسها خلال الحكم العثماني كله في هذه المنطقة .

الفوراق البسيطة ظهرت في القرن التاسع عشر وهي في جانب الأواني لدى الأسر الغنية وكذلك دخول الأجانب في عمل الخبازين ، وبفضل موقعها لم تفتقر سراييفو إلى المواد الضرورية للأطعمة ، ففيها منطقة الحقل الكبير (فيلكو بوليا) التي كانت تزرع وثمة حدائق يزرعها أصحابها كذلك[٣٧٣] كما أن المناخ كان مناسباً لرعاية المواشي وجرت العادة أن يقوم أهالي سراييفو بذلك فلم يفتقر أهالي سراييفو إلى الطعام ومواده البتة ، كما وجدت في بيوت المدينة أماكن مخصصة للطبخ وكانت تسمى (المطوق) أي المطبخ ، وجميع البيوت حتى أصغرها كانت فيها غرفة ومطوق مما يدل على أهمية الطعام في حياة السكان ، هذا الجزء من البيت (مطوق) فيه موقد النار الذي يتم بناؤه من الطوب ويتسع لعدة حلل ، ولم يكن المطوق مسقوفاً وكان الدخان يرتفع منه إلى خارج البيت ، وثمة رفوف في المطبخ توضع عليها الأواني ، وفي بيوت الفقراء عادة كانت المرأة تعتزل البيت لدى زيارة الضيوف وتبقى في المطبخ.

---

٣٧٢ سراييفسكي فيسنيك رقم ٣٢ ، ٠٧٨١/٦/٦ ص ١

٣٧٣ في حارة علي باشا سنة ٧٦٨١م كان هناك ٦٣١ موظفاً منهم ٠٢ شخصاً يعملون في مجال الاعتناء بالحائق (ستانجية) ، علي بيتيتش حارة علي باشا ص ٣٥

يتوقف تجهيز البيت على الوضع المالي للأسرة وعدد أفرادها ، وحيث أن الطبخ كان على النار وجد في كل بيت ممسك حديدي ، كما أن أغلب الأواني كانت من النحاس وهي حتى الآن رمز المطبخ التقليدي ، حيث راجت صناعة النحاس في سراييفو وقتها ، فيصنع من النحاس أواني لونها نحاسي أو فضي أو ذهبي وكثيراً ما كانت تستعمل للزينة لا للطبخ وتقديم الطعام ، وبعض الأشياء التي تستعمل يومياً هي تحف حقيقية ، وكان برداقجية يصنع أواني طينية (فخار) للطعام والشراب[٣٧٤].

كان المطبخ مزوداً بالحلل ذات الغطاء أو بدونه، صحون مع الغطاء وبدونه ، صينية دمرنية[٣٧٥]، كؤوس ، صينية برفسلي ، كوشية للمياه ، شيش القهوة ، صينية خاصة للحلويات (القطائف) نحاسية ، حارانية ، حلل الحلويات ، أباريق بأحجام مختلفة ، جوغوم مزخرف ، جفان ، ساج ، صحن ، جلو ، سكاكين ، صناديق ، صينية خشبية ،دمرليا ، دلو فخاري ....، وكثيراً ما تواجد صندوق للطحين ، وفي بيوت الفقراء كانت المطابخ مزودة تزويداً زهيداً وفيها قطعة واحدة من لوازم المطبخ لا غيرها .

يقدم الطعام على صينية نحاسية وفي صحون ذات أحجام مختلفة وفقاً لنوع الطعام المقدم ، أواني وأدوات الطعام غالباً كانت من النحاس ونادراً من الفضة وزخرفتها كانت رائعة وفي غاية المهارة مع النقش أو التحفير ، أومصنوعة من المواد المستوردة من البندقية[٣٧٦] مثل فيليغران والبورسلان والزجاج ، ومن الأواني المستعملة الأباريق والجوغوم (الدلو) وهي مستعملة لحمل المياه ، كانت المياه تشرب من الكؤوس الزجاجية ، بيوت الأغنياء وقتها كانت تحتوي على كؤوس وصحون من الكريستال وكذلك الصحون المذهبة والمطلية بالفضة إلخ .. وثمة أواني خاصة لماء زمزم حين يأتي الحجاج به من رحلتهم من الحج وسميت كؤوس زمزم ، وإلى جانب المطابخ الخاصة (البيتية) كانت هناك مطاعم ومخابز يمكن لأهالي سراييفو أن يشووا فطائرهم أو خبزهم فيها ، والخبازون والصحانون وأصحاب المطاعم عملوا في مجال إطعام أهالي المدينة ، وانتشرت المخابز في أنحاء سراييفو وأكثرها في الحارات حتى تكون قريبة من زبائنها ، ويذكر حمدي كريشيفيلياكوفيتش أن أنواع الخبز التي كانت تقدمها المخابز هي : الصومون ، سيميت ، شورك ، أليف ، شاهيا ، بوسمان ، كابلاما ، إلخ ... [٣٧٧] ، وفي قائمة المهن لأهالي حارة علي باشا تم الإشارة إلى ثلاثة عشر خبازاً من الأديان المختلفة .

---

٣٧٤ انظر أكثر عن هذه الحرف ، ح . كريشيفيلياكوفيتشا المختارات ٢ ص ٠٣٢،

٣٧٥ كانت بمقاييس من ٢٢ أوقية وثلاثة للرات

٣٧٦ ليوبيتسا ملادينكوفيتش : سراييفو أثناء الإقطاعية التركية سراييفو ٤٥٩١ ص ٣٧،

٣٧٧ حمدي كريشيفيلياكوفيتش المختارات ٢ ص ٥٨١

عمل التجار طيلة النهار أي من الصباح إلى المغرب وكانوا يأكلون وجبة على الأقل في المطاعم إلا إذا كانوا قد حملوا طعامهم من بيوتهم ، ومن المثير للإهتمام أن كريشيفيلياكوفيتش يذكر نساء عملن في مجال الطبخ وهن المسميات (آشيشكادونا) يطبخن للولائم في البيوت الغنية بناءاً على طلب أصحابها ، وهذه المهن المشار إليها كلها مرتبطة ببعضها ، وكان الشيئ الضروري في جميع البيوت هو الخبز وكثيراً ما يكون هو الموجود وحده .

وقد لاحظنا في المصادر أنه في الفترة ما بين ١٨٦٠م إلى ١٨٧٠م عمل الرعايا النمساويين في هذه المهنة في سراييفو ، ولا نعرف مجموع عدد الخبازين ولكن نعرف أن عددهم كان كبيراً ، ولم يكن جميعهم يعملون وفقاً للقواعد الموضوعة لهم فباع بعضهم وقتها خبزاً فاسداً مثل كات ماروشيتش وتم إغلاق مخبزه بعد إجراء فحص له[٣٧٨] ، وقد عانى أهالي سراييفو من الخبازين الذين كانوا يبيعون بناءاً على عاداتهم الفاسدة ويبيعون الخبز مع عدم بلوغه المقدار المناسب للمعيار والوزن[٣٧٩] لأن الخبز الطري أثقل وزناً وفيه كمية أقل من الطحين وهي محاولة للربح والغش من قبل الخبازين ، ومن الشكاوى العديدة من عدم دفع ثمن الخبز عند شرائه يمكننا أن نستنتج أن خدمات الخبازين كانت غالباً مطلوبة من قبل الرعايا النمساويين والبناؤون والجنود الذين عاشوا مؤقتاً في سراييفو ، أما بقية أهالي سراييفو فكانوا يصنعون الخبز في بيوتهم .

من المشاكل التي واجهها الخبازون هو تحصيل أو تسديد الديون ، ومثال ذلك تاجر الطحين مصطفى الذي حاول لسنوات أن يحصل على ماله من الخباز بارتول باكلانقدر حيث تراكم الدين ليصل إلى ٤,٤٦٥ بيستير ، واعترف بارتول بالدين ولكن لم يسدد الدين لأن الجنود الذين أكلوا الخبز لم يدفعوا له[٣٨٠] ، كما أن الخباز بارتول نفسه عانى من هذه المشكلة وبعث بشكاوى للبعثة الدبلوماسية النمساوية يطلب منها حمايته وحماية حقوقه فقد كان يزود المطاعم بالخبز على الدين[٣٨١] ولم يتحصل حقوقه .

تختلف الديون في عمومها من دين إلى آخر إلا أن طرق تحصيلها تتشابه ويتشبث الدائن بحقه رغم كل الظروف ،إلا أن الشرطي محمد عبد القادر الذي أنكر شرائه الخبز على الدين تغير موقفه سريعاً عندما احتضر واعترف بدينه للخباز ، ورغم ذلك لم يحصل الخباز بارتول على

---

٣٧٨ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٣٩/٠٦٨

٣٧٩ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٧/٩ رقم ٤ ص ٧٠١

٣٨٠ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٠٧٥/٦٦

٣٨١ بارتول بكلان خباز يطلب من يوسيب أرازوفيتش أن يدفع له ثمن خبز أوصله إلى مطعمه ٨٢١ بيستير ، أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٨٥٧/٦٦

نقوده لأن محمد لم يبق من تركته شيئ صالح للبيع ليسدد به الدين بعد المناقصة[٣٨٢] ، ورغم المشاكل والديون له وعليه كان الخباز بارتول يعاني من المشاكل مع السلطات المحلية بسبب أعماله المشبوهة ، وقد ذكرت جريدة البوسنة أن مخبز بارتول تم إغلاقه وعللت ذلك بأن الخبز الذي يبيعه كان أقل وزناً بثلاثين غراماً من أوقية عند غيره ، وعاقبته السلطات المحلية بناءاً على بند ١٦٢ بدفع غرامة وقدرها ١٠٠ غروش وتم مصادرة الميزان المغشوش[٣٨٣].

لصناعة الخبز كان لا بد من وجود مطحنة وكانت أقدم مطحنة في سراييفو هي مطحنة عيسى بيك ، وقد سجل المؤرخ المشهور المؤقت سنة ١٨٦٥م أنها كانت مع تسع ناعورات وأن الوالي طوبال عثمان باشا أمر في السنة نفسها أن يعاد بنائها من الحجر كما كان سابقاً [٣٨٤].

كان يحصل أحياناً أن المدينة بأكملها تفتقر إلى القمح وسرعان ما يتم حل المشكلة بإقراض التجار القمح من خزائن الولاية فيطحن ويباع بأسعار منخفضة حتى يتمكن الفقراء من شرائه[٣٨٥] .كما كانت الاحتياجات اليومية من الخبز تتبع لبعض الترشيد في الاستهلاك وكذلك النصائح بكيفية إعداد الخبز الجيد حسب ما نشرت جريدة البوسنة مقالة عن إعداد الخبز وذلك بإضافة بقايا القمح والشيلم فوق العجنة ولكن بحذر لئلا تحترق كما يمكن أن تعصر بقطعة قماش ثم توضع الخميرة فيها [٣٨٦] ،

كما يفيدنا الاطلاع على دفتر عائلة يفتانوفيتش أن العائلة كانت تشتري شيئين باستمرار : الدقيق والدهن ، حيث كانت تصنع من الدقيق الخبز في البيت ونادراً ما كانوا يشترون أنواع أخرى من الحبوب إلا أن الدفاتر تسجل أن أليكس اشترى ٤٠ أوقية ذرة ودفع ثمنها ٣٥ فورينتا [٣٨٧].

---

٣٨٢ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٩٣٤١/٦٦

٣٨٣ البوسنة رقم ٣٣ ٦٢/٢١ و ٧٦٨١/١/٧ ص ١

٣٨٤ صالح صدقي حاجي حسينوفيتش الموقت ، المرجع السابق ص ٩١١١

٣٨٥ أ إ س آ ز آ ب إ هـ سجل ملا محمد مستفيتسيا ٩٣

٣٨٦ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٤/٧ رقم ١ ص ٨

٣٨٧ إ أ س آ مجموعة عائلة يفتانوفيتش دفتر مصروفات البيت لألكسا يفتانوفيتش

يتفق الرحالة كلهم على أن الوجبات اليومية في معظم البيوت كانت اثنتين[٣٨٨] ، الوجبة الأولى تقدم وقت الظهر والوجبة الثانية تقدم مساءاً بعد المغرب أي بعد عودة الرجال من أعمالهم[٣٨٩] ونفترض أن الأمر يتوقف على طبيعة الأسرة وطبيعة عمل رب المنزل .

ويقدم الطعام على الصينية أو السفرة وعادة ما تكون خشبية وأحياناً من النحاس وهي المسماة (الدمرليا) ، ثمة نوع آخرمن السفر في بعض البيوت وهي السفرة الجلدية أي من الجلد ويمكن لفها وحملها في السفر[٣٩٠] .

وإذا جاء الضيف للعشاء تقدم عدة أنواع من الأطعمة ، وقد ترك لنا أسبوت معلومات قيمة عن طريقة استضافة الضيوف وقتها فأورد ما يلي: «ينتظر الخدم الضيوف أمام البوابة، وفي الممرات يستقبل أبناء والإخوة الصغار لرب المنزل الضيوف يلي ذلك أساليب الترحيب حيث يشير صاحب البيت إلى الصدر والشفتين والجباه [٣٩١] ، ويسرع شريف القوم في إلقاء التحية و يسارع المرحب به في الرد عليه ، الزاوية اليسرى مخصصة للضيف وهي أفضل مرتبة ، يلي الضيوف رب المنزل ثم الآخرون وفقاً لرتبهم في المجتمع ، وفي مثل هذه المناسبات تكون المساحة بين الجالسين أوسع لأن من رتبته أدنى يبتعد قليلاً عن المجاور له احتراماً وإجلالاً ثم يلوح له أشرف القوم ليقترب منه ، ويقف الخدم والأقارب لدى الباب في غاية التأهب إذا لزم أحد الضيوف السيجارة أو أدوات التدخين أو القهوة أو الشاي أو الحلويات أو عصير العنب أو عصير الليمون ، يكون الحديث سهلاً ومن غير تكلف ، أولاً يسأل المضيف عن أحوال ضيوفه ، وفي فترات السكوت يتمتع الضيوف بشرب القهوة أو أكل الحلويات أو شرب العصير أو تدخين

---

٣٨٨ البوسنويون كما يدعي آمي بوء يتناولون وجبتين فقط صباحاً حوالي الساعة العاشرة أو الحادية عشر ومساءاً بعد غروب الشمس (المغرب) ، مدحت ساميتش : الرحالة الفرنسيون في البوسنة ص ٥٤٢ ويذكر الرحالة الإنجليز أن العشاء هي الوجبة الرئيسية يقولون : هؤلاء نصف الشرقيين يأكلون مرتين والوجبة الرئيسية هي العشاء تقريباً عند غروب الشمس ، عمر حاج سليمانوفيتشالمرجع السابق ص ٦٤٢

٣٨٩ من المثير للاهتمام وصف غليفير دينغ لوجبة تناولها مع باشلا (الوالي) في موستار : بما أنهم لا يبذلون الطاقة في العمل الذهني وليس لديهم ترفيه إجتماعي لا بد أن يقتلوا الوقت في الليل ، يقطعونه بالأكل ويستمر لساعات أربعة أو خمسة بعدها ينامون كأنهم أموات ، لا يأكلون في النهار إلا قليلاً ويشربون الماء كثيراً ـ انتهى ـ هذا وصفه لأنه محمل بالأسبقيات تجاه المسلمين غير أن الأمر محال من الناحية العملية لا سيما صيفاً حيث تكون لياليه قصيرة لا تتسع حتى لتخيلاته العجيبة أن يستمر الأكل لساعات ليست موجودة أصلاً لأن الفترة بين الغروب والفجر قصيرة

٣٩٠ علي بيتيتش الراحة الشخصية والمنزلية ىص ٤٦١

٣٩١ هذه العادة تكون تعبيراً عن احتواء الشخص في القلب والعقل وأنه يتكلم عنه بالتي هي أحسن

السيجارة بجانب النوافذ المفتوحة ويستمتعون بالنظر من خلالها ، يأتي الضيوف ويغادرون ويتبدلون الأماكن ويتبادلون الترحيب[٣٩٢]» .

في حال أن كانت الزيارة رسمية فإن مراسيمها تختلف عندئذ، فإذا وصل مسئول أجنبي ما مثل مبعوث دولة من الدول العظمى يتم الترحيب به لدى قدومه من سكرتير الوالي وبقية المبعوثين ، وإذا أراد أن يزور الوالي فلا بد من تحديد وقت الزيارة وإجراءات تتم كالتالي : بعد تحديد الوقت يأتي المبعوث في الموعد المحدد ويصحب معه ترجمان من كوادر البعثة أو غيرهم في السيارة أو راكباً الحصان ويأتي إلى بيت الوالي حين يرفرف عليه العلمان ، علم الوالي وعلم المبعوث ويبقى العلمان معلقان يوماً بعد الزيارة أيضاً ، وعند الزيارات من هذا النوع تقدم بجانب أدوات التدخين القهوة مع شيئ من الحلوى (الحلقوم)[٣٩٣].

نذكر هنا أن الرجال وحدهم يأكلون مع الضيوف بينما تأكل النساء مع الأطفال[٣٩٤] ، وباعتبار أن تعاليم الإسلام تركز على الأكل باليد اليمنى كانت عادة الأكل وقتها أن تأكل باليد اليمنى ، وكانت الملاحظة التي سجلها روسكييفيتش مثيرة للاهتمام حيث أنه سمع أثناء الأكل : التجشؤ من هنا وهناك وهو إطراء للمضيف لطباخيه[٣٩٥] ، وقبل الأكل يغسل الفم واليدان باعتبار أن الأكل عادة ما يكون باليد رغم وجود الملاعق في بعض المطابخ ، غالباً ما كانت الطريقة التقليدية متبعة في تناول الطعام ، تؤكل الأكلات الجافة باليد والمائعة بالملعقة وعادة ما تكون الملعقة خشبية ، وبعد أن يوضع الطعام ويجلس الجميع حول السفرة يبدأ المضيف بالأكل ويتبعه بقية الجالسين بعد أن يقول لهم المضيف تفضلوا (بويروم)[٣٩٦]، ثم تقدم الأطعمة المالحة والحلوة على الصينية.

حضر روسكييفيتش وليمة قدمت فيها الأطعمة التالية : أولاً تقدم شوربة من اللبن ثم تأتي الأطعمة مع الخضروات والفطائر من اللحم والجبن واللبن المصفى بينما يصنع الفقراء الفطائر من البطاطس والكرنب والمعجنات والمقصود منها الرز المطبوخ ، تتبادل الأطعمة المالحة والحلوة على السفرة ، وعندما يضع الجميع ملاعقهم على الطاولة يعني أنهم انتهوا فيمكن أن يقدم لهم الأكلة التي تلي ، وأثناء الأكل يشرب الماء أو العصير الخفيف من الفواكه ومن

٣٩٢ يوهان أسبوت المرجع السابق

٣٩٣ روسكيفيتش المرجع السابق ص ٣٢٢

٣٩٤ كانت هذه هي عادة جميع الولايات العثمانية : قارنتاريخ الحياة الخاصة في البلاد الصربية ص ٩٢٢

٣٩٥ يوهان أسبوت المرجع السابق

٣٩٦ يوهان روسكيفيتش المرجع السابق ص ٠٢٢

الكؤوس الكبيرة نوعاً ما وألوانها مختلفة ، غالباً ما تكون الأطعمة الحلوة هي الحلوى وهي أكلة مصنوعة من الدقيق والعسل والزيت وماء الورد[٣٩٧] ، بعد انتهاء الغداء أو العشاء يأتي الخدم بالمناشف والأباريق وينتقلون من ضيف إلى ضيف ليغسلوا أيديهم وأفواههم ثم يدعوهم المضيف ليجلسوا على الأرائك المعدة لهم ، وتشرب القهوة بعد الطعام وتدخن السجائر ، وتضم مائدة الطعام عند الأغنياء الأكلات التالية : شوربة شعيرية ، حلويات ، زيتون ، روجيتسا (حلوى من الدقيق) ، كرز حامض ، كرز ، برتقال ، لحم الغنم محشو بالرز والبهارات ، فطائر اللحم ، يلان دولما ، أكمك قطائف ، عنب ، رز وحليب ، ملفوف محشي باللحم (سارما) ، ساج كاباغي ، بينما تضم مائدة الفقراء عادة غوزلما فطائر ، تتماش ، مندري ، باشا ، حليب ، حلوى ساخنة ، فرناديكية[٣٩٨] ،كباب من لحم الكبد ، بلغور شوربا ، شيردين جبن[٣٩٩] ، خبز ، الكرنب مع اللحم ، فطيرة اللحم ، الكباب المشوي ، شوربا ترهانة ، الدرة الساخنة ، الكباب مع شوربة يارنا[٤٠٠].

عاش معظم أهالي سراييفو حياة متواضعة وبإدخار ، الأوضاع الإقتصادية وإمكانية كسب أفراد الأسرة للمال وعدد القادرين على العمل هي أمور تحكم ما ومتى يطبخ في البيت ، كانت سنة ١٨٦٠م صعبة إلى درجة أن الدقيق والدخان كان يباع للناس من مخزن قلعة سراييفو وبأسعار منخفضة ، ويدعي المؤقت أن السكان عاشوا بفضل ذلك إلى الحصاد القادم[٤٠١] ، ورغم كون الرحالة يذكرون اللحم ومنتجاته على أنه من أساسيات الطعام إلا أن اللحم نادراً ما تواجد على موائد أهالي سراييفو[٤٠٢] ، ومن أنواع اللحم الأكثر مبيعاً هو لحم الغنم والحمل ، ونفهم من مقالة نشرتها جريدة بوسانسكي فيسنيك أن بيع اللحوم جرى رغم كون الظروف النظافية ليست ملائمة وكات البيع في قطع كبيرة فلم يتمكن الفقراء من شراء اللحم[٤٠٣] ، ندرة وجود اللحم على المائدة حقيقة يثبتها دفتر أسرة يفتلنوفيتش المذكور سابقاً ، حيث اشترى أليكسا حملاً كاملاً

---

٣٩٧ المرجع السابق ص ١٢٢

٣٩٨ فرناديكية شوربة من الدقيق المطبوخ ـ أكلة الفقراء ـ أفرام بنتو المرجع السابق ص ٢٣

٣٩٩ باشيسكي يذكر في دفتره الصيفي أن الفقراء غالباً ما يأكلون الجبن ، ملا مصطفى شوقي باشيسكي المرجع السابق ص ٦٧٢أأ

٤٠٠ قارن : أ.حاج سليموفيتش المرجع السابق ص ٥٤٢ ـ ٨٤٢ ، يوهان أسبوت المرجع السابق م. شيميتش : الرحالة الفرنسيون في البوسنة والهرسك ص ٥٤٢ ـ ٦٤٢ ، يوهان روسكيفيتش المرجع السابق ص ٠٢٢

٤٠١ صالح صدقي حاج حسينوفيتش الموقت : المرجع السابق ص ٢٩٠١

٤٠٢ استنتاجات الرحالة الأجانب عامة فوجود اللحم في المنزل لدجى مرورهمبها وفي القرى التي فيها عدد كاف من الغنم والأنعام بينما كان الوضعمختلفاً في المدن

٤٠٣ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٧/٩م رقم ٤١ ص ٧٠١

في شهر أبريل ونفترض أنه كان يحتفل بمناسبة دينية لأنه اشترى هدية من الذهب والحرير والملابس الجديدة لبناته، واشترى لحماً أيضاً في شهر نوفمبر ودفع ثمنه ٨,٢ فورنت ، ونفترض أنه امتلك أنعاماً في حديقته ولكنها كانت لانتاج الحليب ومشتقاته وليس للذبح فنجد أن المعلومة مثيرة للاهتمام ومفاجئة وتكشف عن قلة تناول اللحوم ، وما يدل على وجود الأنعام في حديقة البيت هو كون الأسرة اشترت حليباً ثلاث مرات وليس للأسرة وإنما لخالتهم أو عمه كوستا وسعره ٣٦,٢ فورنت مع وجود الأطفال في البيت ، وإذا نظرنا بشكل عام فإن المنتوجات الحليبية لم تكن موجودة بقدر كاف وكما يذكر رنر أن اللبن المصفى والحليب في بعض الأحيان كانت نادرة الوجود في سراييفو[٤٠٤] ».

دفعاً للزراعة قررت السلطة المحلية سنة ١٨٦٦م أن تستورد من ينيج (نوفي بازار) بذور الرز والسمسم[٤٠٥] ، جميع البيوت كان لها حدائق وقتها ، وكانت الحدائق مزارع للخضروات والفواكه ، وامتلكت أسر كثيرة أراضي في منطقة بوفاليتش في سراييفو حيث زرعوا الفواكه والخضروات[٤٠٦]، وأكثر ما زرع وقتها من الخضروات هي الفاصوليا والبصل والثوم والخضار والخيار والقثاء والباذنجان الأحمر والغامق ، الكرنب ، الخس ، اليقطين بحجمه الكبير ، البقدونس ، الجزر الأبيض ونادراً البطاطس والبازيلاء وفي الفترة المتأخرة الملفوف والفلفل والجزر الأحمر .

استعملت الخضروات طازجة بينما خلل الملفوف والخيار والباذنجان والطماطم للشتاء ،ومن المثير للاهتمام أن الملفوف عادة يشترى بكمية كبيرة ، فقد اشترى ألكسا يفتانوفيتش في سبتمبر الكرنب بـ ٤٤ غروش وفي نوفمبر اشترى الملفوف لتخليله والبصل بـ ١٢٠ غروش، ، كما زرعت الباميا في الحدائق وزرعتها أسرة سفرزو في مزارعها في كوشوفو[٤٠٧] .

كما زرعت الأنواع التالية من الفواكه : الخوخ ، التفاح ، الكمثرى ، البطيخ والشمام ، ويثبت هذا الشيئ فرا غرغا ماريتش في إحدى رسائله التي وجهها إلى صديقه فاسو سنة ١٨٦٣م وورد فيها : «أعرف أنك تملك قطعة أرض على شاطئ نهر ميلياتسكا مناسبة للزرع وأكتب لك هذه الرسالة لأزرع مساحة منها بالبطيخ والشمام.. يتابع بعدها .. إن قدر لنا أن نلتقي هذا الصيف فنأكل البطيخ سوية وإن مت أنا يأكل من يبقى على قيد الحياة بطيخنا [٤٠٨]»، ندرك من هذه الرسالة

---

٤٠٤ هنرك رنر المرجع السابق ص ٦٠١

٤٠٥ بوسانسكي فيسنيك ٧/٤/٦٦٨١م رقم ١ ص ٥

٤٠٦ بجانب بوفاليتش زرع أهالي سراييفو في منطقة كوسوفو وشينغيتش فيلا إلخ .

٤٠٧ زوريتسا شرنيفسكي يانيتش ، حدائق سراييفو وباحاتها ، مقالة من مجلة دراسة تاريخ سراييفو : سراييفو ٤٧٩١م ص ٠٢١

٤٠٨ مجموعة الرسائل لفرا غرغا ماريتش في المتحف القومي رسالة رقم ٢١ ـ ٣١:

أن جميع أهالي سراييفو كانوا يزرعون وكونوا بذلك أساساً لتزويد المدينة بالفواكه والخضروات ، إضافة إلى ذلك يمكن شراء الفواكه في المحلات أو في الأسواق ، وقد ضم متجر عائلة دسبيتش الفواكه باعتبارها إحدى المبيعات ، وقد باعت عائلة ديسبيتش سنة ١٨٦٥م الفواكه التركية[٤٠٩] التي بلغ سعرها ٧ غروش[٤١٠] .

كان الطقس مشكلة أساسية لزراعة الفواكه ، فقد نشرت جريدة بوسانسكي فيسنيك سنة ١٨٦٦م معلومة مفادها: «أن المزروعات تأخرت في النضوج وثمرات الفواكه كذلك بسبب البرد القارس ، بينما جاءتنا الكرز من مدينة ليست ببعيدة هي موستار وذلك قبل سبعة أو ثمانية أيام وبعض الخضروات مثل الفاصوليا[٤١١] ». تسبب طول الشتاء وشدة برودته في كثير من الأحيان عدم الإثمار ، ويبدو أن شتاء سنة ١٨٦٦م طالت برودته القارسة باعتبار أن الفواكه انعدمت من سراييفو تماماً ، ويشكو بالتيتش في رسالة تعبيرية قائلاً :» تعرف يا أخي كيف يعاني الإنسان في البوسنة مما خلفه الشتاء البارد لأنه تعود على أكل الفراولة والكرز الطيبة والكمثرى في شهر آب والخوخ ثم هناك التفاح والكمثرى من نوع آخر لا تدري اليد أي الفواكه تمسك ، والبطيخ والشمام الذي تعود البوشناقي على أكله ثم العنب من نهر نيريتفا وقد أحببنا أن نأكله [٤١٢] «، كان إهداء الفواكه عادة متبعة خاصة للأصدقاء ويثبت ذلك القانون الذي جاء نصه صارماً : «ليس من الرشوى إهداء الأشياء الصغيرة مثل الفواكه وما يؤكل وما يشرب أو شيئ يقدم تعبيراً عن المحبة للأصدقاء[٤١٣]».

اعتبر السمك وجبة مهمة في الطعام ، غير أنه لم يكن يؤكل كثيراً ، وعادة يأتي الصيادون إلى السوق وهم من أهالي سراييفو وقد اصطادوا السمك من نهر ميلياتسكا الذي كان يمتلأ بالسمك وقتها[٤١٤]ويصطادونه من منطقة قريبة من بالا أي أقرب إلى منبعه وبالطريقة التالية : عادة تخرج مجموعة من الناس للصيد أحدهم يحمل سلة يضعها في النهر والبقية يخطون خطوات

٣٦٨١/٤/٢٢ ، أشكر أدين حيدر باشيتش الذي أطلعني على المجموعة

٤٠٩ إ آ س آ مجموعة عائلة ديسبيتش صندوق رقم ١١ دفتر الديون ٢٦٨١ ـ ٥٦٨١

٤١٠ ٢ كيلوغرام ونصف من الكرز سعرها ٢,٧٥ وهو مبلغ كبير . إ آ س آ مجموعة ديسبيتش صندوق رقم ١١ دفتر ألكسا ويوفو نيكوليتش ٧٦٨١ ـ ٠٧٨١

٤١١ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٤/٨٢م رقم ٥ ص ٥٣

٤١٢ ياكو بالتيتش : سجل الأحداث الكنسية والدنيوية والتغيرات في البوسنة ، زاغرب ٣٠٠٢ ص ٨٣٣ ـ ٩٣٣

٤١٣ مجلة العقوبات السلطانية : بند ٧٦

٤١٤ يذكر بنتو أن أحد السفرديم (يهود الأندلس) أكلوا السمك يوم السبت والأعياد ، أفرام بنتو المرجع السابق ص ٤٣

شديدة ويضربون بأغصان الأشجار على النهر ليفر السمك تجاه السلة فيمسكوا بها"[٤١٥] ، ورغم كون الطريقة تبدو غير مجدية إلا أن السجلات تذكر أن صالح أغا أمسك ما بين خمسة إلى ستة أوقيات من السمك"[٤١٦] بهذه الطريقة ، وقد أكلت أسرة يفتانوفيتش السمك أكثر مما كانت تأكل اللحم ،وكان سعر السمك يختلف باختلاف نوعه ما بين ٩ ـ ١٧ غروش .

تعد الحلويات من المواد الغذائية الضرورية في البيوت ،وكانت هناك ثمة أنواع متنوعة تعد في البيوت بدءاً من الحلوى وحلو الفواكه والكعك المتنوع والكعك مع العسل إلخ .،. وكانت تقدم في مراسم أثرت على الرحالة الألماني ماؤآر لدى زيارته لكبار القساوسة الأرثوذوكس دينوزية حين قدمت له القهوة والحلو ، ويكتب ماؤو آر أن الصينية يحمل عليها بجانب الحلو عدة كؤوس وملاعق ، فيأخذ الضيف الحلو بالملعقة النظيفة ثم يتركها في إحدى الكؤوس مع الماء"[٤١٧] ، كما أمكن وقتها شراء أنواع الحلو على جسر تساريفا (الملك) في دكان الحاج مصطفى شكرليا والذي تسمى بالإسم شكرليا لمزاولته المهنة التي تتصل بالسكر (شيكر بالبوسنوية) ، وأعلن الحاج مصطفى في جريدة سارايفسكي فيسنيك أنه وبمناسبة حلول شهر رمضان المبارك قصد إكرام زبائنه بتخفيض الأسعار لمنتجاته ضامناً لهم جودتها فيبيع السكر بعشرة والحلقوم بعشرة واللوز السكري خمسة عشر وجميع أنواع الحلويات بأحد عشر والشراب الحلو أربعة عشر غروش للأوقية "[٤١٨].

ومع أن أهالي سراييفو زرعوا حدائقهم بالخضروات والفواكه إلا انه كان بإمكانهم شراء المواد الغذائية في الأسواق أيضاً ،وكان يوم المتاجرة في سراييفو هو يوم الثلاثاء ، وكان السوق الرئيسي (باش تشارشيا) وشارع عثمان باشا هما موقفان رئيسيان للتجارة حيث تباع الحبوب مثل القمح وأنواع الدقيق ، ويباع الخشب والفحم والقش والخضروات والفواكه إلخ .."[٤١٩] .

وضعت أربعة موازين لحاجة البيع ، وكانوا معظم البائعين من أهالي مناطق مجاورة لسراييفو وحتى لا يزدحم الناس ويتضايقوا في تسوقهم أمر طوبال عثمان باشا بإزالة برج المراقبة في ميدان باش تشارشيا (السوق الرئيسي)"[٤٢٠] ، وبني برجاً جديداً للمراقبة فوق سوق الدباغين (تاباسي) واشترى الوالي لذلك محلين كانا يبيعان القفول .

٤١٥ فهيم م. بيغوفيتش المرجع السابق ص ٨٦

٤١٦ سراييفسكي فيسنيك رقم ٣٢٢ : ٠٧٨١/٦/٦ ص ٢

٤١٧ فرانز ماؤوآر : رحلة البوسنة، برلين ٠٧٨١ ص ٣٦٣ ڤارن فلاديسلاف سكاريتش مختارات ١ ص ٦٥٢

٤١٨ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٨٤ ، ٠٧٨١/١١/٨٢ ص ١

٤١٩ أزيح برج المراقبة ٨٦٨١/٨/٨١ ، شالح شدقي حسينوفيتش المؤقت المرجع السابق ص ٠٣١١

٤٢٠ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ١١٢١/١٦

أما الخمر فكانت تباع في الأسواق أيضاً ، ومن المثير للاهتمام أن السلطات البوسنية أعلمت البعثة النمساوية أن الشراب المسكر الذي يستورده سفيتكو يانيتش ممثلاً للسيد بابامسكيتش يجب موازنته على ميزان خاص إذا كانت الأشربة تباع في السوق ، كما كان ثمة مكان و زمان مخصصين للمتاجرة بالخيول[٤٢١].

في شهر يونيو ١٨٦٦م فتح أول مصنع للخل في البوسنة ، وفي إعلان خاص بعنوان «خل طيب» أخبر صاحب المصنع ي . فلدأباؤوآر الزبائن المحتملين أنه يصنع الخل الجيد ويبيعه بسعر الجملة وبكميات قليلة من أوقية وبسعرعشرين غروش وهو جيد جداً كذلك[٤٢٢]»، يجدر بنا أن نذكر أن الأسرة وقتها كانت تعد مخازن الشتاء حتى لا يجوع أفرادها إذا غطت الثلوج الطرقات والشوارع بحيث لا يتمكن الباعة من إحضار الطعام إلى السوق [٤٢٣].

نظراً لأن تلك الفترة شهدت ازدياداً في شرب الخمر ، وكانت عادة أتباع الديانات غير الإسلامية أن يشربوا الخمور بانتظام مع كل وجبة تفاقم الأمر ، ونفهم ذلك من عدة ظواهر منها فتح المقاهي في البيوت التي تستأجر حتى من المسلمين[٤٢٤] ،وما يفيد عن انتشار الخمور هو كثرة ذكرها في الأغنيات الشعبية[٤٢٥]، وكل هذا يؤدي بنا إلى نتيجة هي أن الخمر أصبح مشكلة يومية لا جزءاً من الأطعمة اليومية .

---

٤٢١ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٠٦١

٤٢٢ سراييفسكي تسفيتنيك ٦٦٨١/٦/٨١ ؤقم ١١ ص ٨٨

٤٢٣ يذكر باشيسكيا أنه وبإعتباره رجلاً فقيراً نفدت مخازنه للشتاء ، بداية يناير ، ملا مصطفى باشيسكيا المرجع السابق ص ٧ ملاحظة رقم ٢

٤٢٤ فتح كارل بنؤسوفسكي مقهى في سراييفو في بيت علي بيك جينجيتش في حارة ساراي ، أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٦٦/٦٦٥

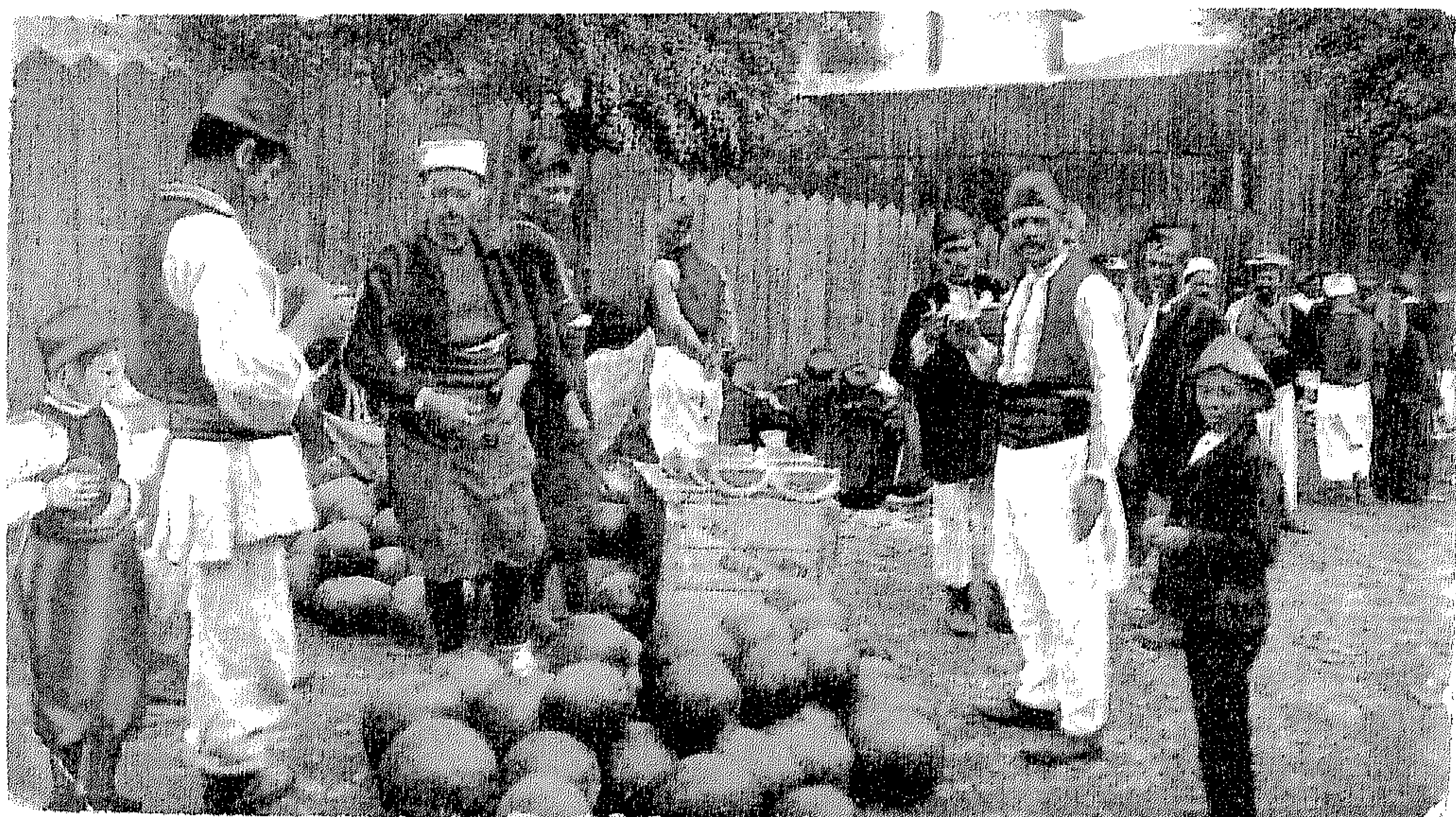
٤٢٥ انظر كوستان هورمان : الأغنيات الشعبية للمسلمين في البوسنة والهرسك سراييفو ٣٣٩١



٦,١ الميزان (قنطر)



٦,٢ البطيخ الأحمر في الدكان



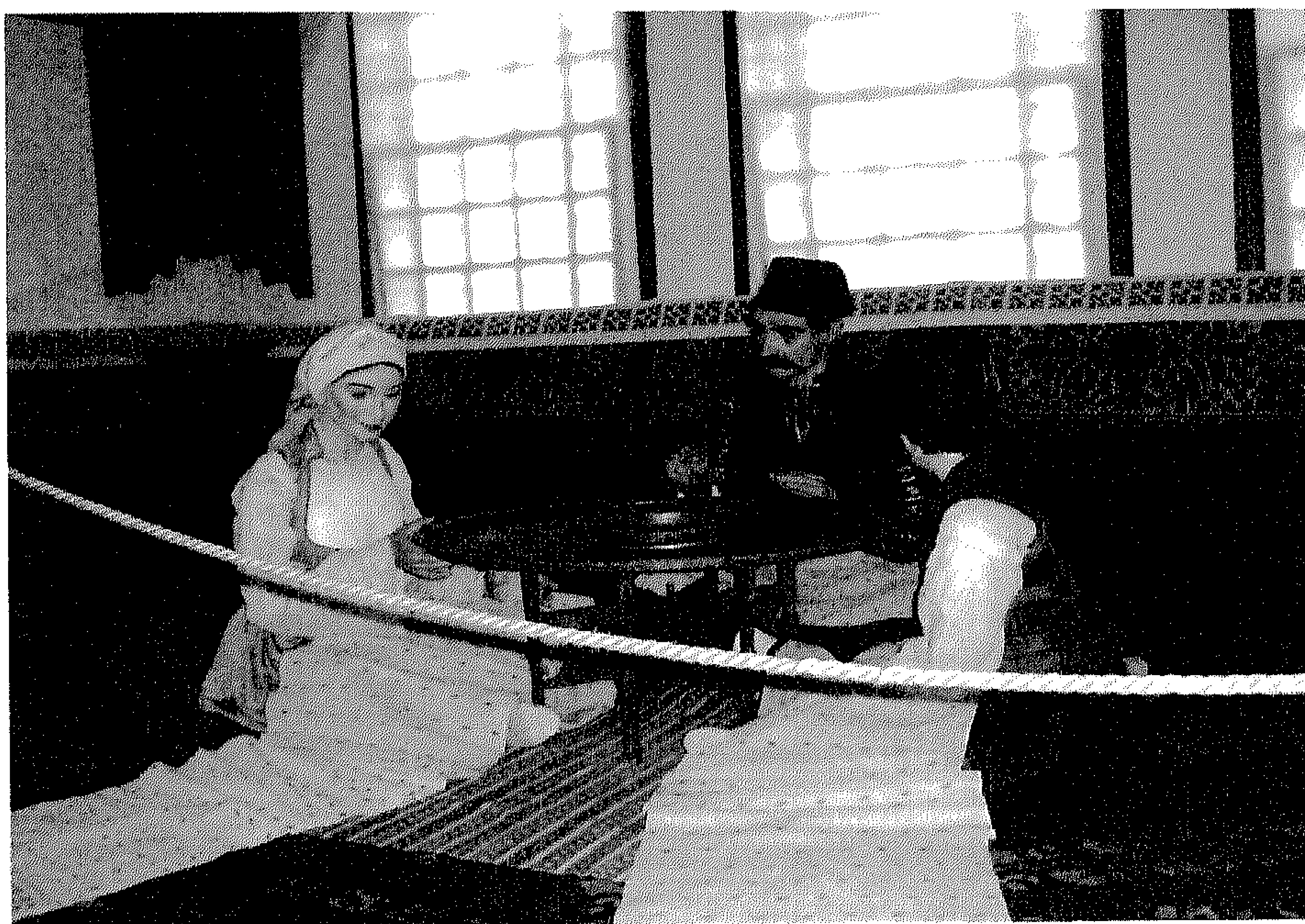
٦,٣ البطيخ الأحمر في السوق



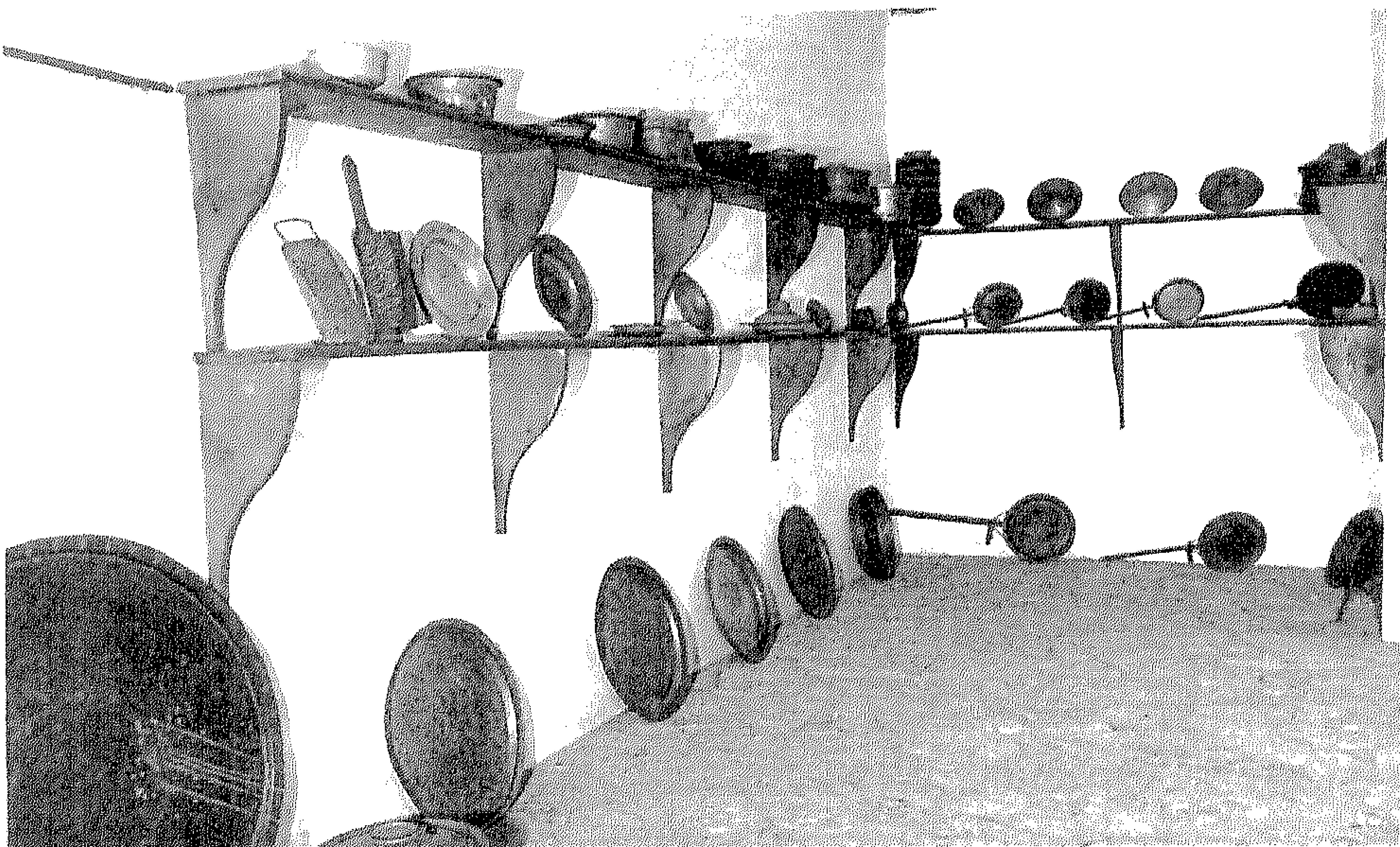
٦,٤ الفواكه والخضروات المتنوعة المعروضة في الدكان



٦,٥ المائدة المعدة



٦,٦ الأسرة حول المائدة



٦,٧ رفوف مع الأواني للمطبخ



٦,٨ صحون صنعت باليد

VII

الصحة

يعتبر الطب من العلوم ذات الاهتمام لدى العثمانيين منذ بداية حكمهم ، فقد تناولت كتب التاريخ كم كان مهماً موقع رئيس الأطباء أورهان الذي اهتم بصحة السلطان وأفراد أسرته ، وكان رئيس الأطباء يعتبر من العلماء حتى سنة ١٨٣٨م ، كما أن ثمة مؤلفات في الطب كتبت في القرن السابع عشر في الدولة العثمانية ، وضمن التنظيمات في سنة ١٨٥٠م حصل التغيير في هذه الناحية حيث أنشأت وزارة الصحة ووضع قانون وقواعد صحية[٤٢٦] ، وفي السنة نفسها أسست أول مدرسة للطب ، وفتحت الدولة العثمانية منذ القرن الحادي عشر المستشفيات في جميع المدن الكبرى في الدولة[٤٢٧] ، ومول السلاطين وأزواجهم فتح المستشفيات لتكون مؤسسات خيرية ، ويمكن لمدينة إسطنبول أن تفتخر بأن أول مستشفى فتحت فيها في سنة ١٤٧٠م ومنذ ذلك الوقت يتواجد في المدينة مستشفيات كثيرة .

الاعتناء بالصحة في فترة الحكم العثماني كان يدور في ثلاثة أماكن : أولاً في المؤسسات الصحية ويقوم بالمعالجة فيها الكوادر المتخصصون من الأطباء ، ثانياً عند الأطباء الشعبيين ويدعون حكماء ، وثالثاً في محلات الحلاقين والصيادلة وعن طريق الإيحاء والطب البديل .

---

٤٢٦ تاريخ الدولة العثمانية والحضارة ص ٧١٨

٤٢٧ أول مستشفى في العالم الإسلامي فتحت سنة ٦٠٧ ـ ٧٠٧ في دمشق وأول مستشفى سلجوقي فتحت سنة سنة ٢٧٠١ ـ ٣٧٠١م اسسها أرسلان: نظام الملك في نيسابور ، انظر مزيد من التفاصيل في تاريخ الدولة العثمانية والحضارة ص ٨١٨

بدأ تنظيم الخدمة الصحية في سراييفو بمعالجة المرضى في زاوية الحاج سنان التي تأسست سنة ١٧٦٨م ، وقبل ذلك عولج أهالي سراييفو في البيوت وعولج الجنود في معسكراتهم أو في النزل المستأجرة ، أما أول مستشفى في سراييفو فقد بنيت سنة ١٨٦٦م في حارة كوشوك كاتب[٤٢٨]، وكان بناء المستشفى وبقية المؤسسات الاجتماعية يتم تمويله من واردات الأوقاف ، وقد تكلف غازي خسرو بيك بجميع مصاريف البناء وعمل المستشفى في سنة ١٨٧٩م[٤٢٩] ، وبلغت تكلفة الأرض وحدها ثمانية آلاف غروش وتكلفة البناء ثلاثون ألف غروش[٤٣٠] ، وأثناء بناء المستشفى أعلنت جريدة بوسانسكي فيسنيك مراحل العمل فيه فأوردت ما يلي: «ثمة مستشفى يبنى في سراييفو وهو مستشفى المدينة في حارة كوشوك كاتب من إيرادات الأوقاف ، مبنى المستشفى موقعه عال ومناسب صحياً وقد سقف ومساحته كبيرة على طابقين وهناك قسم للذكور وقسم للإناث ، هذا المبنى نحتاج إليه كثيراً وهو عمل خيري يستحق المدح لأن المعالجة ستشمل جميع الأديان دون التمييز ، أما تنظيم وإدارة المستشفى فسيكون وفقاً لقواعد علوم الطب في زمننا[٤٣١]».

كما نشرت مجلة البوسنة الرسمية خبر بناء المستشفى باعتباره حادثة مهمة حيث جاء على صفحاتها: «نعلن أن المستشفى المخصص للفقراء تم بناؤه في سراييفو من إيرادات الأوقاف وخدمته تشمل أتباع الأديان كلها وموقعه متميز بهوائه النقي ومزود بالشراشف النظيفة وتم توظيف عدد كاف من الخدم ، وخصص قسم منه للفقيرات وتم ترتيبه بحيث يمكن استقبال المرضى ، ويقدم الطعام فيه مجاناً وكذلك الأدوية والإقامة ومن واجبات الطبيب المحلي أن يزور المرضى ويعالجهم في المستشفى[٤٣٢]».

---

٤٢٨ هو شارع خليل باشا الحالي رقم ٦١ وقد تهدم المبنى إلى درجة كبيرة ولكن بقيت ملامح المستشفى عليه

٤٢٩ وقتها كان القائم على وقف غازي خسرو بيك أحمد عاصم بيك الذي وافق بجانب الإنفاق على بناء المستشفى أن تخصص الأموال في الفترة ما بين ٠٦٨١ ـ ٠٧٨١م لبناء دار المؤقت ودار المسافرين ومطبخ الفقراء وخانقاه (زاوية) والمكتبة ، محمد حاج ياماكوفيتش : حاج أحمد عاصم بيك متوليتش : مجلة المكتبة غازي خسرو بيك سراييفو ٥٨٩١م ص ٣٨ ـ ٤٨

٤٣٠ عزت ماشيتش المرجع السابق ص ٧٢ على الهامش

٤٣١ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٥/٨٢ رقم ٨ ص ٨٥

٤٣٢ البوسنة رقم ٢٤ : ٧٦٨١/٢/٧٢ ، ٧٦٨١/٣/٩ ص ١

رغم كون المؤرخ المؤقت يذكر مستشفيين أحدهما للرجال والثاني للنساء في الحارة ذاتها إلا أن المقالات المنشورة توضح ان المبنى واحد وفيه قسمان ، أيضاً رأينا أن المعالجة كانت مجانية وهي نقطة مهمة للفقراء من أهالي سراييفو وتمتع بهذه الميزة حتى الرعايا النمساويين ومعالجة مرضاهم بفضل الاتفاقية بين الدولة العثمانية والدولة النمساوية سنة ١٨٦١م التي تنص على أن رعايا الدولتين تتم معالجتهم في مستشفيات الدولتين مجاناً[٤٣٣].

بني المستشفى من الطوب اللبني وفيه : غرفة الاستقبال وغرفة العمليات والصيدلة والاسعاف للمرضى من الخارج وثمة مختبر لصنع الأدوية [٤٣٤] وتم افتتاحه رسمياً في ١٨٦٦/١٠/٨ وفيه ٣٢ سريراً [٤٣٥]، عين عاصم بيك[٤٣٦] مدير له وهو آنذاك متولي لوقف غازي خسرو بيك، ومع وجود الكوادر المحلية كانت الأهمية الكبرى للأطباء الوافدين من الرعايا الأجانب[٤٣٧] خاصة في فترة طوبال عثمان باشا حين كان مستشاره وطبيبه وصديقه كتشت موجود في سراييفو ، حيث عين رئيساً للأطباء في المستشفى ، وخلافاً لهذا المستشفى كان المستشفى العسكري قد بني في السنة نفسها في حارة (مغربية) حيث عمل الأطباء العثمانيون العسكريون مثل الدكتور جمال أفندي والجراح الدكتور نوري أفندي [٤٣٨] ، وكان المستشفى العسكري على طابق واحد غير أنه من المواد الصلبة من الطوب .

يحصل جميع الأطباءالمعترف بهم على رواتبهم من المستشفيات التي يعملون فيها غير أنهم عملوا في الزيارات الخاصة بأجور إضافية ، كان الدكتور والي بيك والدكتور كتشيت أكثر الأطباء عملاً في هذا المجال حيث أن زيارة الدكتور كيتشيت لعائلة يفتانوفيتش كلفتهم ١٠٤ غروش

---

٤٣٣ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ١١١/١٦

٤٣٤ عزت ماشيتش المرجع السابق ص ٠٣

٤٣٥ محمد حاج ياماكوفيتش المرجع السابق ص ٣٨، يدعي ماشيتش أن عدد الأسرة زاد إلى ٠٤ في فترة وجيزة ، المرجع السابق ص ٧٢

٤٣٦ صالح صدقي حاج حسينوفيتش المرجع السابق ص ٥٢١١

٤٣٧ الأطباء من الرعايا الأجانب وجدوا في البوسنة من عهد عيسى بيك حين عالجه أمانويل مازولا سنة ٧٦٤١م و سنة ٨٦٤١م وهو طبيب خاص من دوبروفنيك وقد عالجه وعالج محمد شلبي ، سنة ١٠٥١م ، ماجستر آنتون عالج سنجق بيك محمد بيك ، وسنة ٤٨٥١ غسبار بازو جراح من مدينة دوبروفنيك عالج فرحات باشا ، في القرن الثامن عشر هناك بتروس بييانسهي دوبروفنيكي وميخائيل سكوادر والدكتور غراملي كلهم كانوا يحملون الماجستير في الصيدلة ويصنعون الأدوية لدى زيارتهم للبوسنة ، عزت ماشيتش المرجع السابق ص ٠١

٤٣٨ من أشهر الأطباء المحليين في القرن التاسع عشر :محمد أفندي مظفري ، حاج علي بغو زمصطفى كاديتش ، ومن الأوائل الذين تخرجوا من مدرسة الطب الاسطنبولية هو شاريتش سنة ٥٦٦١م ، إسماعيل باليتش ثقافة البوشناق زاغرب ٤٩٩١م ص ٥٣

وأخذ على الزيارتين التاليتين وقد زودهم فيها بالأدوية مبلغ ٤٣٦ غروش[٤٣٩].

نفهم من هذا أن زيارة الطبيب إلى بيت المريض كانت مكلفة لحد كبير لذلك طلب تلك الخدمة الأغنياء من اهالي سراييفو ، وكان الوضع مشابه فيما يتعلق بالمعالجة في المصحة خارج الدولة العثمانية ، ويدل على ذلك ما كتبته كاترينا حاج ريستيتش في ١٨٦٢/٩/٢١م إلى أخ زوجها (حموها) في وقت أقام فيه بالمصحة (بانيا) : «أتمنى أن تكون إقامتك في رؤشيا مفيدة للصحة ولا تهتم للمصاريف [٤٤٠]».

أعلنت جريدة سراييفسكي تسفيتنيك في ربيع ١٨٦٩م إعلان البعثة النمساوية الذي تضمن دعوة أهالي سراييفو لزيارة مشفى المياه المعدنية «توبليتسا» ، ومن المثير للاهتمام أن الإعلان يؤكد أن تكلفة الطعام والإقامة زهيدة حتى أن الفقراء يتمكنون من دفعها[٤٤١] ، وما يدل على الغش والتغرير في الإعلان هو كون ألكسا يفتانوفيتش ذهب إليه سنة ١٨٧٠م وحمل معه ٣٠٣٢ غروش[٤٤٢].

رغم الحداثة والتطور إلا أن الناس استمروا في الاستعانة بالأطباء الشعبيين ونفهم ذلك من مطالبة لمرضى أن لا يتوجهوا إلا إلى الدارسين للطب لا غيرهم[٤٤٣]، فقد نشرت جريدة ساراييفسكي تسفيتنيك مثل تلك النصائح قبل ثلاث سنوات من فتح المستشفى الرئيسي في سراييفو[٤٤٤] .

كان تلك النصائح تهدف إلى إبعاد الناس عن التوجه لمن عرفوا بالأطباء الشعبيين، وقبل أن نوضح صورة الأطباء الشعبيين وما هي أساليبهم نذكر لمحة عن المرض وكيف كان يفسر آنذاك ، كانت الحالة أو المرض الذي لم لا يتم التمكن من شرح علته وسببه وعدواه يفسر على أنه يخضع للإرادة الإلهية ، ويكتب عن ذلك روفينسكي قائلاً : «أثناء المرض لا يستدعون الطبيب ، فهم من الجبرية ويعتقدون أن كل شيئ بإرادة الله وأن القدر واقع لا محالة فكثيراً ما تجدهم

٤٣٩ كم كان المبلغ كبيراً أفادتنا الرواتب للموظفين في وقف غازي خسرو بيك وتتراوح من ست إلى مائتي وخمسين غروش سنة ٢٤٨١م ، يحصل الشيخ على ٠٥٢ غروش وبقية العمال : كاتب ٠٣ والطباخ ٦ والخباز ٦ غروش ، آ أ س ز آ ن أ ب إ هـ سجل محمد متسفيتشا رقم ٧٣٢ لـ ٠٦ ب

٤٤٠ إ آ س آ ز هـ الرسائل الخاصة صندوق رقم ١

٤٤١ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ١٢ : ٩٦٨١/٥/٥١م ص ٢

٤٤٢ إ س آ مجموعة عائلة يفتانوفيتش ، دفتر المصروفات ألكسا يفتانوفيتش

٤٤٣ إ آ س آ ز هـ رقم ٢٣ ، ٩٦٨١/٨/٧م ص ١

٤٤٤ وجد الأطباء الشعبيون في البلقان كله فمنعوا من العمل في ٠٦٨١/١/٦١م في بلغراد ولكن الناس استعانوا بهم بعدها ، الحياة في بلغراد ١٥٨١ ــ ٧٦٨١ ص ٩١٤

لا يحاولون الهروب من الشر والمصيبة مما يمكن تفاديه ، ومن جهة أخرى ينقصهم الأطباء وإن وجدوا أي الأطباء المختصون لا يسمح لهم بالدخول إلى بيوت المسلمين خاصة إذا كانت المرأة هي المريضة [٤٤٥]، وباعتبار أن المرض أو الموت الذي يأتي نتيجة له لم يعتبر مأساة بل أمراً طبيعياً قدره الله تعالى فالتصرف كان منطقياً جداً ، هناك الأطباء الشعبيين من أصناف مختلفة لأمراض محتملة تصيب الناس ويمكن تقسيمهم إلى الحكماء والجراحين والمتخصصين بالختان وثمة من يعالج بالشعوذة أي صب الماء على الحديد الساخن وكتابة التعاويذ على الأوراق .

وباعتبار أن أول مستشفى فتح وقتها كما رأينا سابقاً في سنة ١٨٦٦م إلا أن الناس بقوا على عاداتهم أي يتعالجون عند الأطباء الشعبيين ، الأطباء المحليون أو الحكماء كما كان الناس يسمونهم مهمتهم أن يفحصوا المرضى ويثبتوا ما هو المرض ويشخصوه ، حرفة الحكماء محترمة جداً ومقدرة وتتناقل من الوالد إلى الولد ، وأشهر رئيس حكماء وقتها كان إسحاق سولومون رغم كون اليهود أكثر من يعملون في هذا المجال لا نتغاضى عن الرهبان الفرانيفتسي حيث كانوا يدرسون في إيطاليا علم الطب ويرجعون إلى البوسنة .

ينسخ الرهبان كتب الطب في أديرتهم ما دفع تقدم الطب دفعاً قوياً، أيضاً تفيدنا السجلات أن الحكماء كانوا من جميع الأديان ينصحون المرضى كيف يتعالجون بالأعشاب أو الأدوية التي يعدونها بأنفسهم وإذا استدعى الأمر عملية جراحية يدعون الجراح لإجرائها .

قبل وجود المتخصصين من الكوادر الطبية في بلادنا كان هناك من يسمونهم جراح دنار ، الجراح هو من يقوم بالعمليات مثل إخراج الأحجار من قنوات البول أو الفتق وحتى بتر بعض الأعضاء التي استحالت معالجتها[٤٤٦]، وتتكون أدواتهم من خمسة سكاكين إحداها ملتو مثل القوس في أعلاه وهي مشحذة وطولها يختلف لأنها تستعمل لإخراج الرصاص من الجسد ،وبجانب الحكماء والجراحين هناك المتخصصون بالختان وهم الحلاقون في الوقت نفسه [٤٤٧]، ومن المثير للاهتمام أن ثمة مراسلة وجهت إلى رئيس الجراحين والحلاقين لمدينة سراييفو ويشرح مرسلها : «أن في جنازة قاضي بالي أفندي تهدم الجدار من بيت كاراآفديتش محمد وأصيبت بنت مليا

---

٤٤٥ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ١١٢

٤٤٦ سنة ١٦٨١م اشتهر بين الناس شخص غجري سموليانا الذي شاع صيته أنه يخرج الأحجار من قنوات البول وعملية الفتق ، يحضر المرضى أمام المحكمة في سراييفو ويوافقون على الخضوع للعملية دون أن يتحمل الغجري سموليانا أية مسئولية ، محمد آرموفيتش منزلة (حالة) الغجر ص ١٦١ ـ ٢٧١

٤٤٧ عثمان آ سوكولوفيتش : المساهمة لمعرفة طرق المعالجة في سراييفو القديمة وفقاً لسجلات المحكمة الشرعية في القرنين ٨١ و ٩١ والكتب الطبية الشرقية ، سراييفو ٠٥٩١ ص ٤١

سكينيا وعمرها بجروح في رأسها ورجليها نحتاج إلى خدمتكم في معالجتها ويسدد تكاليف ذلك كاراآفديتش [448]» ، يطلب من الجراح الحضور إلى منزل المصابة ولا يؤمر بذلك ولكن يبدو أن المراسلة ملزمة فلا يسأل هل يحضر أو لا وإنما تبين المراسلة من يدفع له أجرة خدمته وهو كاراآفديتش المسبب لإصابة البنت ، عنوان المراسلة يوضح أنها لرئيس الجراحين والحلاقين غالباً لخوفهم أنها ستحتاج إلى عملية جراحية .

السؤال المطروح من هم الحلاقون المعروفون باسم بربري بمفهوم العصر ؟ بربري هو من كان يحلق ويقصر الشعر ويختن الذكور من الأولاد ويقوم بتضميد الجروح ومعالجتها سواء كانت من الإصابات أو الأسلحة أو فتحت وحدها ، ويعالج الكسور في العظام وتسوية المفاصل لليد أو الرجل كما أنه عالج بالعلقيات ونحوها ، ثمة أدوات استعملوها مثل : موس ، مقص ، حزام ، أواني للمياه ، كماشة لقلع الأسنان ، وأواني لصنع الأدوية إلخ ... كما استعملوا المراهم المتنوعة يصنعونها لوحدهم ، وكان أشهر الحلاقين من هذا النوع موياغي كولار ، ومصطفى بورتشا ، ومصطفى شودورجية[449]، موياغا كولار له محل الحلاقة في منطقة كوفاتشي وبجانب أعمال الحلاقة وقلع الأسنان عالج أمراض الجلد والعيون والداخلية وأمراض الفم والحلق وكان يصنع أنواعاً من الأدوية ، يبدو أنه كان ماهراً في المعالجة فطلبه غورو فوكوفيتش ليقلع سن زوجته ووصف العملية بالطريقة التالية : بدأ قلع السن وتأبي السن أن تقلع ، يشدها بالقوة وتسيل دموعها من الألم ولكنها (زوجته) لم تتفوه ببنت شفة [450] .

وردت في المصادر شهادة مكتوبة عن مهارة كولار في تسوية المفاصل جاء فيها : «جاء أحد الفلاحين يتكأ على العصا ورجله مصابة في مفصلها فشكى له وطلب مساعدته ، تنبه كولار إلى سبب الإصابة وكان طيب المزاج يومها ففي محله زبون لم يأت للحلاقة بل للحديث فطلب كولار من الفلاح أن ينظر من النافذة وبينما هو كذلك خلع كولار حذاءه وضرب الفلاح على رجله وأعاد المفصل في مكانه ، وقع الفلاح مغشياً عليه من الألم ، صب الحلاق عليه الماء وأفاق الفلاح فقام يسب ويتكلم غاضباً ولكنه كان يتحرك بدون مشكلة ، ضحك الحاضرون ، وفهم الفلاح أنه عولج فشكر كولار وعرض عليه دفع الأجرة فرفضها وقال أنه قبض أجرته بالضحك الذي أثاره[451]»، كان موياغا يصنع أنواع عديدة من الأدوية وبعض الأدوية التي اشتهر بها تلك

---

٤٤٨ أ إ س ز آ ن ب إ هـ سجل محمد متسفيتسا رقم ٧٣٢ لـ ٥٦ آ .

٤٤٩ حمدي كريشيفلياكوفيتش ، أفداغا شودورجية في نارودنا أوزدانيتسا ، تقويم للسنة السادية سرايفو ٨٣٩١ ص ٨٤١ ، عثمان أغا سوكولوفيتش : المساهمة لمعرفة المعالجة في سراييفو القديمة ص ٧١

٤٥٠ غورو فوشكوفيتش : الرق في الحرية أو مرآة العدالة في البوسنة ص ٦٦

٤٥١ عثمان سوكولوفيتش المرجع السابق ص ٧١

التي عالج بها مرض الزهري وغيرها[٤٥٢]؟، وكما نرى أنه لا توجد أسعار محددة لخدمات الحلاقين بل يترك الأمر للزبون حيث يدفعون مبلغاً يرونه مناسباً وبحسب مقدورهم، وعادة لا يستلم الحلاق المبلغ مباشرة بل يتركه الزبون على الرف الذي تحت المرآة[٤٥٣].

قبل وجود الصيدليات في سراييفو كان هناك من يعرف بالعطار ، وتمتلأ صيدليات العطارين بالأعشاب التي يبيعون بجانبها المراهم المتنوعة والحبوب والزيوت ونحوها ، محل أسرة بابو العطار تحول إلى صيدلية وقتها سميت باسمهم ، وبحسب المصادر والسجلات فإن قائمة البضائع ومحتواها تضمنت : خل الليمون ،مادة ليمون للأكل والشرب بدلاً عن الفاكهة ، شساب لاستعمال الحرفيين الذين يتعاملون مع الذهب ، مالوي ، الحمية الطبية المطبوخة في الماء لمعالجة السعال ، حنة تستعملها النساء المسلمات في صبغ شعرهن وتلوين أظافر اليد ، ستيبسا (الشبة) ، نشادر روحي ، البخور لتخفيف الصداع ، ماء الورد ، جولسيه ، الكحل ، بيلين يوضع في الماء فترة معينة ويشرب صباحاً ومساءاً لتنقيح الدم ، آلتونباش ، بياض للشعر من العلقيات ، بوراكس لتنظيف الملابس والبدلات ، بعوضة إسبانية دواء من عضة الكلب ، قرنفل للأكل ، كستن ، قرفة ، كامفور للتدليك ضد الروماتيزم ، بابونيج ، زعفران ، كارابويا ، زهرة كبريت ، أزهار الربيع من شجرة زيزفون ، غلبانوم لمشاكل الهضم ، زامكي مع السكر لمعالجة الإسهال عند الأطفال ، راستيك مكياج لتزيين الحواجب عند النساء ، جهمن لمعالجة الالتهاب والتجعدات في الرجلين ، الشجرة الحلوة للمضمضة أو الطبخ في الماء ضد السعال ، المنة لتطهير الجروح عند الأولاد وعند اليهود (السفرديم) ويطعمونها للنساء في حالة الولادة الشاقة ، مستيك للمضغ حتى تكون الأسنان بيضاء ، نعنع ، زنبق ، ظفور بنات ضد القمل وجوزة الطيب لمعالجة الزكام والإسهال[٤٥٤] .

فتح جورجيا جورجيفيتش بولكا أول صيدلية بمفهومنا المعاصر أواسط سنة ١٨٥٣م في سراييفو وهو صيدلي عثماني عسكري وفد من بلغراد[٤٥٥] كان أخوه شريكه في الصيدلية وقد سمح خورشيد

---

٤٥٢ له ولدان أفداغا وصالح افندي والأول كان حلاقاً أيضاً ، ح . كريشيفيلياكوفيتش ، أفداغا شودورجية ص ٨٤١

٤٥٣ ح.كريشيفلياكوفيتش المختارات ١١ ص ٨١٢

٤٥٤ موديتش ليوي المرجع السابق ص ٩٧ ــ ٥٨

٤٥٥ فلادان جورجيفيتش يذكر أن أول صيدلية وهي لأبيه تم افتتاحها سنة ١٥٨١م ، الدكتور فلادان جورجيفيتش الجولة خلال سراييفو قبل ٠٩ عاماً في البريد اليوغسلافي رقم ١٤٩٢ سنة ٠٣٩١م ص ٦ ، هذا النص جزء من كتاب المؤلف نفسه تحت عنوان : الذكريات نشر في نوفي ساد سنة ٧٢٩١م

باشا بافتتاح الصيدلية ، وكان اسم الصيدلية هو (عند الأسد) كودلافا [٤٥٦]، ويذكر سكاريتش أنه قبل سنتين من ذلك حاول أحدهم فتح صيدلية في سراييفو قائلاً : «فلان اسمه يوسب يوزفاس صيدلي من سلافونسكا بوجيغا اتفق على الشراكة مع الطبيب سنبل أن يفتحوا صيدلية غير أن يوسيب لم يكن صادقاً في نواياه لذلك قرر سنبل قطع الشراكة معه بداية سنة ١٨٥٥م والاستعانة بصيدلي آخر في سراييفو يدعى بويا[٤٥٧]» ، وفي سنة ١٨٦٦م فتح غييوفو ماندالي صيدلية حيث كان يقوم بقلع الأسنان غير أن صيدليته أغلقت بعد شهر من العمل وبررت السلطات ذلك بأنه لا يملك شهادة معترفة[٤٥٨] ، ويذكر روسكييفيتش صيدلية يديرها صربي غير أنه تعرض للتنافس الشديد من قبل صيدلي يهودي[٤٥٩]، وغالباً ما كان روسكييفيتش يقصد صيدلية جورجيفيتش باعتباره صربي ومن صربيا أصلاً والصيديلية كما وصفها: « كانت صيدلية فلادان جورجيفيتش في سراييفو على نمط صيدليات بلغراد[٤٦٠] ، ثمة رفوف خشبية في الصيدلية يضع الصيدلي عليها جميع الأدوية التي يصنعها ، طبعاً كان للصيدلي دور في تقديم الاستشارة للمرضى حين يشترون الأعشاب» ، هذا النمط من الشراء بقي موجوداً حتى بعد احتلال النمسا والمجر للبوسنة فيصف آسبوت صيدلية أسرة بابو بما يلي : «ضمن السوق ثمة صيدلية هي شبيهة بالصيدليات لدينا غير أنها من القرون الوسطى ، وهناك يهودي من الأندلس لحيته طويلة ولمحاته جدية بين صناديقه الصغيرة ويدعي أنه ما من مرض إلا وله عشب يعالجه ويصف الأعشاب المناسبة للمرض[٤٦١]».

يستحيل إحصاء مسائل المعالجة والصحة في هذه الفترة دون النظر إلى الخرافات التي أثرت على حياة أهالي سراييفو ، فقد كانت هناك طريقتان تعالج بهما أهالي سراييفو وهما : سترافا (صب الماء على الحديد الساخن) والكتابات المشعوذة ، ووجدت هذه الطرق للمعالجة تقليداً لما كان موجود قبل العقد السابع من القرن التاسع عشر ووجدت بعد الاحتلال النمساوي المجري ، فإذا فزع الشخص من أمر أخذوه إلى من يعمل له سترافا غير أنه إذا تألم بعد ذلك كانت علامة على المس من الجن فلا بد من عمل الكتابة المشعوذة له ، وثمة أنواع أخرى عند معظم الناس من هذا القبيل منها الاعتقاد بالقوى الغيبية أي الشياطين وكانت معتادة بغض النظر عن مستوى التعليم أو المستوى الاجتماعي للشخص . أما التكهن والعرافة (التنبؤ بالمستقبل) فكان له وجود لدى جميع السكان على اختلاف أديانهم ، لذلك ذكر المؤقت ظاهرة

---

٤٥٦ فلادسلاف سكاريتش المختارات ١ ص ٩٣٢

٤٥٧ المرجع السابق عثمان ى سوكولوفيتش ص ٨

٤٥٨ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٦٦١

٤٥٩ فلادان جورجيفيتش المرجع السابق ص ٦

٤٦٠ اسحاق سالامون غادر سراييفو سنة ٢٧٨١م وسافر إلى القدس

٤٦١ يوهان أسبوت المرجع السابق

غريبة من سنة ١٨٣٨/١٨٣٧جاء فيها : «يومها ظهرت فوضى الأرواح في سراييفو ، ضجت بيوت كثيرة وسمعت فيها أصوات غريبة بشكل مرعب ، حصل الأمر بالتحديد وبالشدة القصوى في بيت صاحب الراية حاج عبدي جافيتش (شارع أولومينيتسا) واستمر فترة طويلة أطول من غيرها ، لم يسبب ذلك أي ضرر على الناس أو الحيوانات بيد أن أهالي سراييفو خافوا من الأمر ، أخيراً وبإذن من السلطات دخل بعض الخوجات (مشايخ الدين) وبعض القسيسين فردوا الأرواح الشريرة بإذن الله وتوقفت الأصوات[٤٦٢]».

بالإضافة إلى الاعتقاد بالقوى الشريرة التي تجلب الضرر للإنسان بسهولة انتشرت الخرافات أي الاعتقاد بالتكهنات فاجتنبت بعض الأعمال بشكل صارم[٤٦٣] ، اغتسال الأطفال كان عادة يوم الإثنين أو يومي الخميس والسبت وغير محبب أبداً يوم الأربعاء أو الجمعة ولا قبيل الأعياد لأنه يتسبب في تقصير حياة الأطفال وضعفهم ، إضافة إلى ذلك يوضع اللون الأسود على الجباه لدى الأطفال خشية العين أو يوسخ الأنف أو الخد وقاية من العين الحاسدة ، كما لبست ألوان معينة خاصة الأحمر والأسود ، وينظر إلى الأشخاص الذين حواجبهم متصلة بالنظرة المزرية ويعتقد أنهم يجلبون الحظ السيئ ، والفتيات التي لهن هذه الصفة يصعب عليهن العثور على زوج ، ولا ينظر الولد الصغير للمرآة حتى يبلغ عمره السنة وكذلك المرأة التي تلد أربعين يوماً ولا الأولاد عموماً في بيت توفي أحد أفراده[٤٦٤] ، ومن الخرافات أن الولد المريض إذا كثرت حالات مرضه يجب تغيير اسمه ولا يتم تقبيل الولد الصغير إطلاقاً لأن ذلك يسبب اليرقان[٤٦٥] ، كما بثوا مقولات منها :لا تمر ليلاً بالمكان الذي يكسر فيه الخشب لأن فيه شيطان ، لا تقل بالليل للهرة (بس بس) والأفضل أن تسكت وإن كان ضرورياً فقل زوس لأن الشيطان يتمثل في الهرة ولو قلت (بس) يمكن للهرة أن

---

٤٦٢ صالح صدقي حاج حسينوفيتش المؤقت المرجع السابق ص ٥٥٩

٤٦٣ يذكر باشيسكيا في يومياته أنه التقى بالشيطان ليلة من الليالي فيقول : في ليلة من الليالي الظلماء رأيت الشيطان تمثل إنساناً بإذن الله سألته ليلتها لماذا تبكي عوديا ؟ لأنني ظننت أني عرفت الشخص ، لما مر بي نظر إلي بطرف العين وبكى مفاجئة لما سمعت قلت يا عجباً من الذي ضرب عوديا ولماذا يبكي وهو خارج منزله في وقت متأخر من الليل ، ولما غرقت في النوم أخذتني رجفة شديدة وبعد ربع الساعة توقفت ، لم أفهم أنه مس من الشيطان بل ظننته بداية الحمى ، خرجت في اليوم التالي والتقيت البذيئ والفاحش عوديا باطيلوفيتش فسألته أين كان في الوقت المتأخر ولماذا بكى فاجابني أنه لا يخرج بالليل وحده ، ملا مصطفى شوقي باشيسكيا المرجع السابق ص ٩٠٤

٤٦٤ ماريان ستايكوفيتش : أيام الأفراح والأطراح غي مجلة الحياة الشعبية وتقاليد السلاف الجنوبيين ي آ ز أ الكتاب ٠٣ مجلد زاغرب ٦٣٩١م ص ٥٣

٤٦٥ زورا يانييتش المكياجفي سراييفو القديمة ، في مجلة دراسة تاريخ سراييفو سنة أولة سراييفو ٣٦٩١م ص ١٨

تضرك[٤٦٦]،ورغم تلك الأفكار الجاهلة إلا أن عدد كبير من الناس كانوا يرتزقون منها ومن العرافة[٤٦٧] .

من المثير للاهتمام أن فاتا زوكانوفيتسش وهي غجرية من حارة (مغربية) عملت في العرافة بالفاصوليا وعالجت حبوب الشباب بطريقتها ، وعادة تأمر المريض المزعوم أن يخلع ثيابه في بداية الليل ويخرج أمام البيت حيث تقوم هذه الطبيبة الشعبية لعدة دقائق بمسحه على كامل جسده بالخرقة وتقول تعويذاتها غير المفهومة وبعد أن تنتهي يدخل البيت وهو يرجف والخرقة ترمى على سقف البيت حيث تبقى عدة أيام[٤٦٨].

وعند وجع السن وفي حالة عدم وجود حلاق ماهر لقلعها ينصح الشخص أن يخرج للمزبلة ويقول ثلاث مرات : «الكلب يعاني من وجع السن وأنا لا أعاني» ، وإذا كانت المرأة تعاني من الوجع تقول: «الكلبة تعاني من وجع السن وأنا لا أعاني[٤٦٩]».

ويذكر فرا غرغا ماريتش في كتاب دفتر الأدوية بعض أساليب المعالجة للناس والحيوانات، ومن جملة نصائحه : «إذا سال الدم من الأنف خذ عصيراً من قراص كبير أو صغير وأدخله في أنفك ، إذا أحببت أن ينبت شعرك بشكل جيد خذ الكوسا ودهون من شعر عنق الفرس واخلطهما جيداً واجعله على رأسك فينبت شعرك[٤٧٠] «، ولمعالجة الحكة ينصح ماريتش علاجاً بسيطاً : «من الحكة اغتسل عشرة مرات في الماء الفاتر[٤٧١] «، وهناك طقوس مثل الحزام المسمى بـ (جولباجة) وكان منتشر جداً ويستعمل لتسهيل الإنجاب ، حيث ـ وبحسب الاعتقاد ـ كان يحفظ الحزام على الجانب الأيسر في مدخل الجامع وتستعيره النساء قبيل الإنجاب[٤٧٢] ، كما كانت عادة التمسح والتبرك بأشياء اعتبروها مقدسة مثلما فعل يوفو حاج بيساروفيتش الذي ملأ زجاجة بالماء في اسطنبول لدى عودته من الحج المسيحي ليحملها إلى سراييفو ، واستعمل الناس هذا الماء لمعالجة المرضى معتقدين أنه يمكنها أي المياه المقدسة كما يدعي يوفو أن تبقى صالحة للشرب أكثر من عشر سنوات[٤٧٣].

---

٤٦٦ فهيم بيغوفيتش المرجع السابق ص ٥٠١ ـ ٦٠١

٤٦٧ أ حاج سليموفيتش المرجع السابق ص ٥٠١ ـ ٦٠١

٤٦٨ برتو : صور من سراييفو القديمة فاتا زوكوفيتسا في مجلة سراييفو ٦٠٩١م ، المساهمة رقم ٤٤ ص ٧

٤٦٩ فهيم بيغوفيتش المرجع السابق ص ٩١١

٤٧٠ خير الدين شوريتش / دفتر الأدوية فرا غرغا ماريتش في شيفوت سنة ٣٢ كتاب ٦٥١ رقم ٩ سراييفو ٤٧٩١م ص ٧١٣ ، ٤٢٣

٤٧١ المرجع السابلق ص ١٣٣

٤٧٢ محمد حاج ياهيتش : الصالحات في سراييفو والبوسنة ص ٥١١

٤٧٣ يوفو حاج بيساروفيتش ، من تاريخ سراييفو والبوسنة ، بوسانسكا فيلا ٦٨٨١ رقم ٣

ومن المعتقدات أيضاً والتي توجد حتى يومنا هذا هو عدم الأكل مما يلي المرأة الحامل حتى لا تشتهيه وهو سيئ للطفل ، إضافة إلى هذا يعتقدون أن الطفل لا يرغب في الحياة والخروج من بطن أمه قبل حصوله على الطعام الذي نظرت إليه الأم ، لذلك كانت النساء الكبيرات في السن يجتنبن الأكل في حضور الحوامل خاصة إذا كان نادراً ويصعب إيجاده في المدينة ، وحتى يرضوا الحوامل جلبت أسرة بابو إلى صيدليتها المن من الطعام الذي يعوض عن كل الأطعمة[٤٧٤].

سجل الرحالة الإنجليزي كري بعض أساليب المعالجة لدى زيارته لسراييفو سنة ١٨٧٥م فيدعي أنهم عالجوا أوجاع البطن بخليط من الخمر والبارود والفلفل الأسود بينما عالجوا الروماتيزم باستعمال الحديد[٤٧٥].

وقد نشرت جريدة سراييفسكي تسفيتنيك سلسلة من المقالات عن الخرافات وحاولت الجريدة شرح الظواهر الطبيعية التي تعلقت بها الخرافات ، ومن تلك الظواهر التي تعلقت بها الخرافة هي أصوات الرعد في يوم القديس إيلياء وذلك في العشرين من يوليو وتقول الجريدة : «أن البندق الشائع والجوز لن يثمر في هذه السنة ـ الجواب في المقالة بنبرة ساخرة ـ كم غطت الجهالة العقول والأفكار كأن البندق والجوز يخشيان الرعد فيسقطان على الأرض خوفاً من صوته[٤٧٦] ونتساءل عن حقيقة الخرافة القائلة بأن البقرة إذا تجمعت أمام بيت أحدهم فهذا يعني أنه سيموت، فهل يعني هذا أن من لا بقر له لن يموت البتة ؟[٤٧٧]».

بهذه الأمثلة حاولت لجنة تحرير الجريدة أن تبرهن أن تلك الخرافات لا عقلانية وبعيدة عن المنطق ولكن السؤال المطروح هو كم استطاعوا أن يؤثروا على الوعي لدى الشعب وهل وصلت المعلومات المنشورة في الجريدة لديهم ؟.

وإضافة إلى هذه الخرافات ثمة اعتقاد بقداسة الأشخاص ، فحزام جولباجي الذي ذكرناه سابقاً وكذلك الذهاب إلى النساء المتميزات للمراد أي زيارة قبورهن بغية تحقيق الرغبات[٤٧٨] .

يذكر أليكسا بوبوفيتش في ذكرياته أن سليمان أفندي يعقوبوفيتش قديس وعالم بالغيب وكل

ص ٢٤

٤٧٤ موريتش لوي المرجع السابق ص ١٨ـ ٢٨

٤٧٥ أ حاج سليموفيتش المرجع السابق ص ٨٣٢

٤٧٦ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٩٣ ٩٦٨١/٩/١١ ص١

٤٧٧ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ١٤ ٩٦٨١/٠١/٩ ص ٢

٤٧٨ محمد حاج ياهيتش : الصالحات في سراييفو والبوسنة ص ٧١١

ما يأتي منه من المعلومات يعتبر شيئاً يقيناً "[479] ، وما يثير الاهتمام أن الذين لم يذعنوا لتوصيته تصيبهم مصيبة أو شيئ سيئ ، ويجزم بوبوفيتش بذلك ويطلعنا على حالة يوفان تاسوفاتس وهو تاجر مشهور في سراييفو في العقد السابع من القرن التاسع عشر حيث لم يقرض تاسوفاتس خمسة دنانير لصديق سليمان جامجي فأصابته مصيبة كلفته خمس مرات بخمسة دنانير أي خمسة وعشرون ديناراً"[480].

عملت بعض النسوة في العرافة برمي الفاصوليا مثل فاتا زوكانوفا وكان ذلك محبوباً خاصة في بعض البيوت التي تسكنها الفتيات اللواتي تقدم بهن السن[481]، وما يدل على استمرار هذه الممارسة في العقد اللاحق قول آسبوت أنه وجد في شوارع سراييفو عرافاً محلياً يتجول ويشرح أن الاحتلال النمساوي المجري للبوسنة قدر الله ، وكان يقبض لشرحه عشرين غروشاً من المستمعين"[482].

---

٤٧٩ ألكساي بوبوفيتش سير أعلام سراييفو ص ٨١

٤٨٠ المرجع السابق ص ٩١

٤٨١ فاتا زوكانوفا قتلت في مارين دفور عند دخول القوات النمساوية إلى سراييفو ، برتو فاطا زوكانوفا صور من سراييفو القديمة ص ٧

٤٨٢ يوهان أسبوت المرجع السابق

الأمراض

من الأمراض الكثيرة الوجود في سراييفو سعال الأطفال، التهاب الغدة النكفية [٤٨٣] والجدري [٤٨٤]، ولكن أكثر الأمراض انتشاراً هي الحصبة، ومن سعة انتشار هذا المرض أدرك الناس أنه أصبح حقيقة وظاهرة لا بد أن يمر بها الإنسان كل إنسان كبقية أمراض الطفولة[٤٨٥]، وقد تحولت كثير من الأمراض إلى أوبئة بسبب عدم محاربتها وغياب الكوادر الطبية المتخصصة، وتوحي الأرجوزة الشعبية التالية مدى المعاناة التي كانت سائدة في تلك الأزمنة من جراء تلك الأوبئة:

ما بك سراييفو
شاحبة اللون
أأحرقتك نيران؟
أم أماتك طاعون؟
أم غمرك فيضان
نهر ميلياتسكا؟
لو أحرقتني نيران
لجددت قصوري
وغدت عامرة
لو غمرتني أنهار
تطهرت أزقتي

٤٨٣ باعتبار عدم وجود الوصف كيف كانت تبدو هذه الأمراض وكيف يتم معالجتها ما بين ١٦٨٠ ـ ١٦٨١ نستعين بوصف باشيسكيا الذي عاني ولداه من المرض يقول فيه : توفي عدد كبير من الأطفال في مدينتنا من هذا المرض ويعانون ما بين عشرين يوماً إلى شهر ، تتفتح الجروح على عنق الطفل ويتحمل أوجاعاً شديدة بعض الأطفال تلتهب أجسادهم كاملة ، ارجلهم والأصفان والرؤوس بشكل مفزع ، ابنتي مشت في هذا الحال والقيح يخرج من أذنيها ففقدت سمعها ، إبني أحمد ظهرت الجروح تحت ذقنه يسيل منها القيح بعد أن نقوا الجروح بالقطع ولكن مات بثمانية عشر يوماً بعد ذلك ليلة الخميس لأول يوم من شهر رجب ١٧٧١/٠١/٠١ ، ملا مصطفى باشيسكيا المرجع السابق ص١٤٩

٤٨٤ تقرير البعثة النمساوية يقول أن الجدري انتشر بين الأطفال والجنود ، أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٧٢١١/٣٦

٤٨٥ فيكوسلاف كوشان ، الأوضاع الصحية في سراييفو القديمة ص ٧٢

لكن طاعون
أمات أهلي
كباراً
وصغاراً
وفرق بين أحبتي

وكان من أخطر الأمراض على أهالي سراييفو مرض الكوليرا، جاءت أوبئة الكوليرا من المدن والعواصم الأخرى ولنفس الأسباب التي كانت وراء انتشار أوبئة الأطفال انتشر وباء الكوليرا في سراييفو، ومع كثافة السكان والتاخر في المجال الطبي تسبب بخسائر بشرية عظيمة ، من أكبر الأوبئة هو ما حصل في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة ١٨٦٦ م حيث نشرت جريدة بوسانسكي فيبسنيك خبر ظهور المرض : «أخبر الأطباء السلطات المحلية أن هناك حالات إصابة بمرض الكوليرا ، أصيب ستة أشخاص ومات ثلاثة منهم[٤٨٦]»، مع الخبر طلبت الجريدة من أهالي سراييفو أن يتبعوا نصائح السلطات لمنع انتشار الكوليرا ولا يتهاونوا في تفاديها حتى يوقفوا الوباء وقد أعلنت الجريدة لاحقاً عن سبب ظهور الكوليرا في سراييفو: «بعض اليهود أحضروا عروساً من بلغرادإلى سراييفو واشتروا بعض الألبسة التي كان يمتلكها أناس ماتوا من لكوليرا لذلك ظهر المرض عند اليهود أولاً ، وبالفصل الصارم ونقل المرضى إلى منزل خارج المدينة أوقفوا انتشار المرض[٤٨٧]، هكذا نقل المرض من بلغراد واول من تعرض له هم اليهود[٤٨٨] ، لاحظ الدكتور كيتشيت أن ثمة أربعة حالات مصابة بالكوليرا في بيت واحد لليهود مات اثنان وتعافى اثنان من المرض[٤٨٩] ، وشاع خبر ظهور المرض في السوق سريعاً وانتشر بأن تسبب به هو الطبيب اليهودي والصيدلي سنبل وابنه.

لم يبد أن المرض خلال فترة ٢٥ يوماً تحول إلى وباء وذلك لقلة من أصيب به من الناس، وذلك لأن الطقس حال دون انتشاره[٤٩٠]، وقد شكلت لجنة لمتابعة ومعالجة حالات المرض، وأعلنت الجرائد أن الخوف من المرض غير مبرر، وأن التجار يمكنهم القدوم إلى سراييفو لمتابعة تجارتهم

---

٤٨٦ ح. كريشيفيلياكوفيتشا : الحرائق والفيضانات والأوبئة في سراييفو ، نابريداك ٨٢٩١م ص ٠٥١ و ١٥١

٤٨٧ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٩/٣ رقم ٢٢ ص ٠٧١

٤٨٨ ظهر مرض الكوليرا في بلغراد في شهر أغسطس أي بشهر قبل ظهوره في سراييفو واستمر إلى شهر سبتمبر ومات بسببه ٣٤ شخصا ، الحياة في بلغراد ٧٦٨١ ـ ١٥٨١م ص ٠٩٥ ـ ٣٩٥

٤٨٩ فيكوسلاف كوشان : الأوضاع الصحية في سراييفو القديمة ص ٤٢

٤٩٠ البوسنة رقم ٦٦٨١/٠١/١ ٩١/٩ ص ١

بشكل طبيعي فليس ثمة سبب وجيه ليترك الناس أعمالهم الاعتيادية بل يمكنهم دون أي مخاطر أن يستمروا في التجارة[491] ، منستنتج من هذا أن الخوف ساد بين أهالي سراييفو وأن خبر وجود كوليرا شاع في بقية المدن ، بعد نشر الخبر بدا الرعايا الأجانب وخاصة من دالماتسيا والذين عملوا في معسكرات الجيش والمستشفى العسكري بالهروب قبل أن تنتهي الأعمال على الأبنية وسبب هروبهم هو الحديث الذي انتشر عن الكوليرا[492] كما جاء في تعليق جريدة بوسانسكي فيسنيك .

في فترة وجيزة وفي بداية أكتوبر ظهرت حالات أخرى من المرض ، على إثر ذلك قام موظفو الدولة بمصادرة الخضار والفواكه ورميها في نهر ميلياتسكا ، وأعادوا الفلاحين عند نقاط الجمارك إلى قراهم حين حاولوا الوصول إلى المدينة .

شكلت لجنة طبية لمعالجة المرض تضمنت : الدكتور كيتشيت ، رافوسنبل ، جورج لازوفيتش ، وأربعة موظفين من المسلمين ، ترأس اللجنة المبعوث الإيطالي دوراندو ، وفي إخباره عن المصيبة التي ألمت بسراييفو يشرح أن الوضع الصحي حرج للغاية والوضع الاقتصادي كذلك ، لذلك يطلب مساعدة لفقراء إيطاليا الذين تواجدوا في سراييفو وقتها وهم بحاجة للمساعدة[493] ، بناءاً على طلب اللجنة تم إحراق أجساد الضحايا الأوائل وتم إقصاء المشتبه بإصابتهم في منزل خان فربانيا وأغلقت بيوتهم ونصح الناس أن يهتموا بالنظافة في البيوت والشوارع، وأمر أصحاب محلات بيع اللحم أن تدهن محلاتهم وأن يتم إدخال المعروض منها في داخل المحل لا خارجه[494] .

بعث المندوب النمساوي المجري بتاريخ ١٨٦٦/٩/١٥ تقريراً إلى وزارة خارجيته والقيادة العسكرية في زاغرب والحاكم المحلي في زدرو وإدارة الجسور في برود عن الوباء ورد فيه ما يلي : وفقاً لتقرير الطبيب المحلي الدكتور كيتشيت ظهرت الكوليرا في سراييفو حيث مات من المصابين ٢٥ شخصاً ، اتخذت الحكومة البوسنية الإجراءات الوقائية اللازمة لمنع انتشار المرض، وشكلت لجنة دائمة متعددة الجنسيات وفيها المبعوث الإيطالي السيد دوراندو بإعتباره مرشحاً من قبل زملائه الدبلوماسيين المبتعثين، (وسأحيطكم علماً باجتماعات وقرارات واستنتاجات اللجنة في الوقت المناسب ، كما أن تصوري للموضوع هو أن المرض ظاهرة عارضة وليس الأمر بالخطير[495]) .

---

٤٩١ المرجع السابق

٤٩٢ بوسانسكي فيسنيك ٩٩٨١/٩/٧١ رقم ٤٢ ص ٧٨١

٤٩٣ ح. كريشيفيلياكوفيتش ، ب بيتروفيتش ، تقارير المبعوث الإيطالي رسالة رقم ١٧

٤٩٤ في الخامس من سبتمبر طبعت السلطات المحلية ارشادات للوقاية من المرض ، البوسنة رقم ٨١ ، ٦٦٨١/٠١/٢١، و ٦٦٨١/٩/٨

٤٩٥ ح. كريشيفيلياكوفيتش ، ب ميتروفيتش تقريرات المبعوث الإيطالي رسالة رقم ١٧

انتشر المرض وتحول إلى وباء في نهاية شهر سبتمبر ، حتى نقحوا الهواء في الشوارع والبيوت وقاموا بإحراق الشجر الشوحي[٤٩٦] ، بدأ الأغنياء من أهل سراييفو بالفرار من الوباء فذهبت عائلة يفتانوفيتش وريستيتش إلى مزارعها في فيسوكو، بينما ذهب أغنياء المسلمين إلى مزارعهم خارج المدينة عموماً[٤٩٧] ، وقد تضرر بالمرض بشكل خاص أهالي منطقة حيسيتا ، حيث أنه خلال الفترة من ٢٢ سبتمبر حتى ٢٩ من الشهر ذاته مرض ٢٨ شخصاً توفي اربعة منهم، بينهم إثنان من الرعايا النمساويين[٤٩٨]، وأصبح الوضع مخيفاً مع بداية شهر أكتوبر، و وفقاً لما نصت عليه تقارير المبعوث النمساوي بأنه يمرض ما بين ١٢ إلى ١٥ شخصاً يومياً يتوفي منهم ١١ شخصاً[٤٩٩] ، وقد توفي في ٢٠ من الشهر نفسه ١٤٠ شخصاً نتيجة الإصابة بالكوليرا[٥٠٠] ، حيث ينتشر المرض سريعاً ولا يوجد في المدينة سوى ثلاث أطباء فقط[٥٠١].

وفزع الناس بالتضرع بالدعاء إلى الله عز وجل بعدما سيطر الخوف من المرض على قلوبهم[٥٠٢]، ومنعت السلطات النصارى من إدخال الأموات إلى الكنائس لوجود الرائحة الكريهة فحملوا الأموات مباشرة إلى المقبرة ، استمر الوباء مدة شهرين حتى نهاية شهر أكتوبر حيث أعلنت جريدة البوسنة بتاريخ ١١/٢٤و ١١/٢٥ أن الوباء قد انتهى في مدينة سراييفو ، كان هذا الوباء أعظم حادثة تصيب سراييفو، رغم أن شيفكو تسؤنوغوراتس يذكر أن الكوليرا ظهرت في العقد السابع من القرن التاسع عشر إلا أنها لم تبلغ درجة الوباء ولم يشر لذلك في المصادر[٥٠٣] .

---

٤٩٦ فيكوسلاف كوشان : الأوضاع الصحيةفي سراييفو القديمة ص ٢٢

٤٩٧ عندما تظهر الأمراض والأوبئة في اسطنبول ثمة إجراءات وقائية تتخذ على الفور ، فيسنا مييوتوفيتش تذكر في وصفها لحياة المبعوثين أنهم لا يخرجون بتاتاً من البيوت ، البعثات الدبلوماسية من دوبروفنيك في اسطنبول ، الأكاديمية الكرواتيةللعلوم والفنونمعهد العلوم التاريخية في دوبروفنيك زاغرب سنة ٣٠٠٢م ص ٦٢٢

٤٩٨ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٤٩١١/٦٦

٤٩٩ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ١٤٢١/٦٦

٥٠٠ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٧١٣١/٦٦

٥٠١ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غك ر ١٤٢١/٦٦

٥٠٢ ثمة شيخ من الجزيرة العربية مشى في شوارع المدينة ويدعوا الله جهراً وبصوت عال مرتجف يتبعه عدد كبير من عامة المسلمين في ١٢ سبتمبر ومعه ثلاثة خرفان ، وبعد التجول ذبح الخرفان ووزع اللحوم على الفقراء بمثابة القربان لله ليدفع المرض عن المدينة ، كان يمشي بالليل حتى منعته السلطات، في ٥٢ سبتمبر قام سبعة من القسيسين بالقداس في الكنيسة الأرثوذوكسية القديمة لحماية النصارى الأرثوذوكس ، أخذوا الدقيق المبارك بالقداس فخبزوه ووزعوا على الفقراء تقرباً للمسيح ، فيكوسلاف كوشان المرجع السابق ص ٦٢

٥٠٣ سرنو فرشيفيتش يدعي أن الوباء جاء به أحد العسكريين من أهالي سراييفو وتوفي

أحياناً ظهرت الأوبئة بين الحيوانات ، وأعلمت البعثة النمساوية الرئيسية حكومتها في ١٥ أكتوبر ١٨٦٢م أنه استمر لمدة سنة كاملة ، ونشر هذه المعلومات تشير إلى أن المرض ظهر بين المواشي في نواحي سراييفو[٥٠٤] وأن السكان لم يلتزموا بقواعد الدفن للحيوانات المريضة بل رموا بها إلى الشوارع فغرم بعض السكان غرامة مالية لهذه المخالفة[٥٠٥] .

استدعت البعثة النمساوية الأطباء البيطريين من النمسا إلى سراييفو [٥٠٦] حتى يعالجوا المرض ، وننظراً لعدم دقة المعلومات المتعلقة بهذا المرض من حيث عدد الإصابات بين المواشي لم نستطع أن نعرف أثر ذلك على الناس ويمكننا أن نستنتج أن الخطر لم يكن كبيراً وأن السلطات المحلية لم تكن تعبأ بذلك.

يذكر الرحالة الإنجليزي أدموند سبنسر عن أهالي سراييفو ان رجالها لا يعمرون طويلاً فقلما يتجاوز الرجل السبعين من عمره وحياة النساء أقصر من ذلك[٥٠٧]، وما يثبت صدق مقولته هي معلومة من إحصاء السكان لحارة علي باشا فمن جملة ٥٢٥ نسمة ١٢منهم تزيد أعمارهم على ٦٦ سنة منهم عشرة رجال وإمرأتان ، أكبرهم سناً له ثمانون سنة من العمر ما يدل على معدل قصر الحياة وقتها ، للاسف لا نملك معلومات عن عدد الوفيات لأن الصحف تهتم بالوفيات الأعيان دون المواطنين العاديين ، وفي العقد السابع من القرن التاسع عشر أشار أنور كاديتش في دفتر الوقائع إلى عدة اسماء مسجلة لا يتجاوزون خمسة عشر شخصاً دون ذكر أعمارهم [٥٠٨] ، مما جعل العمر وعدد المتوفين الذين يذكرهم غير تام ، ناهيك عن أن هذا العقد كانت من مشاكله مرض الكوليرا مما جعل عدد الوفيات في المدينة يزيد .

بسببه في توزلا:يوفو كاليالوفيتش أخو زوجتي وله ٦٢ عاماً يزن مائة كيلوغرام وبصحة جيدة ، مذكرات شيفكو سنوفرفيتش ص ٤٤

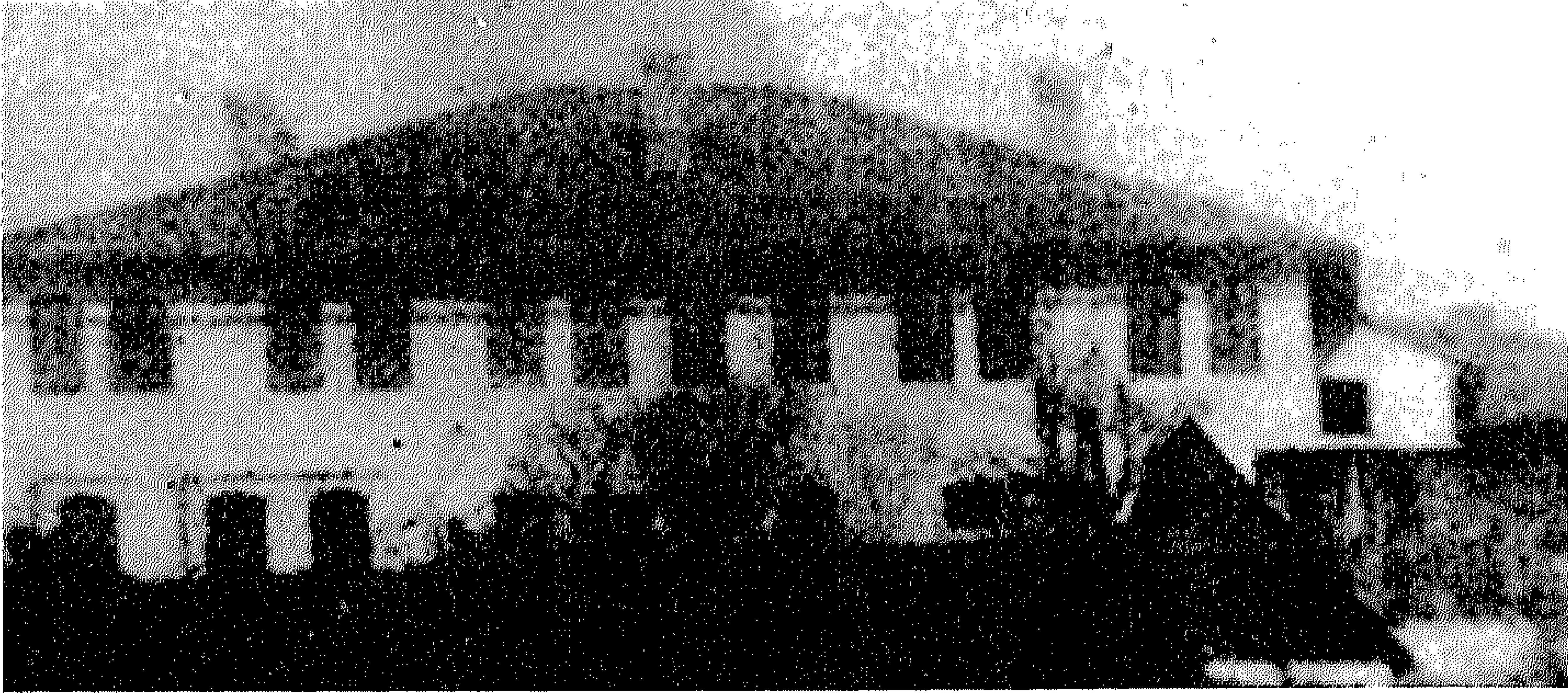
٥٠٤ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر٤٨٢/٢٦

٥٠٥ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر١٢/٣٦

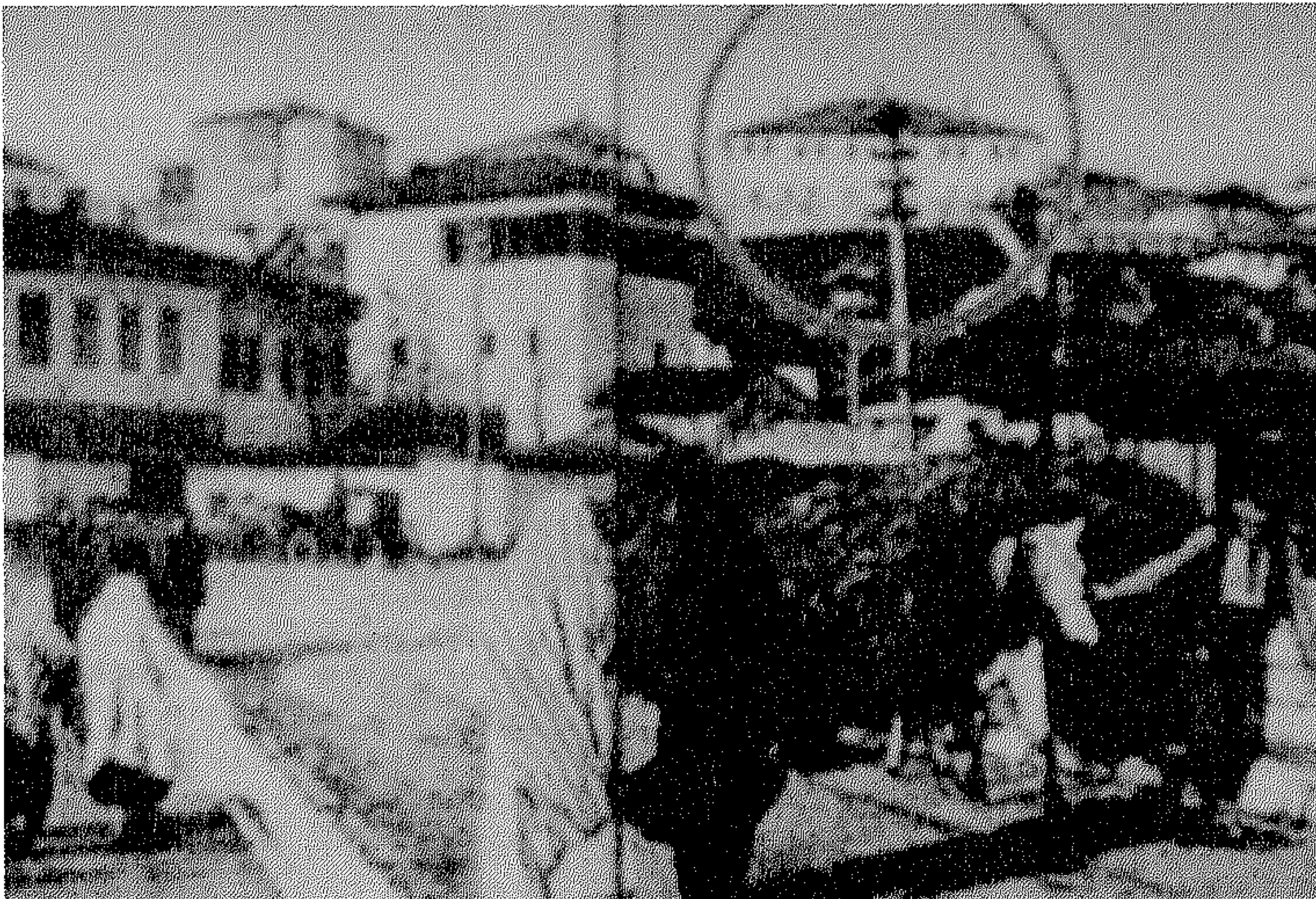
٥٠٦ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٦٥١١/٣٦

٥٠٧ المرجع السابق

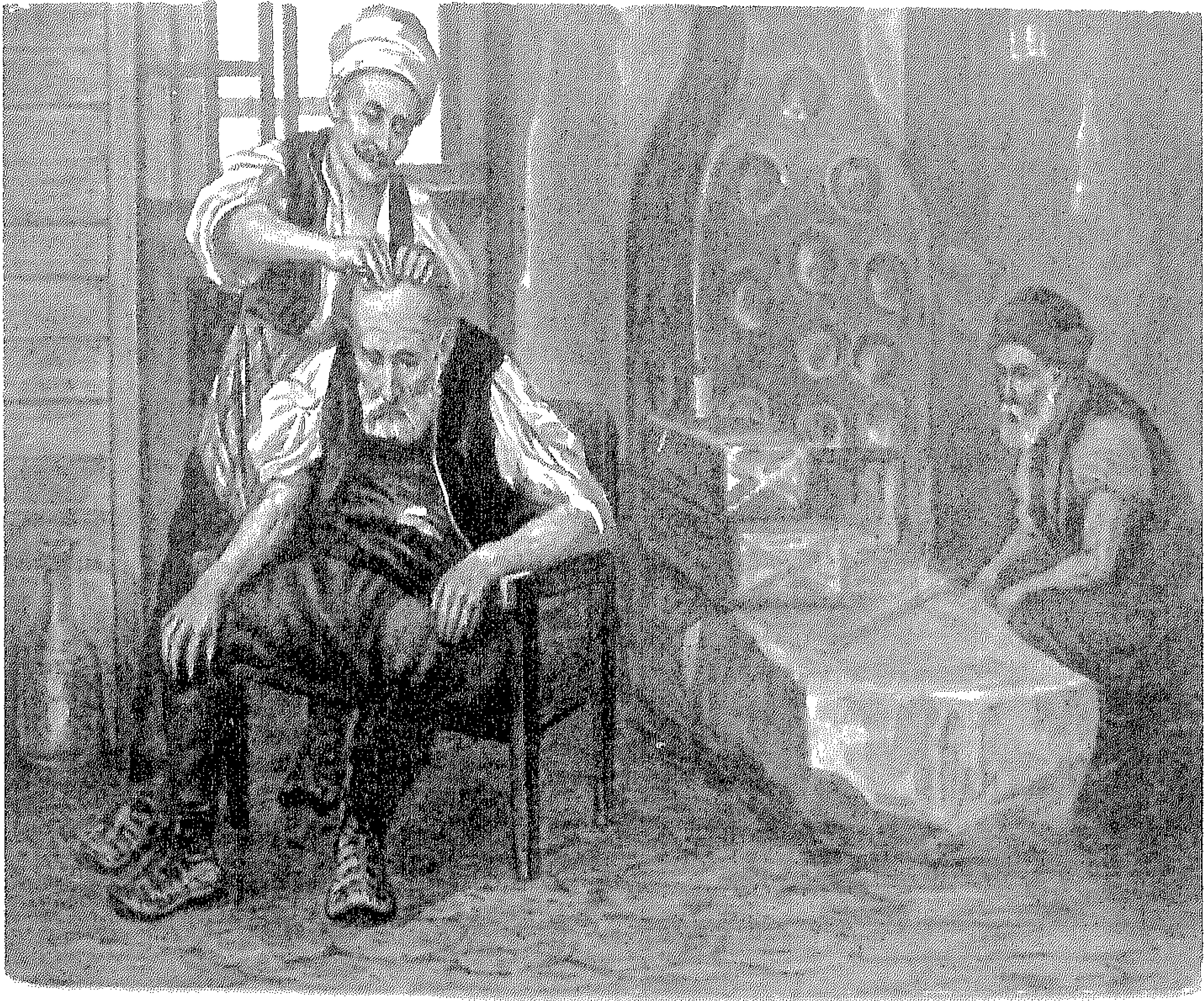
٥٠٨ مكتبة غازي خسرو بيك :يوميات كاديتش ، محمد نوريمجلد رقم ٥٦٢ و ٧٢ ٩٥٨١ ـ ٣٧٨١م



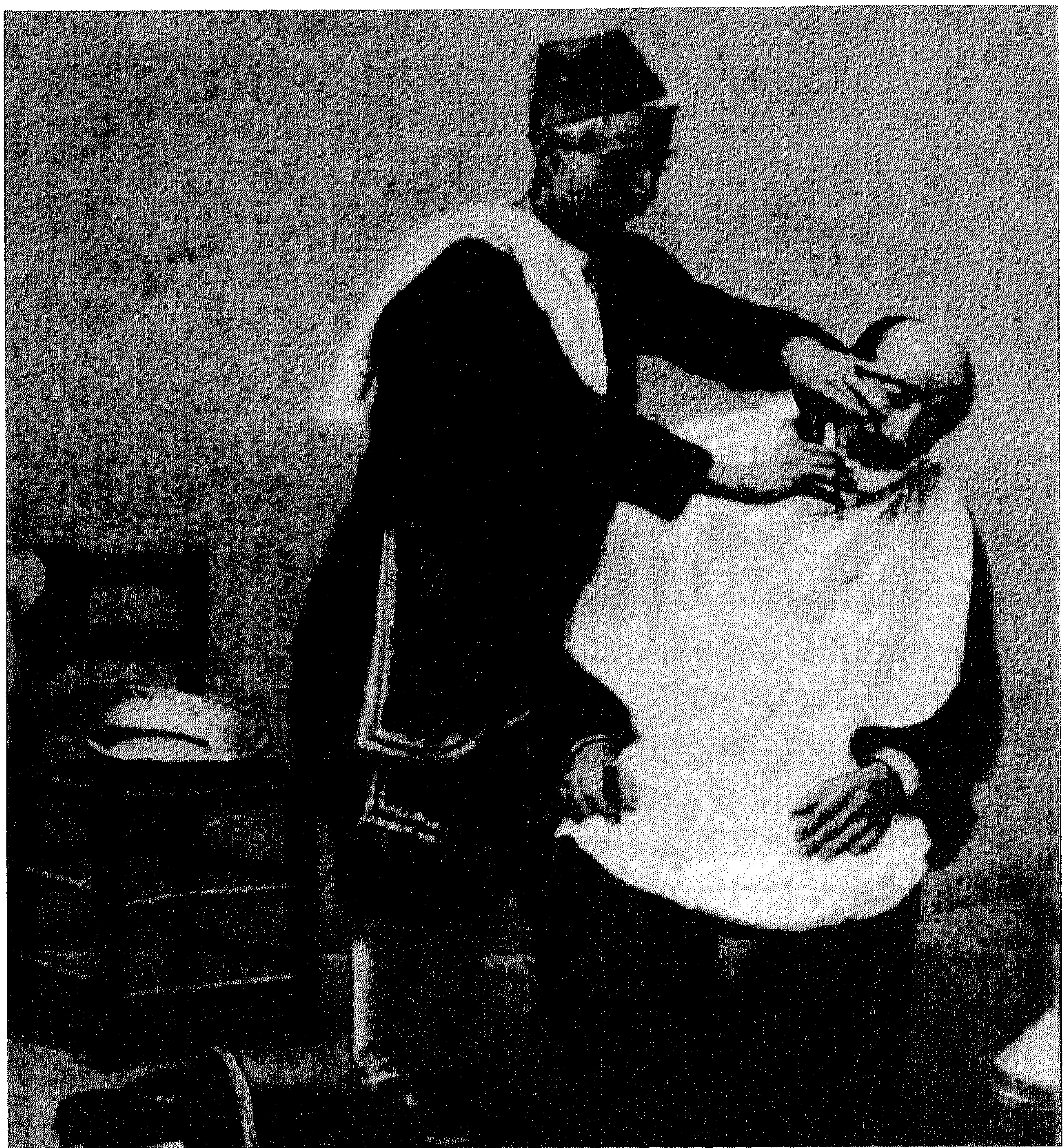
٧,١ أول مستشفى في سراييفو ١٨٦٦م



٧,٢ صورة تظهر فيها المستشفى من وسط المدينة



٧,٣ محل الحلاق وفيه يعالج بعض المرضى



٧,٤ محل الحلاقة

VIII

الرفقة والترفيه والسمر والحفلات

بقيت الاجتماعات والاحتفالات والملتقيات الاجتماعية جزء لا يتجزء من الحياة اليومية لدى الإنسان ، ونحاول من خلال هذا الباب أن نسلط الضوء بالتحليل لما ورد في المصادر وتقديم صورة عن الحياة الاجتماعية وطريقة التجمعات والاحتفالات شريطة أن نأخذ بعين الاعتبار أن ثمة أربعة أنماط منفصلة عن بعضها وهي : النمط الأول وهو التقليد الشعبي والعادات وهو النمط التقليدي الشعبي المرتبط بالعادات كالجلسات على الطريقة التركية ، النمط الثاني تمارسه النخب الدبلوماسية ورموز الإدارة العثمانية في البوسنة، والنمط الثالث يجمع بين النمطين السابقين باعتباره ملزماً بمناسبة الاحتفالات الرسمية في الأعياد المقررة للدولة ، النمط الرابع هو أهم الأنماط السابقة وهو لقاءات المقاهي ، المقهى يتميز بأشياء مهمة ويستحق دراسة مستقلة وسنشير إلى وصفه لاحقاً وإلى التعريف بقواعد عمله وهل احترمها الناس وما دوره في المجتمع ، وتجدر الإشارة عند الحديث عن المقاهي أنه يجب التفريق بين المقاهي التقليدية والمقاهي المعاصرة حتى نلقي الضوء على هذه المؤسسة بشكل لائق .

الاجتماعات على الطريقة التركية

تتنوع الاجتماعات التقليدية ما بين الجماعية بمعنى التجمعات المفتوحة التي يحضرها أهالي المدينة كلهم ويسمونها «تفريشة» والأمسيات والرحلات (رغم أنها تختفي في هذه الفترة)، نذكر الاحتفالات لجمعيات الحرفيين أي حفلات المهنة المعينة ، هذه الحفلات حملت في طيها معاني كثيرة أبرزها تجمع الناس الذين يعملون في المهنة أو الحرفة نفسها، حيث يتبادلون الخبرات ويعالجون النزاعات لأن الحضور لها كان ملزماً وأهم ما في ذلك كله تنمية روح الزمالة

والتعاون ضمن شريحة معينة في المجتمع[٥٠٩]، حتى أصبح لكل حرفة يوم خاص بها[٥١٠]، في سنة ١٨٥٠م تم إغلاق الجمعيات الحرفية ففقدت تلك الحفلات أهميتها رغم أنها ظلت تقام حتى العقد الثامن من القرن التاسع عشر أي حتى زمن الانتفاضة الشعبية ، استمرت (تيفيريتشة) باعتبارها مناسبة ثقافية إلا أنه لم يتم الالتفات إليها على مستوى ثقافي ولم تدرس في الكتب رغم بقائها موروثاً شعبياً لأهالي سراييفو أثرت الحياة الاجتماعية، وتشير إلى ذلك كلمات إحدى الأغاني الشعبية لأحد أهالي سراييفو المهاجرين إلى اسطنبول يستذكر فيها ما تميز به مسقط رأسه من فرح واجتماعات ترفيهية في القرن السابع عشر[٥١١] ، وما يدل على أن الوضع استمر على حاله خلال فترة طوبال عثمان باشا هو ما ورد في المصادر المختلفة وما يفيد بأن بعضهم يزعمون أن الاجتماعات تكثفت وأن سراييفو لم تشهد احتفالات مماثلة كما شهدتها في تلك الأيام[٥١٢] ، ويعود السبب إلى أن الوالي كان شخصياً يحضرها وأنها كانت تقام في أيام الصيف لمناسبة أجواء سراييفو لمثل هذه الاحتفالات.

ثمة أماكن مخصصة في ضواحي سراييفو للتفيريتشة وأشهرها : بيششي ، فودي ، هريد ، بقية وبوروك[٥١٣]، كما كانت أيام العطل فرصة لمثل هذه الاحتفالات أو الأيام الأخرى المقررة لسراييفو وأهاليها مثل يوم جورجفدان (٦ مايو) ، وتعد هريد من أكثر هذه الأماكن زيارة أيام طوبال عثمان باشا ، حيث يضع الوالي على إحدى قمم مرتفعات هريد نيشاناً ـ هدفاً ـ فسمي المكان نيشان .

ينظم الوالي مسابقة في الرماية بمختلف البنادق يتسابق فيها أكثر من ٨٠ رام يستعملون بندقية بوسنية تقليدية طويلة وسميكة عليها قطعة لضبط توجيه الرصاصة نحو هدفها وتدعى هذه البندقية شيشانا[٥١٤] .

---

٥٠٩ انظر أكثر عنالجمعيات الحرفية : ح. كريشيفيلياكوفيتش الأصناف والمهن في البوسنة ٣٦٤١ ـ ٨٧٨١ في مجلة الحياة الشعبية وعادات السلاف الجنوبيين كتاب ٠٣ /٥٣٩١ مجلد ١ ص ٥٥ ـ ٨٧١ ، توبينوفيتش يوفو عادات الأصناف في البوسنة ، بوسانسكا فيلا سنة ٢ ب ٦٨٨١ رقم ٣١ ص ١ ، ح. ت كاشيكوفيتش : احتفالات المهنيين في البوسنة ، بوسانسكا فيلا سنة ٧١ ،٢٠٩١م رقم ١٢ ص ٥٢٣ ـ ١٣٣

٥١٠ ح.ت كاشيكوفيتش : المرجع السابق ص ٧٢٣

٥١١ عمر موشيتش : أغنية تركية عن سراييفو من القرن ٨١ ـ مجلة علوم اللغات الشرقية ٣ـ٤ ٢٥٩١/٣٥٩١م ص ٢٨٥ ـ ٤٨٥

٥١٢ سعيد م. تراليتش : ذكريات سراييفو عن زمان عثمان باشا ، نوفي بيهار سنة ١١ رقم ٣١ ـ٦١ ص ٨٢٢

٥١٣ أندريا كولير : من المهد إلى اللحد ـ نابريداك ـ ٠٣٩١م ، المهم أن نذكر أنه إبن صاحب بريد المبعوث النمساوي المجري منذ فتحه حتى سنة ٨٧٨١

٥١٤ سعيد م. تراليتش : ذكريات سراييفو عن زمان عثمان باشا ، نوفي بيهار سنة ١١ رقم ٣١ ـ٦١ ص ٧٢٢

يحتفل أهالي سراييفو بيوم جوجف دان احتفالاً كبيراً على الطريقة التالية :

جرت العادة أن يخرج الخيل في اليوم التاسع من شهر مارس حتى جورجف دان وذلك كل يوم إثنين إذا كان الطقس جيداً ، ثم يخرج الناس إلى المصلى لينظروا إليه ويحتفلوا ، ويوقد القهوجية (صناع القهوة) النار ويصنعون القهوة . ويأتي الخيالة إلى غربافيتسا ويعودون إلى المصلى عدة مرات لتعويد خيولهم على الاستعداد للتسابق[٥١٥] ، وسجلت الوثائق التاريخية أن ثمة تجاوز وقع من موظف المبعوث النمساوي إسماعيل سنة ١٨٦٦م عندما أطلق النار من مسدسه ، وتعرض للعقوبة حينما طلب من المبعوث أن يوبخه على صنيعه[٥١٦].

ويحتفل أهالي سراييفو المسلمون والنصارى إضافة إلى يوم جورجف دان بيوم القديس إيلياء[٥١٧]، ونشرت جريدة بوسانسكي فيسنيك أول وصف لطريقة الاحتفال بهذا اليوم جاء فيه: « يجتمع الناس في ذلك اليوم بأعداد هائلة قادمين من طرف الجبل الآخر، ويحضر الرجال والنساء كلهم، فترى النساء والعذارى يستظللن بالشجيرات أو يجتمعن على منابع المياه يغنين وترى كذلك مجموعات من الفتيات يلف بعضهن وجههن بأوشحة الحياء ثم يكشفنها بعد سماع عبارات التلطف من بعض الفتية الذين يحاولون التودد إليهن ، ثم يعقبه مصاحبة مفتوحة بينهم وتجد ما لا تجده في البلاد الشرقية من الراقصات ، وثمة رقص شعبي يتخلله أصوات الرجال يردون على تلك الأهازيج، وتؤدي العذارى من النساء رقصات بخطوات هادئة وفقاً للإيقاعات الجميلة ، ويسمع صوت الرجال يغنون ثم يتقدم نفر من الرجال قد يبلغ الثمانية إلى شجرة باسقة تعرف بالزيزفون يغنون أغان قديمة للألبان لا يفهمها من حولهم ، إلا أن جمال الإيقاع والأداء والصوت المفعم بالحيوية يجذب أسماع من أحاطوا بهم حتى تبدوا على ملامحهم وهم ينظرون إلى بعضهم أمارات الإعجاب، وليس ما سبق خارج عن العادة فإن العادة جرت في البيوت التركية خاصة تلك التي في المدينة أن تظهر وجوه الفتيات يغنين أو يتحدثن إلى الشباب[٥١٨].

كما رأينا من هذا النص أنه يدعى لمثل هذه الاحتفالات المغنون من أنحاء الدولة العثمانية حتى يدخلوا الفرحة على قلوب الناس .

٥١٥ محمد انوري كاديتش : طوبال عثمان باشا ، فشونيا بوتشا رقم ٨٢٧ ـ ٣٢٩١/٢١/٧م

٥١٦ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٤٧٥/٦٦

٥١٧ في ليلة تسبق الحدث يخرج الناس رجالاً ونساءا وأطفالا إلى قمة جبل تريبيفيتشي لينظروا إلى شروق الشمس ، يحصل هذا لذكرى السلطان محمد الفاتح الذي فتح البوسنة وقد خرج هو في يوم إيلياء إلى الجبل ونظر إلى حقول البوسنة التي فتحها بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٧/٦١ رقم ٥١ ص ٢٢١

٥١٨ المرجع السابق ص ٣٢١

إضافة إلى هذه الاحتفالات الجماعية آنفة الذكر فإن هناك زيارات عائلية أي أمسيات تجري بين الناس شتاءاً في جو دافئ في البيوت تسمى أمسيات البيوت .

تحدث هذه الأمسيات في دائرة العلاقات الأسرية منها أمسيات العائلة ، أمسيات النساء وأمسيات الرجال ، ولا يحضر الأمسيات العائلية غير أفراد العائلة أو الأصدقاء المقربون والجيران ، يشارك جميع الحاضرين في الأمسية ولكل فرد جليسه في الأمسية ، وثمة عبارة تعلن قبل بدء الأمسية إيذاناً بذلك يقول فيها رب البيت أو أحد أبنائه كالمرحب بهم « إن لم نستضيفك فسنأتي إليك»[٥١٩] . وتقل هذه الأمسيات في الصيف ويتبين لنا من خلال استقراء الأحداث الاجتماعية في العقد السابع من القرن التاسع عشر أنه بدلا من أمسيات الرجال تم الاستعاضة عنها بالخروج إلى المقاهي[٥٢٠].

وترك حاجي ماكسوديتش وصفاً عن الفرحة التي تغمر أمسيات العائلة وهي تحصل للنصارى أكثر من المسلمين واصفاً الجو بما يلي : «في مزاج طيب ودون أن يشاركه أحد يغني أغنية مضحكة (لما كنت صغير السن قال لي أستاذي في السماء جنة ، ويقول الآخر اسمع مني يا رجل في الأرض جنة ثم يتابع الغناء يصف جنة السماء وجنة الأرض يضحك الناس من غنائه)[٥٢١] ، وقد أثار اهتمامي ما يحدث عند عنج أحمد قائد الفرسان وأصله من شاليية لم يكن له أقارب في المدينة فكان يستدعي مارتن ليعلمه اللغات الأجنبية ، وعندما تنتهي هذه الدروس مساءاً تقدم الخمر والطعام ويبدأ السمر إلى وقت متأخر من الليل ، حضرت في إحدى الأمسيات عارفة خانو بنت أحمد وكانت تعزف على البيانو وتمرقني بنظراتها وتغني ألحاناً شرقية[٥٢٢] . وتشبه أمسيات النساء ما وصفناه سابقاً وهي فرصة لإبراز النساء والفتيات لحليهن وفساتينهن ، من بعض لقاءات النساء كما يكتب روسكييفيتش بدون حضور الرجال حيث تغمرها فرحة الأغاني والرقص الشعبي والطرائف[٥٢٣] ، كما كانت تقرأ في بعضها الكتب الدينية وقد أوقفت خديجة بنت عبد الرحمن تفسير القرآن من سورة الضحى إلى آخر القرآن [٥٢٤] ليقرأ ويشرح

---

٥١٩ فيض الله شافكيتش بوسلجية : في جريدة سراييفو رقم ٨٧١ سنة ٥١ ، ٧١٩١م ص٢

٥٢٠ في دفتر الشيف يذكر باشيسكيا لقاء خاص للرجال : صحبة حلوى غير أنا لم نجده في هذه الفترة ، انظر ملا مصطفى باشيسكي المرجع السابق ص ٥٢٠

٥٢١ ستيفو كالوحرفيتش المرجع السابق ص ٥٦

٥٢٢ علمت السيدة فريدة يكا بليتشاك عارفة خانو العزف على البيانو وهي بنت موظف البعثة النمساوية المجرية ، مارتين غيورغيفيتش المرجع السابق ص ٨٦/٩٩

٥٢٣ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٢١٠

٥٢٤ ترجمة معاني القرآن من سورة الضحى إلى آخر سورالقرآن

في الجلسات الإيمانية للنسوة فيدعون لها بالخير[٥٢٥] ، كما لا تخلوا هذه الأمسيات بالرغم مما فيها من القراءة والغناء والتسلية من الأحاديث الجدية عن الأعمال بينما تتحدث النساء عن الأطعمة والأولاد[٥٢٦] .

يملأ أهالي المدن وقت فراغهم بالخروج إلى الطبيعة ، أماكن التنزه التي هي نفسها تقام فيها لتيفيريتشة (الاحتفالات العامة)، وتتفق الأسر حول الاستعداد للتنزه ويحدد من يحضر الطعام ومن يأتي بالشراب، واعتاد الناس على شواء لحم الخراف في مثل هذه النزه فإذا كان موقع النزهة قريباً من المدينة لا تشوى الخراف في الموقع بل يحضرونها مع الرز ويتم الشواء عند الخباز في المخبز ثم يأتون بها في الوقت المناسب إلى موقع النزهة [٥٢٧]، ولمعرفة ما يشوب مثل تلك النزه من المزاح تذكر المصادر التاريخية التي سجلها أفرام بينتو انه حصل في سنة ١٨٣٤م أن لبس يعقوب كوهن بعد أن أسرف في الفرحة لباس النساء المسلمات ـ فرجة ـ غير أن شعرات لحيته ظهرت تحت غطاء الرأس فكشف سريعاً ، ولقيت تلك المزحة استهجان حيث أراد وجيه باشا إعدام يعقوب بيد أن أصدقائه افتدوه بثمانية آلاف غروش[٥٢٨]، وما يدل على وجود مثل هذه المخالفات أي لبس ملابس النساء تتضح من أن ثمة قانون صادر وقتها يتم بموجبه معاقبة من لبس ملابس النساء وتشبه بهن بغية الدخول بينهن بالسجن مدة ثلاثة أشهر إلى سنة كاملة[٥٢٩] ، ومن المثير للاهتمام أن مجلة العقوبات السلطانية سنة ١٨٥٦م تعرف هذا النمط من العقوبة أنه مخالفة في لبس ملابس النساء[٥٣٠].

رغم ما حظيت به الأمسيات من شهرة بين الناس فضل بعض الأهالي التجول على شاطئ النهر (ميلياتسكا) وأشهر مكان للتجول كان المسافة بين المطحنة الوقفية على ميدان مصطفى إلى جسر البندو ، باعتبارها مكاناً محبباً للتجوال وقد صرفت الأوقاف سنة ١٨٦٩م ما تستدعي الحاجة من أموال لترميم الطريق إذ لم يكن ممهداً للناس بما فيه الكفاية ، وتذكر المصادر أنه نتيجة لافتقار الوعي وحب المجازفة حصلت ثمة حالات غرق لم يعهدها أهالي سراييفو أثناء التجول وكانت في الغالب بسبب الاعتداد بالنفس رغم عدم المعرفة بالسباحة ، حصل مثل ذلك الأمر لستيبان و إيفان حين تجولا مع أسرتيهما وأرادا أن يغتسلا في النهر ولم يجيدا السباحة

---

٥٢٥ علي ناميتاك : هوامشتاريخ ثقافتنا ، مجلة سراييفو ١ ـ ٢٧٩١ ص ٠٠١

٥٢٦ أفرام بنتو المرجع السابق ص ٥٢

٥٢٧ آ هـ كوللر المرجع السابق ص ٥١٢

٥٢٨ موديتش ليوي المرجع السابق ص ٧٦

٥٢٩ مجلة العقوبات السلطانية بند ٢٠٢

٥٣٠ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٤٣ ، ٩٦٨١/٨/١٢ ص ١

فغرقا نصب أعين أفراد أسرتيهما[٥٣١]، وأرسلت السلطات المحلية الغواصين إلى الموقع ليخرجوهما فأخرجوهما وكانا قد ماتا للأسف ، كما حصل ذلك لثلاثة يهود اقتربوا من النهر لينظروا إلى السمك فوقعوا في النهر وغرقوا جميعاً[٥٣٢].

تثرى الاحتفالات التقليدية في بعض الأحيان بزيارات نادرة من المضحكين والمهرجين ، وكان مسرح كاراجوز المتجول يقدم عرضاً من وراء ستار من القماش أو الورق الملون لألعاب الظلال ، وقد نشر في جريدة سراييفسكي تسفيتنيك دعوة عامة تحت عنوان «لمن يهمه الأمر» أن أرمني من اسطنبول يقدم ألعاب الظلال كاراجوز مقابل مبلغ من المال في مقهى قريب من جسر الملك[٥٣٣] ، وباعتبار أن تلك المسرحيات من هذا النمط تقام في المقاهي فليس من المستغرب ما يدعيه روسكييفيتش: أنها تحظى بالاهتمام الكبير من الرجال وحدهم كما هو مفهوم بالضرورة[٥٣٤] ، وإلى جانب مسرحيات كاراجوز في الأماكن المغلقة يحضر المهرجون في الساحة الكبيرة المفتوحة حيث يظهرون براعتهم ما أمكنهم في التهرج ، وإذا أظهروا شيئاً لم يعهده الناس يقوم أغنياء المدينة بدعوتهم إلى بيوتهم حتى يشاهد بقية أفراد الأسرة حركاتهم البهلوانية ، وتجدر الإشارة إلى أنه يلزم المهرجون الحصول على ترخيص من الوالي[٥٣٥] لممارسة تلك الأعمال، ومن الأشياء المشتهرة إلى جانب المضحكين والمهرجين هي المصارعة[٥٣٦] التي يحق لكافة أهالي سراييفو من الرجال المشاركة في المسابقة فيها، كما لا يمكننا أن نتغافل عن الخروج للصيد في فصل الشتاء وقنص الذئاب الذي يأذن به الوالي ويدعو جميع المهتمين الذين يملكون البندقيات للمشاركة فيه ويقام عدة مرات خلال شتاء واحد كما حصل في سنة ١٨٦٧م باعتبار الذئاب اقتربت من المدن والقرى بشكل كبير[٥٣٧]، ويذكر باشيسكيا إضافة إلى ذلك المسابقات في رمي الأحجار والعصا والرماية في وقت الفراغ[٥٣٨] في الفترة التي ندرسها .

٥٣١ البوسنة رقم ١٦ ، ٧٦٨١/٧/٩٢ ، ٧١ ص ١

٥٣٢ بوسانسكي فيسنيك رقم ٤١ ، ٦٦٨١م ص ٧٠١ قارن ميروسلاف برستويفيتش سراييفو المنسية ، سراييفو ٢٩٩١م ص ٠٢

٥٣٣ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٧٤ ، ٠٧٨١/١١/١٢ ص ١

٥٣٤ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٤٢٢

٥٣٥ ما يدل على إيجاب الحصول على الإذن أواخر القرن الثامن عشر نص من دفتر الصيف لباشيسكي يغضب فيه على كادييفيتش الضين تسببوا عدم حصول المهرجين على الإذن المطلوب لعملهم فيكتب : نعم في سراييفو هؤلاء الناس من أمثال كادييفيتش لو أذن البني بشيئ لعاندوه ولمنعوه عناداً منهم ، ملا مص\فى باشيسكي المرجع السابق

٥٣٦ كوستا مانديتش من سراييفو القديمة في أوسلوبوجينيا رقم ٢٠٠٢ ، ٣٥٩١/٣/٨م ص٧

٥٣٧ البوسنة رقم ٦٣ ، ٧٦٨١/١/٨٢م ، ٦١ ص ١

٥٣٨ أشهر رام للأحجار كان مصطفى مندلشبيلا فيشلو ، حسني كوزار كان يرمي

يعتبر النمط الثاني من التجمعات جديد ومستحدث ويكون على غرار الاجتماعات الأوروبية ويكثر بين الممثلين الدبلوماسيين وأعيان الحكومة العثمانية في سراييفو، وتقام هذه الاجتماعات على شاكلة كرنفال وحفلات رقص أو دعوة للطعام في الخارج، حيث يحتفل المبعوثون الدبلوماسيون بتواريخ بلادهم المهمة مثل الحفل الذي أقامته البعثة الإنجليزية بيوم ميلاد سمو الملكة فيكتوريا[539]، وعادة يشوب تلك الحفلات مظاهر من الطريقة التركية حيث تتواجد وليمة الأطعمة العثمانية التقليدية ، وإذا قرر أحد أن يقيم حفلة على هذا النمط يجب أن ينبه على محتواها كما فعل والي سراييفو وممثل والي البوسنة حين دعى المبعوثين الدبلوماسيين ورموز وأعيان أخرى من البلد مؤكداً لهم أن الحفلة والعشاء ستكون على الطريقة التركية[540]، ولا بد للحضور في تلك الحفلات من حصولهم على الدعوة الرسمية من صاحب الوليمة شفهياً أو كتابياً عن طريق الخدم الذين يوصلون الدعوات إلى من تخصهم على عناوين بيوتهم وهم غالباً الضيوف المختارون دون انتظار الرد منهم والجواب لأن عدم المجيئ يفهم على أنه إساءة إلى الداعي فيلزمهم جميعاً الحضور .

أقام الوالي أيضاً حفلات متميزة وولائم عشاء ورقص في دار إقامته التي كانت مرتبة ترتيباً رائعاً ويديريها الأغوات الذين هم غالباً من الشباب الذين يلبسون الملابس الأوروبية الأنيقة ويضعون الطرابيش على رؤوسهم [541]، وكتب مارتين جورجيفيتش أن الوالي أقام مرة كرابوليس رقص، ويتابع بعد ذلك في الوصف : «القاعة مقسمة إلى قسمين في أحدهما جزء معتم تنظر من خلاله نساء الوزير عبر فتحات على الجدار ويتفرجن على رقص النساء الأوروبييات مع أزواجهن»،

بجانب الأحجار الصخى (العصا الكبيرة) كل سنة من الربيع إلى كاموم ويوم الجمعة من الظهر إلى المغرب يحضر حسن المشهور ألعاب الناس ، كان من فراتنيك ومن بيلا فا صاحب الراية بينو لما بلغ الستين من العمر قام بهذه الألعاب بدلاً عن حسني ، أقيمت الألعاب في منطقة باقية ، م.م. المرجع السابق ص ٧٨٢ ، ٢٩٣

٥٣٩ سراييفسكي فيسنيك ؤقم ١٢ ، ١٥/٥/١٨٦٩م ص١

٥٤٠ سراييفسكي فيسنيك ؤقم ١٥ ، ١٨/١٢/١٨٦٩م ص ١

٥٤١ مارتين غيوغرفيتش المرجع السابق ص ٢٣

وبحسب وصف جورجيفيتش يمكننا أن نستنتج أن الضيوف مرتادي تلك الحفلات كانوا من الدبلوماسيين ويحضرون أزواجهم وبناتهم بينما يترك الموظفون العثمانيون أهاليهم في بيوتهم أو يكون لهم مكان خاص للتفرج في حال إتيانهم، ولم نجد في المصادر المتوفرة لدينا أن المرأة المسلمة شاركت في مثل هذه الحفلات ، وكان من الضيوف المعتادين على هذه الحفلات الوالي مشير عيدي باشا والمبعوثين الدبلوماسيين .

وليس ثمة سبب خاص لإقامة مثل تلك الحفلات بل سببها الرئيسي هو جلب الفرح والترفيه في الليالي الصيفية، لذلك كثرت الحفلات على الطريقة الغربية في الصيف وكانت تقام عدة مرات أسبوعياً وتعمها الفرحة مع الرقص مثل تلك الحفلات التي كان ينظمها علي بيك وهو مسئول عن الشئون الخارجية في الولاية حيث يدعو ضيوفه المعتادين أمثال سمو الوالي والمشير والسادة المبعوثين الدبلوماسيين مع أهاليهم وأشخاص آخرون"[٥٤٢] ، ولحفلة علي بيك طابع خاص حيث يتم استدعاء فرقة موسيقية من النمسا الأمر الذي يدخل الرضا والسرور على الضيوف ويعقب الحفلة مباشرة تقديم طعام العشاء للحاضرين من الضيوف على أنغام الموسيقى التي يتم اختيارها وفقاً لرغبة الضيوف ، نشير هنا إلى أن البعض كان يحضر عازفين أجانب مع الفرق الموسيقية المتنوعة كما حصل في إحدى المناسبات الرسمية عند طوبال عثمان باشا في سراييفو واحتفاله بها حيث حضر مع الفرقة الموسيقية بعض التشيك والألمان وشارك عدد من الغجر"[٥٤٣] ، ومن الضروري التنويه إلى أن دعوة الحفلة عند الوالي كان يتم توضيح صفتها هل هي رسمية أو غير رسمية لأن الرسمية كانت تقام نادراً"[٥٤٤] .

وأحياناً كانت الفرقة العسكرية تشارك في العزف في بعض المناسبات كما حصل في الوليمة التي أقامها المشير عبدي باشا في قصر مجاور للمدينة يملكه السيد رضا أفندي في كوفاتشيتش قرب سراييفو، ، ومن كثرة المدعوين إلى الحفل نفذت كل ما في سراييفو من العربات التي أخذت توصل الناس إلى الوليمة المذكورة في القصر"[٥٤٥] ، كما أن وليمة مشابهة اقامها طوبال عثمان باشا إكراماً لأخيه حيث تذكر المصادر أن عدد كبير من الضيوف حضر إليها ومن بينهم المشير عبدي باشا والفريق فائق باشا والسادة المبعوثين الدبلوماسيين مع أهاليهم والعسكريين والمدنيين الآخرين حتى أنه جلس على المائدة أربعة وأربعين شخصاً"[٥٤٦].

---

٥٤٢ المرجع السابق رقم ٦٢ ، ٦٦٨١/١١/٩ ، ٧/١١ ص ١

٥٤٣ المرجع السابق

٥٤٤ محمد آ موييتش : مكانة الغجر ص ١٦١

٥٤٥ في يوليو سنة ٧٦٨١م أقام والي باشا احتفالاً غير رسمي ، استمر الفرح إلى الساعة السادسة مساءاً ، البوسنة رقم ٧٥ ، ٧٦٨١/٧/١ ، ٦/٩١ ص

٥٤٦ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٨/٧٢ رقم ١٢ ص ٢٦١

أقام مبتعثو الدول الأجنبية احتفالات على منوال اللقاءات التي تقام في بلادهم[٥٤٧] ، وبحسب ما نشرت جريدة البوسنة آنذاك فقد أقام المبعوث الإنجليزي السيد هون حفلة في ليلة جمعة حضرها الوالي والباشا والمشير والمبعوثون الدبلوماسيين مع أهاليهم ومترجميهم وأعيان القوم وعزفت الموسيقى حتى انتهى الحفل وتفرق الناس في الساعة العاشرة[٥٤٨]، كما أن المبعوث الإيطالي دوراندو أقام الحفلات كثيراً فقد أقام حفلاً يوم الأربعاء حضره الوالي والمشير وعدد هائل من موظفي الدولة من العسكريين والمدنيين ، واستمر الحفل إلى الساعة العاشرة[٥٤٩].

كما كانت مغادرة بعض الأعيان العثمانيين فرصة في سراييفو لإقامة حفلاً تكريماً له[٥٥٠] ، ومن خلال بحثنا في الجرائد التي تابعت الحفلات والمناسبات تبين لنا أن الحفلات عموماً وحفلات الرقص تستمر عادة إلى الساعة العاشرة ليلاً وأحياناً تنتهي قبل ذلك[٥٥١].

ومن بين اللقاءات والتجمعات التي تنظم صيفاً خارج المدينة والتي تستمر طيلة النهار ما يسمى «بنكت تفريتشة» وهي مخصصة لكبار الساسة دون غيرهم[٥٥٢]، وقد اقام قائد الجيش البوسني في الولاية حفل بنكت تفريتشة في موقع إليجا وحضره المدعوون في تمام الساعة الواحدة وقدم لهم الغذاء في الثالثة ظهراً والعشاء في التاسعة وعزفت الفرقة العسكرية بهذه المناسبة[٥٥٣] .

هناك نوع غريب من الحفلات لم يكن مألوفاً ويشبه إقامة كرنفال، وقد وردت تفاصيله على الصفحة الرئيسية لجريدة سراييفسكي تسفيتنيك التي تشرح أنها مناسبة يضع فيها المشاركون أقنعة أو يرتدون ملابس مختلفة ،وقد أقام المبعوث النمساوي مثل ذلك الكرنفال المذكور حيث شوهد فيه ملابس رجالية ونسائية متنوعة مما زاد من بهجة الاحتفال رغم غرابته وإثارته

---

٥٤٧ البوسنة رقم ٢١ ، ٦٦٨١/٨/٣١ م ، ١ ص ١

٥٤٨ البوسنة رقم ٦٢ ، ٦٦٨١/١١/٩١ ، ٧ ص ١

٥٤٩ البوسنة رقم ٠٣ ، ٦٦٨١/٢١/٨١ ، ٨ ص١

٥٥٠ يقام كرنفال يوم الأربعاء بمناسبة مغادرة علي بيك من سراييفو كايماكان يقيمه يوم الإثنين أيضاً بمناسبة المغلدرة وأقام حفلة العشاء كاتب المدينة إكراماً لعلي بيك ، البوسنة رقم ٠٤ ، ٧٦٨١/٢/٥٢ ، ٣١ ص ١

٥٥١ في هذا الشهر أقام والي باشا احتفالاً غير رسمي ، استمر الفرح إلى الساعة السادسة مساءاً ، البوسنة رقم ٧٥ ، ٧٦٨١/٧/١ ، ٦/٩١ ص ١

٥٥٢ بنكت هي كلمة استعملت لهذه المناسبات والحفلات وهي عبارة عن وليمة الغذاء أو العشاء يحضرها الشخصيات العلمية والسياسية والاجتماعية يتبعهاالحديث بينهم ، براتيليوب كلايتشيتش معجم اللغات الأجنبية زاغرب ٤٧٩١م

٥٥٣ البوسنة رقم ١٥، ٧٦٨١/٥/٠٢م ، ٨ ص١

للعجب إلا أنه كان مشوقاً بدليل أنه استمر إلى قبيل بزوغ الفجر[554].

لم تقتصر تلك اللقاءات على جلب الفرح والسرور فقط بل كان بعضها ذو غرض سياسي كما حصل في دعوة الغداء الذي أقامه الوالي ودعى إليه كبار القساوسة من هيرتسيغوفينا القس بروكوبيا وأشرك معه قرينه البوسني القس دينوسيه وممثلوا الأرثوذوكس من سراييفو ووفد من بانيالوكا[555]، وأقيم الغداء في حديقة دار الوالي ، وتذكر المصادر أن الأطعمة والأشربة كانت فاخرة وثمة خدم كثيرون يضيفون الزوار ويهتمون براحة الضيوف[556] ، وكالعادة في تلك الحفلات كانت تشرب الخمور وقد شهد الرحالة الفرنسي بيرداوود مناسبة من هذا النوع على الطريقة الغربية أقيمت تكريماً لملا (كبير علماء المسلمين) وكان المدعوون يشربون فيها الخمر رغم أن الملا هو من رؤوس علماء الشريعة الإسلامية وأحد ألد أعداء الفرنسيين[557].

وفي بادرة منه لإثراء حياة أهالي سراييفو الاجتماعية قام المبعوث الإنجليزي هولمس وبتكلفة باهظة بإحضار الأدوات اللازمة للمسرح من لندن وحول جزءاً من منزله إلى مسرح دولي أقام فيه كل شتاء مسرحيات كل أسبوعين يدعو إليها موظفي الدولة (الولاية) والضباط من الجيوش المتواجدة والمبعوثين الدبلوماسيين مع أزواجهم ، وكان السيد هولمس وزوجته وبعض الدبلوماسيين الآخرين يقدمون الشاي والأشربة الأخرى أثناء عرض المسرحيات وخاصة عندما يزوره الأعيان ، وكانت آخر مسرحية أقيمت ليلة الجمعة في شتاء ١٨٧٠م[558] ، وقد كتب مارتين جورجيفيتش وصفاً لهذه المسرحيات مسجلاً ما يلي : «كان للمبعوث الإنجليزي مسرحاً دولياً طبعاً باللغة الفرنسية « اللغة الدبلوماسية الرسمية آنذاك» تحضر إليها شخصيات من الهيئات الدبلوماسية رجالاً ونساءا ، وغالباً ما تكون المسرحية دراما أو من الألعاب المضحكة وتنتهي بالرقص ويليها العشاء وتشرب الخمور من برادكس وشمبانيا وتنتهي الأمسية بشراب كاتينولوم[559]، وقد تابعت الصحف المحلية هذه الاجتماعات بانتظام مما يدل على الأهمية التي أولاها المنظمون لها».

---

٥٥٤ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٥ ، ٩٦٨١/١/٠٣ م ص١

٥٥٥ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٠٢ ، ٩٦٨١/٥/٨م ص١

٥٥٦ فرانز ماؤوار المرجع السابق ص ٢٧٣

٥٥٧ مدحت شاميتش ، سراييفو والعيش فيها ص ٦٠١

٥٥٨ ساراييفسكي تسفيتنيك رقم ٦١ ، ٠٧٨١/٣/٧ ص١

٥٥٩ مارتين غيورغيتش المرجع السابق ص ١٣

بهذا الباب نكون قد قدمنا جزء من اهتمات الأهاليوكيفية إثرائهم للحياة الاجتماعية التي بدأت بالتطور في هذه الحقبة بالذات ، وبتحليل المعلومات السابقة يمكننا القول أن الاستقبالات والحفلات والولائم كانت حكراً على حملة السلطة السياسية في البوسنة وفي الوقت ذاته شكلت ضغطاً سياسياً من نوع خاص في عهد طوبال عثمان باشا واستمر نمط اللقاءات في عهد بنيامين كالاي حيث حاول تقريب النخبة الحاكمة خاصة التي في سراييفو إلى نفسه ،أما الضغط السياسي في مثل هذه اللقاءات فقد كان في عهد الحكم النمساوي المجري الذي هو امتداد لفتح البعثات الدبلوماسية الأولى في سراييفو والتي هدفها تقريب النخبة الحاكمة إلى الدول الأجنبية والتأثير على أصحاب القرار باعتبارهم نخب مدنية ظهرت لأول مرة فيها[٥٦٠] .

الأعياد الرسمية

الأعياد الرسمية هي تلك الاحتفالات التي شارك فيها جميع أهالي سراييفو على تنوع أنسابهم ومواقعهم ، وقد حددت مواعيدها الحكومة المركزية من اسطنبول وعادة ما تكون بمناسبة عيد ميلاد السلطان أو ولادة ابن له أو تولي السلطان الحكم ، ولم تكن تواريخها ثابتة لأن كل سلطان يحتفل بعيد مولده لا مولد سابقه .

ويحتفل الناس بالأعياد الرسمية في جميع مدن الدولة غير أن الاحتفال الرئيسي يقام في اسطنبول[٥٦١] ، اويكون الاحتفال بولادة الولد للسلطان سواء كان ذكراً أم أنثى بعدما يأتي الخبر عن طريق البريد ويتم تحديد تاريخ الاحتفال بولد السلطان ، وكان الناس يزينون محلاتهم للاحتفال بمثل تلك المناسبات فقد زين باشيسكي محله بمناسبة ولادة خديجة بنت السلطان عبد الحميد بطريقة وصفها بالشكل التالي : «زينته (أي المحل) بأوراق التزيين على شكل القمر والنجوم ونحوها ، وبقي محلي مزيناً واستأجرت لهذه المناسبة صورة تظهر مغادرة الكتيبة اليانيشا (الجيش العثماني النظامي) إلى الغزو وعلقتها في محلي ، بالإضافة إلى ذلك ثمة

---

٥٦٠ قارن ريستو بيساروفيتش : الحياة الموسيقية في سراييفو ٨٧٨١ ـ ١٩١٨م في مجلة دراسات تاريخ سراييفو سنة ٤ كتاب ٤ ، سراييفو ١٩٧٤م ص ١٦٤ ، تودور كروسفاتش : سراييفو تحت الإدارة النمساوية المجرية ٨٧٨١ ـ ١٩١٨م سراييفو ١٩٦٠م ص ٢٦٥

٥٦١ الطريقة التي احتفل بها المبعوث من دوبروفنيك بولادة ابن السلطان سنة ١٧٧٧م مثيرة جداً ، ثمة مساحة تعد في الحديقة ويدعى النجار ليصنع الألواح الخشبية في هذه المساحة ثم توضع فوقه الشمسية الكبيرة والخشبة العالية ليوضع عليها علم دوبروفنيك ، يزين ذلك ما يقوم به الرسامون حيث يرسمون الرمز من الورق المذهب وشرائط القصدير بلونه الفضي والذهبي والحبال للقناديل والشموع والقهوة والسكر والبسكويت والحلويات ، فيسنا مييوفيتش المرجع السابق ص ٢٢٠

صور مدهشة وعجيبة على الورقة الكبيرة كأنها صور حية تنطق، وباختصار كان الناس طيلة أيام الاحتفال ينظرون إلى محلي [٥٦٢]».

كما احتفل الناس ثلاثة أيام بمناسبة ولادة بنت للسلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٤م واسمها خديجة وصاحب الاحتفالات شرب الخمور وإطلاق النار من المدافع[٥٦٣] ، وتغمر الفرحة المدينة كلها وتكون الفرحة أعظم بمناسبة عيد ميلاد السلطان أو يوم توليه السلطة والعرش ، ويعتبر روسكييفيتش الاحتفال بهذه المناسبة أمراً متميزاً وأن المبعوثين الأجانب يدعون إلى وليمة تقدم فيها الأطعمة في بيت رئيس البلدية لأجل الاحتفال بعيد ميلاد السلطان وفقاً للتقاليد الأوروبية[٥٦٤]، ويقصد روسكييفيتش بقوله التقاليد الأوروبية أي الأطعمة وأنواعها وطريقة تقديمها .

ونقلت جريدة البوسنة أن الاحتفال استمر ثلاثة أيام ولياليها بمناسبة تولي السلطان عبد العزيز كرسي الحكم وأطلقت النار من المدافع خمسة مرات وأطلقت صواريخ الألعاب النارية بمهارة [٥٦٥] ، ونفهم من النص الكامل الذي ورد في الجريدة أن النزل في هوشيميتسكي وبيوت الموظفين تكون حولهما إضاءة رائعة تغطي مساحة السوق الرئيسي كلها[٥٦٦].

وكان الأمر كان شبيهاً سنة ١٨٧٠م بمناسبة تولي السلطان عبد العزيز العرش ففي فجر اليوم المحدد بدأت المدافع بإطلاق النار ثم في الساعة الرابعة بدأت الزيارات الرسمية عند الوالي : أولاً الضباط والموطفون ثم المبعوثون الرسميون، وفي الخامسة قدم العشاء وفي السادسة أنارت جميع الجوامع والمحلات[٥٦٧] ، وأقيم في بيت الوالي الاستقبال الرئيسي وكانت الإجراءات المتبعة مبينة للجميع إذ يأتي المبعوثون الدبلوماسيون والأجانب على الغذاء في وقت متأخر ويحصلون على الدعوة الرسمية المسبقة، ونص الدعوة كالتالي: «ندعوكم للاحتفال بمناسبة تولي السلطان عبد العزيز العرش ..»، وقد وجهت الدعوة أيضاً إلى المبعوث النمساوي سنة ١٨٦٣م [٥٦٨] ، ومن المثير للاهتمام أن الدعوة لا تحدد الوقت ولا مكان الاحتفال ما يعني أن ذلك معروف لدى الجميع ، إضافة إلى ممثلي الدول الأجنبية تدعى الشخصيات المرموقة من المدينة ، وقد تواجد صدفة ماؤوأر في المدينة يوم تولي السلطان العرش ووصف المراسم بدقة بالغة ، يقول

---

٥٦٢ ملا مصطفى باشيسكي المرجع السابق ص ٧٩١

٥٦٣ أ إ س ز آ ن أ ب إ هـ سجل ملا محمد ميتسفيتسا رقم ٧٣٢ ل ٨٤ آ

٥٦٤ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ١٢٢

٥٦٥ البوسنة رقم ٤٦ ، ٧٦٨١/٨/٩١ ، ٧ ص ١

٥٦٦ المرجع السابق

٥٦٧ ساراييفسكي فيسنيك ؤقم ٤٢ ، ٠٧٨١/٦/٤١م ص١

٥٦٨ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غك ر ٧٤٧/٣٦٨

ماؤوأر: «من جسر الملك إلى بوابة دار الوالي (كوناك) ثمة صفان من الرامين الأناضوليين والمشاة البوسنيين من طرفين ، يوجه التحية لي كافة العسكريين ولما دخلت دار الوالي عزفت الفرقة الموسيقية ألحاناً قوية ، الغالب على الموسيقى كانت الطبلات والبوق ذو النوع الغريب وهو طويل جداً ويسمونها كرنتا ، بين الموسيقاريين هناك أحد الناس من فيينا وثلاثة من التشيك والبقية كانوا من الغجر ، طرابيش المسيقارين أطول من غيرهم من الحاضرين من الجيش ، يستقبل الوالي الضيوف في قاعة مزخرفة ، تسطع التطريزات الذهبية على الملابس الرسمية للمبعوثين الدبلوماسيين مع الألماس والأحجار الثمينة على رتب الأعيان من الجيش[٥٦٩].

وقد لاحظ ماؤوأر أن بين الحاضرين ممثلي الأديان الأربعة وأشراف القوم من الجبل الأسود اثنان منهم بمرتبة دوق : بيرو بييوفيتش وبروتوسيا فوشافولا ، يجلس على رأس المائدة الوالي وعن يمينه وشماله يجلس المبعوثون الدبلوماسيون وفقاً لرتبهم» ، ويصف ماؤوأرو الأطعمة بما يلي : «المائدة كانت أوروبية إلى حد كبير وتقدم الأطعمة التركية مثل بورك ـ فطيرة باللحم ـ والمدورات المعجونية الطويلة محشوة باللحم يسمونها باشتتا ، شوشيك أو اللحم الدجاجي المطحون ، مهلبية أي الشوربة من السميد المطبوخ ويلانجي دولما أو الرز المطبوخ في أوراق العنب، فالرز كان متوفراً وطيباً لدرجة أنني لم آكل في حياتي أفضل منه ، أكل جميع الأتراك والضباط والقضاة والعلماء بالشوكات والسكاكين بطريقة ماهرة للغاية حيث أنني تعجبت منهم لأنهم عادة يأكلون بالأيادي ، وتكلم الناس باللغات التالية : الألمانية والإغريقية الجديدة والتركية والسلافية[٥٧٠] «.

ونشرت مجلة أوسلوبوجينيا رؤية الاحتفال بكافة تفصيله حتى وصف (الأشك) المهرج في دار الوالي وبحسب الوصف سجلنا ما يلي: « المهرج هو أبرز شخص في الحفل وهو موظف في قصر الوالي وكلمة (أشك) تعني الحمار ، ظهر المهرج فجأة يركب الحصان الأبيض السمين مع ضرب الطبلات وصعد السلم سريعاً إلى الطابق الأول حيث قاعة الاحتفالات ، ولما انتقلنا إلى القاعة المجاورة وشعلنا السجائر وشربنا القهوة حرض أشك حصانه على الطاولة يتخطى الأواني للقهوة دون أن يسقط أي منها ، وبما أن الحصان حوافره ليست ملبسة بالحديد لم تتأذى السجادات ، مازحنا أشك بشكل تخطى المروءة أحياناً دون أن يغضب أحد منه ، قبيل افتراق الناس بعضهم تحسسوا منه وظنوا أن أشك قد بالغ ، فسأل المبعوث الروسي ـ ولم تكن علاقته بالباشا طيبة ـ المهرج أشك بعد كلمة ألقاها كبار القساوسة تضمنت مدحاً للوالي طوبال عثمان باشا ورجاحة عقله: من هو أرجح عقلاً من أهالي البوسنة يا حمار قل لي من أعقل الناس ؟ فكر أشك ملياً ثم أجاب بشكل جدي وليس بنبرة مضحكة : أعقل الناس في البوسنة هو أنا[٥٧١]».

٥٦٩ فرانز ماؤو أر المرجع السابق ص ٤٧٣

٥٧٠ المرجع السابق ص ٢٧٣

٥٧١ أوسلوبوجينيا رقم ٥٠٢٠ ، ١٩٥٣م ص ٧١

وصف التفاصيل للاحتفالات بالاستقبالات الدبلوماسية يذكرنا بتواجد جميع أعيان السياسة والدين في المدينة ، أشك المهرج شبيه بالمهرجين في القصور الأوروبية وحفلاتها ، إلا أنه يلفت انتباهنا مسألة شرب الخمر كما تدعي المصادر أنها شربت بالرضى المطلق في هذه المناسبات[٥٧٢]، حيث يشرب نبيذ من المجر وموستار وكذلك الشامبانيا[٥٧٣] ، ورغم نشر عدة مقالات عن شرب الخمور إلا أنه ليس لدينا أية معلومات ولا تحليلات كاملة كم كان شرب الخمر منتشراً وموجوداً[٥٧٤] .

كانت العادة في ذكرى تولي السلطان العرش أن يتجول رئيس البلدية ويدخل إلى المحلات التجارية ويتوقف بعض دقائق فيها حتى يعبر عن احترامه لطبقة التجار[٥٧٥] ، وتزدحم شوارع المدينة في هذه الأيام ويمكن رؤية الرجال والنساء والصغار والكبار[٥٧٦] ، فالأعياد الرسمية هي حفلة جماعية تتزين فيها المدينة وتغلق المحلات التجارية ويمكن مقارنة المدينة بالمدن المعاصرة التي يحتفل فيها بالأعياد الرسمية للدولة .

كما أن استقبال وتوديع الشخصيات المهمة كان سبب من أسباب الاجتماعات مع اتخاذ إجراءات محددة ، فبعد أن أصبحت سراييفو مركزاً للبعثات الدبلوماسية استقبل الناس موظفيها وموظفي الدولة العثمانية عند توليهم المنصب وودعوهم لدى مغادرتهم البوسنة ، وإذا كان حدث الاستقبال أو التوديع من البوابة الغربية لسراييفو فموقع الحفل يكون في إليجا وإذا كان من جهة البوابة الشرقية فالموقع هو كوزيا تشوبريا (جسر الماعز)، وكما ذكرت جريدة البوسنة فقد خرج عدد كبير من الضباط والمترجمين إلى إليجا بمناسبة قدوم المبعوث هاس لاستقباله[٥٧٧] ، المهم أن المبعوثين الدبلوماسيين لا يستقبلون بأعداد كبيرة من الناس بل يخرج عدد صغير من ممثلي السلطة المحلية والموظفون من البعثة كما حصل مع المبعوث هاس باعتباره شخصية مجهولة لا يعرف دورها ولا كيف سيتعامل مع السلطة المحلية ، بينما تضم مراسم التوديع أعداداً كبيرة خلافاً لقلة الناس لدى الاستقبال .

---

٥٧٢ يبدو أنها فرصة نادرة يتسنى للمسلمين أن يشربوا الخمور علق الظاهرة روسكييفيتش ، المرجع السابق ص ١٢٢

٥٧٣ فلادسلاف سكاريتش المختارات ١ ص ٤٥٢

٥٧٤ عن الإدمان على الخمور انظر محمد موييتش : مساهمة لدراسة الإدمان على الخمور في البوسنة والهرسك تحت الحكم العثماني ص ٧٨٢ ـ ٨٩٢

٥٧٥ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص٤٢٢

٥٧٦ المرجع السابق

٥٧٧ البوسنة رقم ٧٢ ، ٦٦٨١/١١/٣٢ ، ٤١ ص ٢

وقد نشرت جريدة البوسنة الخبر التالي بمناسبة توديع المبعوث الفرنسي: «ودعت مجموعة من الموظفين المحليين والسادة المبعوثون الدبلوماسيون مع سيداتهم في موقع إليجا الذي يبعد ساعتين عن سراييفو المبعوث الفرنسي روسو[٥٧٨]» .

ويختلف الأمر تماماً إذا كان الاستقبال للوالي الجديد حيث تكون المراسم احتفالية ذات دلالة على أن الشعب في خدمته مع بقية الموظفين ، ويضم موكب الاحتفال الرسميين والناس العاديين الذين يخرجون لاستقبال الوالي الجديد ، وقد وصف يوفو حاج بيساروفيتش استقبال الوالي في إليجا بالتالي : «يعرف يوم قدوم الوالي (الوزير) مسبقاً فتخرج جمعيات الحرفيين ليستقبلوه في كوزيا تشوبريا ، ويقدم القوم أشرافهم من رتبة أغا وبيك ويصحب كل منهم عدداً من الرجال حتى أن أحدهم جهز أربعين رجلاً إلى ستين بالأسلحة الجيدة ، وألبس بعضهم الدروع (إلى الساق لا تخترقه الرصاص) ، ويأتي بعدهم أغا يركب فرسه ثم تأتي جمعيات الحرفيين مع الأطفال المزينين ، ويترأس جمعية الحرفيين ـ شورشيين ـ شورشي باشا رئيس شورشيين شيميتش يركب فرسه ويحمل راية الجمعية ، واختير الشاؤوس وهو بمثابة المتحدث الرسمي والبسوه أفضل الملابس القيصرية مزخرفة بالذهب أكثر من الحرير ، يداه مكشوفتان وعليهما الحرير ، ويحمل السلاح في يده وعليه منديل للزينة ، وتتنافس الفتيات أيتهن تقدم المنديل لشاؤوس ، وعندما يلتقي شاؤوس بالوالي باعتباره المتحدث الرسمي لجميع الحاضرين يرمي سلاحه إلى السماء وينحني للوزير ثلاث مرات ثم يلتقط السلاح قبل أن يقع على الأرض ، فيعطيه الوزير ما بين ثلاثة إلى خمسة إغرميلوك [٥٧٩] ، وبعدها تقدم كل جمعية للوزير هدية من صنعها وتكون قيمة جداً[٥٨٠]».

وقد وصف المبعوث الروسي كودرياسوا كيف كان توديع طوبال عثمان باشا واهتم قبل كل شيئ بعدد الحاضرين الذين يقدرهم بنحو ثلاثة أو أربعة آلاف من المسلمين وما بين ثلاثين إلى أربعين نصرانياً يتزاحمون في الشارع ومشى الناس مع الركب المشكل من مئة عربة أكثر من ساعتين تحمل المسافرين[٥٨١] ، واستطرد المبعوث الروسي بإخباره حيث ذكر أن المبعوثين الدبلوماسيين ودعوا طوبال عثمان باشا في إليجا وقدمت الحكومة المحلية فطوراً رسمياً لهم[٥٨٢].

---

٥٧٨ البوسنة رقم ٥٣ ، ١٢/١/٧٦٨١م ، ٩ ص ١

٥٧٩ دينار

٥٨٠ يوفو حاج بيسلداروفيتش من تاريخ سراييفو والبوسنة في بوسانسيكا فيلا ٦٦٨١ رقم ٦ ص ١٢١

٥٨١ إبراهيم تيبيتش ، البوسنة والهرسك في المصادر الروسية ٦٥٨١ ـ ٨٧٨١ م سراييفو ٨٨٩١ ص ٩٠١ ـ ٠١١

٥٨٢ المرجع السابق ص ٠١١

المقاهي

لا يمكن تصور الحياة اليومية للرجال بدون ذهابهم إلى المقاهي ، لم يكن التواجد في المقاهي بمثابة مشاركة في حفلات معاصرة بل لأنها مركز الحياة الاجتماعية لهم، وكانت المقاهي هي الأماكن الوحيدة للاجتماعات العامة بجانب الأماكن الدينية وانتشرت في وقت مبكر من اسطنبول إلى منطقة البلقان خلال القرن السادس عشر[٥٨٣] ، وتذكر المصادر أن المحاولات الدامية لإغلاقها من قبل السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ ـ ١٦٤٠م) باءت بالفشل[٥٨٤] ،وقد سجل باشيسكي في دفتر الصيف أنه في سنة ١٧٨٦م كان هناك ٢١ مقهى[٥٨٥].

كانت المقاهي أحياناً تعتبر معقلاً للمتمردين ولهذا السبب أمر الوزير في ١٨٢٧/٤/١٨ بهدم عددكبير من المقاهي في سراييفو وأسقطوا المداخن لصنع القهوة [٥٨٦]، ولم تجد تلك الجهود نفعاً ولم تثمر فاستمرت المقاهي بعملها وازداد عددها وروادها.

ولا يتوفر لدينا معلومات دقيقة في المصادر عن عدد المقاهي في سراييفو في العقد السابع من القرن التاسع عشر ونفترض أن عددها أكبر عدة مرات من زمن باشيسكي باعتبار أن سكاريتش يذكر أنه في الفترة المذكورة كان هناك عشرون مقهى في ساحة الحجاج عند جسر كوزيا تشوبريا[٥٨٧].

وتشير المصادر إلى الظهور المكثف للمقاهي ذات المحتويات الأوروبية وللتفريق بين المقاهي التقليدية والمقاهي على النمط الأوروبي كان الفارق الأساسي في الخدمات المعروضة وأصل أصحابها وزبائنها، وفي بداية القرن التاسع عشر بدأ اصحاب المقاهي التقليدية بصنع الحلوى أثناء الشتاء[٥٨٨] ، إلى جانب القهوة والدخان والسجائر والعصير التي هي معروضات أساسية في

---

٥٨٣ أول المطاردات لأجل القهوة بدأت سنة ١١٥١م في مكة والمثير للاهتمام أنه انعقد اجتماع العلماءحول موضوع القهوةوقالوا بتسويتها في التحريم مع الخمر ، انظر فهيم سباهو : أول المقاهي في بلادنا : نوفي بيهار ١٣٩١/٥ رقم ٣ ص ١٤

٥٨٤ فهيم سباهو : من الحياة العامة والخاصة أيام الأتراك ص ٠٧١

٥٨٥ ملا مصطفى شوقي باشيسكي المرجع السابق ص ٩١٣

٥٨٦ فلادسلاف سكاريتش المختارات ١ ص ٣٠٢

٥٨٧ المرجع السابق ص ٩٢٢

٥٨٨ ملا مصطفى باشيسكي المرجع السابق ص ٩١٣

المقاهي التقليدية ، يتميز المقهى بما يقدمه ناهيك عن اختيار اسم المقهى فظهرت المقاهي التي يعتمد معروضها على البيرة ومقاهي للخمور بدلاً عن المقاهي التقليدية مع أنها في الأصل مقاهي مع عرض مختلف فنظر الناس والحكومة إليها هذه النظرة المحددة[٥٨٩] ، وتصف المصادر المقهى بأنه يتألف من قاعة واحدة كبيرة ويمكن لزوارها أن يجلسوا أمام المقهى حيث المقاعد الخشبية ، وداخل المقهى أشبه بغرفة كبيرة على حائطها تستند الأرائك مع الوسائد وأمامها طاولات يقدم عليها الطلب ، وفي القاعة نفسها تعد القهوة وأنواع العصير ، وباعتبار أن المقهى يحتاج إلى غرفة إضافية فقد توالت الطلبات لاستئجار البيوت بغرض غرفة إضافية في الطابق الأرضي ، تجدر الإشارة إلى أنه لفتح أي نوع من المقاهي يلزم الحصول على ترخيص مسبق ، حيث تذكر المصادر أن كارل بنؤسفوسكي وجه طلباً إلى الحكومة التركية ليفتح مقهى في بيت علي بيك جنيتش في حارة ساروا في سراييفو[٥٩٠].

تصدر الحكومة المحلية الترخيص بفتح المقهى بعد الاطلاع على الموقع وإبداء الرأي هل يسبب مشاكل في ذلك المكان ، وباعتبار أن المقاهي تقدم الخمور أكثر فأكثر صدر الأمر ببيع الأشربة المسكرة بكمية محددة أو على الكؤوس بدءاً من جمادى الآخرة ١٢٨٤ هـ أو ١٨٦٧/١٠/٢٥م وينطبق الأمر على الرعايا الأتراك والرعايا الأجانب ، ونقل الأمر في الجريدة الرسمية البوسنة ١٨٦٧/١٠/٣٠م على الصفحة الأولى [٥٩١] ونصه : «لابد للتاجر أولًا أن يحصل على الترخيص من الحكومة ولا يمنح الترخيص لشخص له مخالفات سابقة ، ثانياً المحلات التي تبيع الخمور لا يسمح بفتحها على بعد أقل من مائة خطوة من الجوامع أو الزوايا أو المخفر في شارع الأتراك أو قرب مكتب حكومي، والمحلات يجب أن تكون لها سياج جيد وليس لها إلا باب واحد[٥٩٢]»، ورغم كون التعليمات واضحة للغاية إلا أنها خولفت مراراً مما أدى إلى إغلاق بعض المقاهي .

قدم أنتون أزنتك وهو خباز في الأساس طلباً للحصول على ترخيص من الحكومة المحلية لفتح مقهى البيرة في بيت علي كاديتش في منطقة بيستريك[٥٩٣] ، وقد تم رفض الطلب لأنه مخالف

---

٥٨٩ أنتون أزنتر فتح مقهى البيرة غير أنه بعد شجار بين زبائنه ورد في التقرير أن الحادثة حصلت في مقهى أنتون أزننك ، أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ٤٤٦/٧٦ ، ٧٣٣/٨٦

٥٩٠ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٦٦٥/٦٦

٥٩١ في جريدة البوسنة ورد في ٧٦٨١/٠١/٢١م ، البوسنة رقم ٦٧ ـ ٧٦٨١/٠١/٠٣م ، ٧٦٨١/١١/١١م ص ٢

٥٩٢ البوسنة رقم ٦٧ ، ، ٧٦٨١/١١/١١م ، ٠٣/٠١ ص ٢

٥٩٣ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٤٤٦/٧٦

للتعليمات آنفة الذكر الأمر الذي يدل على اهتمام السلطات المحلية بالأمر وتطبيق التعليمات[٥٩٤] ، كما كان طلب إيفان بافكوفيتش له نفس المصير غير أنه حصل على التوضيح وتعليل الرفض بأن المقهى أقرب من الجامع مما هو مسموح به [٥٩٥] ، كما لم يحصل أنتو على تصريح لفتح مقهى في حارة كانينم رقم ٣ لأنه يواجه الثكنة العسكرية كما أن الحارة للمسلمين فقط[٥٩٦] .

ويتم منح التراخيص إذا ناسب الموقع فتح مقهى كما حصل في حالة أزرائيل فلديبر حين فتح مصنعاً للخمور (خمارة) عند منبع نهر بوسنة وعلى أراضي مصطفى زساليا ماشكوفيتش فقد حصل على الترخيص شريطة أن يلتزم بجميع القوانين الخاصة بالخمور[٥٩٧] ، إضافة إلى هذه القوانين هنلك تحديد لوقت عمل المقاهي وتم التحديد بحيث أن الوقت يحدد بالطريقتين التركية والغربية فقد عملت المقاهي على التوقيت التركي فوجب إغلاقها ساعة بعد المغرب (أي غروب الشمس) ، ونعتقد أن الأمر خولف كثيراً حيث تذكر المصادر أنه تم توجيه إنذارات لاصحاب المقاهي المخالفة كما حصل مع صاحب المقهى إيفان تاديتش لأنه يغلق مقهاه أربع ساعات بعد المغرب لا ساعة بعد الغروب[٥٩٨] ، أو الدعوة لتوبيخ صاحبي المقهى نيكولا غرِيماتي وكارلو لأنهما لم يلتزما تعليمات الإغلاق وتم تكرار الإنذار لهما مما يدل على أن المخالفة كانت تقع على الشخص دون إغلاق المقهى[٥٩٩].

كانت أعمال الشغب هي المشكلة الدائمة الوقوع في المقاهي ، وغالباً ما يشارك فيها الرعايا الأجانب غير أن أهالي سراييفو أحياناً ونتيجة لسكر بعضهم يشاركون في هذه الأعمال ، ومثال ذلك ما ورد في المصادر من شجار صالح أغا إمشيروفيتش بعد أن سكر مع أنتون مانيؤم النجار في مقهى بيرو غيؤرك[٦٠٠] ، وهناك ظواهر قاسية جداً ندركها من خلال حالة صالح أغا هروشيتش الذي تعرض للضرب من مجموعة من الناس في مقهى فيري شينليتشا حتى خلصته

---

٥٩٤ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٥٤٨/٧٦

٥٩٥ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٣١/٨

٥٩٦ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٦٦٣/٨٦

٥٩٧ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ١٧٣/٧٦

٥٩٨ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٥٦١/٧٦

٥٩٩ الحكومة البوسنية تحذر الرعايا النمساويين ريستو بايالوفيتش ، يوسف تاديتش ، نيكولا غرمينيا ، وماريا بوفوكوفيتش أن يغلقوا مقاهيهم ساعتين بعد غروب الشمس حتى لا تحدث الخلافات (أعمال الشغب) أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٧٣١/٩٦

٦٠٠ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٢٨٣/٣٦

الدورية منهم[٦٠١] ، وفقد صالح أغا في هذا الحادث عينه ، وبسبب أعمال الشغب المستمرة تم إغلاق بعض المقاهي[٦٠٢] التي يتردد عليها الرعايا الأجانب نتيجة للنتائج الكارثية للمشاركين في الشجارات وأعمال الشغب، كما تم ترحيل بعض الرعايا الأجانب من المدينة بحسب المصادر ومنهم لوسه لودفيك مساعد النجار تاردينتش ، فرانيو غودياني ، بودل كاهليستات ، يوهان لين وسائق العربات يوهان باؤونغرترو، كارل بنشوفيك ، كارل ماير ، السراج فرد بوهفل ، والمدرس فرانكوفيتش فرانيو[٦٠٣] ».

مما سبق يتضح لنا أن أقصى العقوبات المطبقة في أعمال الشغب هو الترحيل من المدينة للرعايا الأجانب بخلاف نوعية العقوبات المطبقة تجاه الرعايا المحليين ، وإضافة إلى إعلام العقوبات المقررة لأعمال الشغب تشير المصادر إلى أن النساء من الرعايا الأجانب كن يحضرن إلى المقاهي، وكما ورد فقد كانت زوجة وبنت يوسيب الذي لم يشارك في أعمال الشغب يترددن على المقاهي، وباعتبار أن المقاهي الأوروبية هي بؤرة الفساد الأخلاقي كان ذلك السبب كافياً لعدم تردد النساء المحليات على اختلاف أديانهن ، بعض المقاهي كانت بمثابة الأمكنة التي يتسامر فيها الناس حيث لعب الرواد فيها الشطرنج ، الطاولة (النرد) والورق ، رغم كون لعب الورق محظوراً في الدولة العثمانية بدليل الإنذارات المستمرة التي لم تلق سماعاً من الناس[٦٠٤] ، ونشرت جريدة بوسانسكي فيسنيك في شهر سبتمبر ١٨٦٦م أنه تم افتتاح أول مقهى فيه بلياردو أمام تيشلي خان بجانب الصيدلية وتذكر الجريدة أن القهوجي جاء من النمسا وأنه إذا استمر قدوم الناس إليه كما في الأيام الأولى فإن عمله سيكون جيداً، وتخلص الجريدة إلى أن الخدمة فيه متميزة مثل الشراب ذو الأنواع المختلفة[٦٠٥]، وسريعاً ما أسيء استخدام المقهى مع البلياردو فكانت أيضاً الألعاب الترفيهية التي تأخذ الأموال من الناس على سبيل السرقة والاحتيال، فقد بدأت المقامرة في مقاهي البلياردو والبيرة ثم تحولت المقامرة بالأموال فهناك من المواطنين من خسر أمواله كلها في ليلة واحدة بحيث لم يبق لهم شيئ في الحياة ، وكان المبلغ المقامر به في كل ليلة حوالي ألف وخمسمائة غروش[٦٠٦] ، وأخبر المبعوث الإيطالي حكومته بهذه المشكلة ،

---

٦٠١ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٢٦٤/٣٦

٦٠٢ تم إغلاق المقهى لريستو بايالوفيتش لأجل أعمال الشغب أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٦٤٢/٩٦

٦٠٣ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٦٢١/٧٦

٦٠٤ بناءاً على إدعاء أن أعمال الشغب تحدث في مقهى إيفات تاديتش وماتي بيكيتش وأنهم يلعبون لعبة الورق ويقامرون الأمر الذي هو محرم في تركيا أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٦٠٢/٦٦

٦٠٥ بوسانسكي فيبسنيك ٦٦٨١/٩/٧١م رقم ٤٢ ص ٧٨١

٦٠٦ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٩٤ ، ٠٧٨١/٢١/٥ص ١

ويظهر ذلك من تقريره الذي يورد فيه : «أن الحكومة المحلية قررت إغلاق جميع المقاهي التي يلعب الناس فيها بالورق والبلياردو ونحوها حيث يضيع الناس أوقاتهم وأموالهم» ، ويخبر في التقرير أيضاً أن الألعاب المذكورة أقيمت أيضاً في المقاهي ودور المقامرة والمستودعات والشقق والمحلات التجارية ما يدل على عظم المشكلة، ونشير هنا إلى أنه لم يقم أحد بدراسة هذا الجانب في علم وقائع التاريخ والتركيز عليه، ويعتبر دوراندو أن الناس يرضون هذا القرار على اختلاف أديانهم[٦٠٧] وتعتذر الحكومة منهم بسبب الإيذاء الناتج عن هذه الألعاب .

كما تم إغلاق بعض المقاهي مثل مقهى ستوان نينادوفيتش كعمل أخلاقي لأنه يذكر في شكواه (أغلقت الحكومة التركية مقهاي في حارة حيسيتا بسبب الفساد الأخلاقي)[٦٠٨].

وتختلف المقاهي الأوروبية عن المقاهي التقليدية حيث تشرب في المقاهي التقليدية القهوة فقط ويسميها المؤرخ روسكييفيتش (محلية) ويذكر أن الشراب الوحيد هو القهوة حتى يشرب بعضهم يومياً ما بين ١٥ ـ ٢٠ فنجاناً ، ويتمتع البوسني صيفاً خاصة في القهوة وتدخين السيجارة والنظر إلى الطبيعة ، وتقدم القهوة لكل ضيف على حدة في الأواني النحاسية، والفناجين لها ممسك نحاسي وكل إناء يحمل ما بين إثنين إلى ثلاثة فناجين وتكلفتها ما بين خمسة إلى عشرة بارا (العملة المستعملة أقل من غروش واحد)[٦٠٩] ، ومن المثير للاهتمام أن سعر القهوة في بلغراد مضاعف أي عشرين بارا[٦١٠] وهذا يدل على عادة شرب القهوة في سراييفو .

المقهى البوسني تشرب فيه القهوة وتدخن السجائر ويستمع الناس إلى العزف التقليدي والأهم من ذلك كله أن الناس يتحدثون فيما بينهم ، ومن أشهر المقاهي التي يزورها طوبال عثمان باشا كل يوم جمعة هي مقهى المدينة ويجتمع هناك نخبة السادة من سراييفو وأصحاب المحلات التجارية والحرفيين ويقضون أوقاتهم في الحديث[٦١١] ، ومن المقاهي المشهورة أيضاً مقهى حاج شعبان في بندباشا الذي يقدم القهوة اليمنية الأولى التي تطحن بالدق لا بالمطحنة إلى جانب الحلوى البوسنية مثل غورابيا ، جلبشكر ، الحلقوم ، والشراب الحلو ، كما تميز هذا المقهى بأن الأخبار تصله قبل أي إنسان في المدينة باعتباره يقع على المدخل الرئيسي من جهة الشرق حيث يستريح فيه المسافرون القادمون من داخل الدولة العثمانية وقد كان الناس في بعض الأحيان يأتونه مبكراً لاستقبال الضيوف الآتين من الشرق كما حصل مع مستقبلي كبير

٦٠٧ ح. كريشيفلياكوفيتش ، ب .متروفيتش تقارير المبعوث الإيطالي رسالة رقم ٧٥٢

٦٠٨ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٤٦٣/٥٦

٦٠٩ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٧٦١

٦١٠ العيش في بلغراد ١٥٨١ ـ ٧٦٨١م

٦١١ سعيد م. تلاليتش : ذكريات أهالي سراييفو في عهد عثمان باشا ص ٧٢٢

القساوسة إغنياتيه حيث كان عدد كبير من الناس مجتمعين في المقهى[٦١٢].

تعزف في بعض المقاهي الآلات الموسيقية مثل ساز وتغنى الأغنيات الشعبية عن الحب والولع (سيفدالينكا) [٦١٣] ، ومن المثير للاهتمام أن أهمية المقهى جاء من كونها مصدراً للمعلومات للسلطات المحلية، ففي إحدى المناسبات أقام في المدينة شخص يدعى ليوبومير أبراد بغدانوفيتش[٦١٤] دون أن يعلن قدومه للسلطات فسألت السلطة عنه أولًا في المقاهي المحلية ، وسرعان ما كشفت السلطات أن ليوبومير يأتي إلى مقهى سباسويا لأدبوشين فوجدوه هناك[٦١٥] ، لم تغير المقاهي التقليدية ولا زوارها من عاداتهم بعد الاحتلال النمساوي المجري للبوسنة حيث كتب يوهان أسبوت أن مقاهي باش تشارشيا (السوق الرئيسي) هي أماكن مداولة الأمور السياسية رغم شرح الوضع السياسي وفقاً لرأي أسبوت مناقض للواقع تماماً إلا أن جميع الحاضرين يصغون إلى المتكلم[٦١٦].

كانت المقاهي مركز الحياة الاجتماعية ومجمع الأخبار الواردة عن المدينة وخارجها ومصدر المعلومات باختصار بديل للصحف والمسرح وبقية المجامع المعاصرة.

إضافة إلى هذا التقسيم ينبغي أن نذكر الاحتفالات الدينية باعتبارها لها مواقيتها منذ القرون الطويلة وترتبط بالعبادات والطقوس التي لها أوقاتها المحددة مثل أيام العيد والقداس ونحوها دون إمكانية التغيير في مضمونها ولن نتوقف عندها طويلاً غير أننا نذكر أن أهالي سراييفو صبغتهم الأساسية هو التدين فأعيادهم ميزتها اتباع تعاليم الدين وفقاً لما هو مقرر في كل دين من الأديان الموجودة في سراييفو .

---

٦١٢ هدم مقهى حاج شعبان سنة ٢٤٩١م انظر سراييفسكي نوفي ليست ٤١ يوليو ٢٤٦١م السنة ٢ رقم ٠٦٣ ص ٦

٦١٣ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٨/٧٢ رقم ١٢ ص ٢٦١

٦١٤ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر

٦١٥ استعمل الآلة الموسيقية ساز في مناسبات مختلفةوأضحت جزءاً أساسياً لتقاليد أهالي سراييفو ، من المثير للاهتمام أن في الشارع الذي سكنه حسن كافي ثمة مقهى حيث كانوا يعزفون ويغنون ، الزاهد الصارم لم يتحمل لا العزف ولا الغناء حتى لا تؤذي أعصابه فذهب بطريق أطول حول الحارة حتى لا يسمع الموسيقى ، انظر روسمير محموتشيهايتش المقالة عن الموسيقى من سنة ٧٦٧١م من مخطوطات مكتبة غازي خسرو بيك ص٢٤١

٦١٦ يوهان أسبوت المرجع السابق



٨,١ مشهد لبيع الأضاحي خلال عيد الأضحى



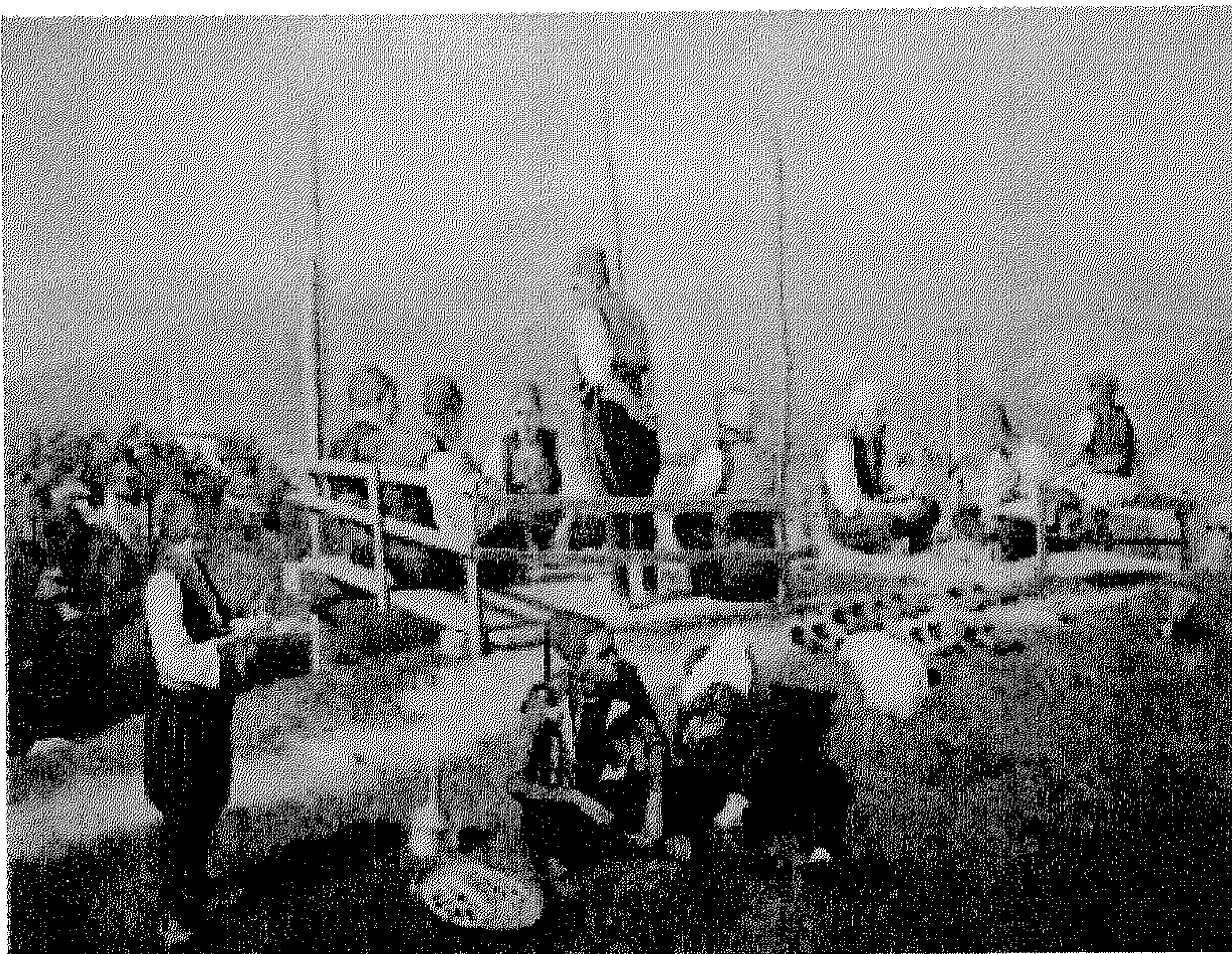
٨,٢ حاملي الأضاحي بعد شرائها من السوق لإيصالها للمشتري



٨,٣ تفيريتشي : الإعداد لتجمعات السمر والسهر



٨,٤ مقر مقهى حاج شعبان



٨,٥ صورة لمقهى في تلال سراييفو يطل على المدينة



٨,٦ قهوة مع الرفاق والأصحاب في جلسة خاصة

IX

المشاكل اليومية

في هذا الباب سنبحث بعض المشاكل التي تعرض لها أهالي سراييفو والتي كانت تعتبر جزء من حياتهم اليومية ، في تلك الفترة عجت الكتب المؤلفة آنذاك والتي بإمكاننا قراءتها حتى يومنا هذا بالمشاكل السياسية فتحدث بعضها عن الصحوة الوطنية وعن الاستبداد الذي عاشه الناس ، وقد قدمت تلك المشاكل على أنها مشاكل أساسية للناس في ذلك الزمان ، وبعد الاطلاع على الأرشيف والبحث في المراجع توصلنا إلى نتائج مختلفة تماماً خاصة فيما يتعلق بأهالي سراييفو دون أهالي القرى ، لذلك جدير بنا أن نطرح سؤالاً عن ما هي مشاكل الفرد أو الأسرة في الحياة اليومية وقتها في سراييفو ؟ فالمشاكل الأساسية هي : مشاكل المال والميراث والديون ، الخصومات ، الإساءة للشرف ، عدم الالتزام بقواعد الشارع والنظام العام ، القتل والغش والسرقة إلخ ... هذا القول يعتمد على الاطلاع في إجراءات المحاكم من الأرشيف والمحكمة وقتها والتي تشهد أن الخصومات هي مشكلة أساسية ، وقد يبدو أن المشاكل مرتبطة بالرعايا الأجانب في الغالب بيد أننا لم نفرق بين أحد ممن يشارك في الحياة اليومية من سراييفو فكلهم قصداً أو بدون قصد جزء من الحياة فيها ، كما أن هناك المشاكل الناتجة عن الكوارث الطبيعية مثل الفياضانات والحرائق والزلازل خصصنا لها باباً مستقلاً بحسب طريقة ظهورها .

المشاكل المالية

يمكننا تقسيم المشاكل المالية إلى قسمين أولاً المخالفات في دفع الضرائب بعد الوفاة في الأسرة وثانياً الخلافات بين أفراد الأسرة حول موضوع تقسيم التركة ، وكما هو معلوم ومسلم به أن الموت لا مفر منه وفي المجتمع المتدين مثل مجتمع سراييفو هو حدث طبيعي ، تواجه الأسرة بعد فقدان أحد أفرادها المشكلة الأولى حول ضريبة الدفن ثم تسديد الضرائب للتركة أو الديون التي خلفها المرحوم[٦١٧] كما أن سوء التصرف من قبل رجال الدين الذين من واجبهم إعلام السلطات بالوفاة كانت مشكلة تواجه الأسرة أيضاً، كان رجال الدين أنفسهم يقررون التركة ويقدرونها

٦١٧ حول موضوع الدين انظر الكتاب ص ٩٧١ـ ٣٨١

وبناء على ذلك تدفع الأسرة الضريبة، وباعتبار أنه لم يكن هناك قانون منظم لهذه الناحية تكون التقديرات وفقاً لرضا رجال الدين ، وفي مثل هذه الحالات يعتمد ذلك التقدير على الواجب الأخلاقي المناط برجال الدين الذين هم أدرى الناس بالوضع المالي لأفراد جماعتهم ولكن الواضح أن الأمر كان خلاف ذلك بدليل سوء التصرف من قبلهم طيلة القرن التاسع عشر والذي يظهر في المصادر من خلال الشكوى على حمامات سراييفو من سنة ١٨٤٢م والتي تم موجيهها إلى ممثلية اسطنبول حتى يعلم الديوان السلطاني بها ، وجاء في الجواب في السنة نفسها توجيه من الديوان إلى نواب القضاء في ولاية البوسنة وتضمن هذا التوجيه الطريقة الواجب اتباعها في حالات الدفن ونورد نصها كاملاً : «ياكوف حاممباشا (رئيس الحمامات) اليهوديين في اسطنبول أخبر أن في ولاية البوسنة ثمة عادة مستحدثة بعدم جواز دفن اليهود المتوفين والمتوفيات قبل تسديد رسم التقسيم للتركة[٦١٨] فلا يدفن الميت عدة أيام ، وطلب أن يصدر الديوان أمره الموقر (أمري شريف) ويمنع حدوث ذلك ، وبهذه المناسبة أخذ الحكم القضائي (أحكاياما)[٦١٩] ذلك بعين الاعتبار ، فإذا مات أحد الرعايا في الدولة وليس بين ورثته القاصرين ذكور أو إناث ولا يطلب من الوارث تقسيم التركة فلا يجوز تقسيم التركة بالإجبار، وفي حالة وجود صغار سن (قاصرين) أو مفقودين ذكوراً أم إناثاً بين الورثة فينبغي القيام بالتقسيم بين الورثة بعد تسديد ديون المتوفي الثابتة في ذمته من أموال التركة ، ومن الأموال المتبقية يؤخذ من كل ألف خمسة عشر عكشاً تكلفة رسوم التقسيم ، وخمسة عكشاً رسم القاسم[٦٢٠] وإثنين ونصف عكشاً لتكلفة كياتبية[٦٢١] والمبلغ نفسه رسم إحضارية[٦٢٢] وخدمية[٦٢٣] والمبلغ الإجمالي خمسة وعشرون عكشاً يستثنى من هذه الرسوم المبالغ اللازمة للإنفاق على الصغار والأطفال ، غير أن الشخص القائم بكتابة التفاصيل حول الوصية يأخذ على أساس قلميه[٦٢٤] غروشاً واحداً على الحساب وعشرين بارا ولا يسمح له بأن يأخذ غيرها ، وفي ولاية روملي جرت العادة أن يأخذ القضاة رسوماً لإصدار الترخيص بالدفن ، وأواسط شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٢هـ وجه الديوان أمره الموقر ليحظر ذلك. هذا ما طبق في قائمة الأحكام القضائية فلا بد من تطبيقه في ولاية البوسنة، ونوجه الأمر خاصة بالحفاظ على أموال القاصرين من الهلاك ، ونأمر الوزير المذكور أن ينفذ الأوامر المذكورة ولا يظلم أحد حتى اليهود ولا غيرهم في دولتنا[٦٢٥]».

---

٦١٨ ضريبة التقسيم

٦١٩ الحكم القضائي (التركي)

٦٢٠ التقسيم

٦٢١ دار الكتابة

٦٢٢ التحضير

٦٢٣ الخدمة ـ الكتابة

٦٢٤ إ س ، ز آ ن أ ب إ هـ ١١/٦٨ شكاية دفتر ٩ ، ٢٦٨١م

٦٢٥ إ س ، ز آ ن أ ب إ هـ ١١/٦٨ شكاية دفتر ٩ ، ٢٦٨١م

وقد عانى أتباع بقية الأديان من المشكلة نفسها فتم تكليف كوجوباشا لتقدير أموال الأرثوذوكس ومن واجباته أن يقدم للسلطات المختصة وصفاً دقيقاً بالأموال والممتلكات للمتوفي حتى تقرر السلطات كم يجب أن تدفع الأسرة من رسوم النقل للملكية من قبل الورثة ، ورغم كون أسرة حاج ريستيتش تعتبر من ألأغنياء إلا أن حاج إلياء شكى حتى قبل وفاته من أن المبالغ المطلوبة من بيت المال لتسديد الرسوم بعد وفاة حاج ريستو كبيرة جداً ويتهم كوجوباشا سارانداً بأنه المسئول عن ذلك[٦٢٦].

لم يتم تطبيق الأمر الصادر سنة ١٨٤٢م المتعلق بطريقة التقدير ودليل استمرار وجود تلك المشكلة هي الشكوى الجماعية التي قدمها أهالي سراييفوسنة ١٨٥٧م ، وكانت الشكوى موجهة للوزير محمد راشد باشا حامل وسام المجدية من الطراز الأول وهو والي البوسنة وإلى ملا سراييفو (كبيرالعلماء) ومفتي المدينة وأعضاء المجلس الإقليمي ، وورد في الشكوى أن أهالي سراييفو ـ المنطقة القضائية ـ المسلمون وغير المسلمين توجهوا بالطلب إلى الديوان السلطاني يقولون فيه أن النائب في المنطقة يجبر الناس على إحصاء الممتلكات وتقسيمها بعد الذين يموتون ولم يخلفوا صغاراً أو مطالب بالتقسيم ليأخذ بذلك رسوماً كبيرة للتقسيم ولبقية الإجراءات القضائية ورسم المحكمة والإثبات والمراسلة ونحوها ، بحيث يقبض على أساس رسم التقسيم مبلغاً كبيراً أكبر من المطلوب للمحكمة ، وطلبوا أن يصدر الأمر الموقر (أمري شريف) من الديوان ويمنع هذه التصرفات وفقاً للقانون فيلزم الجميع تطبيقه ويتم بالأمر تحذيرهم من مخالفته[٦٢٧].

وبالفعل حصلت مشاكل هزت أهالي سراييفو تتعلق بتقسيم تركة أحد أفراد الأسرة بعد وفاته ، فدوماً كان التقسيم في أعين الورثة ظالماً واعتبروه سبباً وجيهاً للاتهامات المتبادلة وحدثت خصومات كثيرة حول تقسيم الأموال نذكر بعضها الأكثر وقوعاً : مثل التفريق بين الذكور والإناث ، واعتبار التقسيم تطبق فيه أحكام الشريعة الإسلامية يتوقف تقدير الجزء المخصص للوارث على جنسه، يدعي الرجال حقاً أعظم من النساء في التركة ، لذلك تجتمع النساء في كثير من الأحيان ويشكين حالهن ، ونظراً لأن الفترة التي ندرسها لا توجد لها وثائق أو سجلات لمثل هذه المشكلات نلفت باختصار إلى المشاكل المالية الواردة في سجل ملا مصطفى مستفيتسا من سنة ١٨٤٨م ، حيث توصلنا خلال تحليل السجل أن المشاكل تظهر أثناء تقسيم الممتلكات ، ومن المشاكل كذلك

٦٢٦ إلى أي مدى حصلت هذه الإساءات ندرك من كتابة سكاريتش يقول فيها : أطعمة الزمان التركي وكانت كبيرة لا تطبخ في البيت بل في المخابز ليحضرها الخباز ، بناء على ذلك يعرف كم مرة يأتون بالفطائر إلى المخبز ويعتقد أنها من أطعمة الأغنياء فيخفون الامر من كوجو باشا لأنه يؤثر على مبلغ الضريبة وسائر الرسوم ، فلادسلاف سكاريتش : نمو أسرة تجارية من سراييفو هامش رقم ٥ ص ٢٥

٦٢٧ أ إ س ، ز آ ن أ ب إ هـ ١١/٦٨ شكاية دفتر ٩ ٢٦٨١ ـ ٨٧٨١م رقم ٨٥/١، ٤٧٢١/٧٥٨١

البطئ في إصدار القرارات من قبل المحكمة ليس لعدم سرعة المحاكم بل في الواقع لعدم إمكانية تطبيق القرار رغم وجود القرار القضائي ، ونذكر مثالاً لحالة أسرة غلوجو أحمد منيب أفندي غلوجو الذي ينتمي إلى الطبقة القضائية وهو من أثرياء البلد ، والذي عظمت ثروته بالزواج من النساء الثريات ، فقد تزوج مرتين وبفتاتين من أغنى عائلات سراييفو ، وأول زواجه كان بفاطمة بنت محمد مميتش ومريم بنت مصطفى وزواجه الثاني بفاطمة أشيدة بنت أحد أعيان وأثرياء سراييفو أويس أغا إمارتلي إمارتليتش وكان جابياً لإيرادات أوقاف غازي خسرو بيك في سراييفو وتيشان[٦٢٨] ، تولى تلك المهمة بعده صهره أحمد منيب غلوجو ، ورزق من زوجته الأولى ببنت (مريم) ومن الثانية ببنتين (أم هاني وخديجة) ، وخلفه بعد وفاته ثلاث بنات وزوجة غير أن أبناء أعمامه وهم : عبدالله بيك وحسني بيك ومحمد أغا وعبدالله أفندي ومصطفى عاكف أغا وملا حسن هاشم أرادوا الحصول على تركته باعتبارهم ورثته، ووصل الأمر إلى وضع اضطرت فيه زوجته فاطمة أن تحضر الشهود لتثبت أن ما تركه من الدنانير هي أصلاً لها وكانت قد أقرضتها له عندما كان أسيراً في ترابنزوت، وبعد تسديد الرسوم بقي من التركة ٨٩٤٣٦ غروش و ٣٦ بارا وزعت بالطريقة التالية : زوجته فاطمة أشيدة ١١٧٢٩ غروش و٢٦ بارا وحصلت كل واحدة من بناته على ١٩٨٧٤ غروش و٣٤ بارا وأبناء أعمامه الست كل واحد منهم ٣٠١٣ و٣١ بارا[٦٢٩].

وفي حال عدم وجود ورثة للزوج سوى زوجته فإنها ترث جميع ممتلكاته وقد أشارت المصادر إلى تلك الحالة المسجلة عن كاملة خانم التي كانت محظوظة لأنها حصلت على جميع ممتلكات زوجها عثمان مظهر باشا لأنه لم يكن له ورثة سواها[٦٣٠] .

كانت مشكلة تقسيم الأموال هي مشكلة الأغنياء والفقراء على حد سواء، وتورد دفاتر الوقائع المسجلة أن الفقراء كانوا يتعرضون لخسارة بيوتهم بعد التقسيم الإجباري بين الورثة[٦٣١]، كما كانت الشكوى أحياناً تقابل بالرفض غير المبرر كما في حالة امرأتين اعتبرتا أنهما قد خدعتا في التقسيم بعد وفاة والدهما والخداع جاء من قبل الأخ ، فتوجهتا إلى ملا سراييفو بحثاً عن الحل ، ورفضت شكواهما سريعاً دون أي تفسير[٦٣٢].

---

٦٢٨ رشيد حيداريفيتش : تركة أحمد منيب أفندي غلوجو ص ٥٩١

٦٢٩ المرجع السابق ص ٤٢٢ ـ ٣٢٢

٦٣٠ توفي عثمان مظهر باشا في ٦٢/٧/٦٧١٠م صالح صدقي حاج حسينوفيتش المؤقت المرجع السابق ٤٩٠١

٦٣١ بعد تقسيم تركة وتسديد ديون أنتون بويانوفيتش بقيت أسرته دون أي أموال لحياتهم لذلك توجهوا بالطلب إلى البعثة النمساوية هل يمكن لبلدية مسقط رأسه ديتشيا أن تتولاهم وترعاهم ، أ رشيف البوسنةوالهرسك آ أ غ ك ر ٢٧٢١/٢٦

٦٣٢ إ آ س آ مجموعة الوثائق التركية لحمدي كريشيفيلياكوفيتش صندوق رقم ١ ،

وإذا لم تتفق الأسرة حول تقسيم الممتلكات فعادة ما تتولى المحكمة قضيتهم عن طريق بيع الممتلكات بالمزايدة العلنية حيث يمشي المعلن (الدلال) في شوارع المدينة حاملاً الشيئ المعروض للبيع ويصيح بسعره ، وبعد أن يتم البيع يحصل على خمسة بالمئة من المبلغ المحصل كراتب له[٦٣٣]، وحتى تكتمل الصورة يجب أن نذكر أن الورثة القاصرين تحفظ أموالهم في حالة فقدان الوالدين فلا يسمح بتقسيمها إلا بعد بلوغهم ليكون ذلك حماية قانونية لأموال القاصرين ، وفي حالة وفاة الوالدين يتولى رعايتهم أقرب الناس نسباً إليهم باعتبارهم أولياء أمورهم كما حصل مع أولاد ثريا زوجة حسين أغا بعد وفاته سنة ١٨٦٣م حيث عين أخاه عبدالله منصور أفندي ولياً عليهم، وأظهر بيان المصاريف أن المطلوب يومياً لنفقة الأولاد مائة بارا وبقية الأمور الضرورية[٦٣٤] ،

وتلافياً لحدوث مثل هذا الأمر قرر عدد كبير من الناس أن يقسموا أموالهم عن طريق الوصية ، وكتابة الوصية هي الطريقة الأخيرة للفرد لكي يقرر موقفه من أفراد أسرته وأقاربه وحتى معارفه[٦٣٥] ، وثيقة الوصية ووثيقة الوقف (وصيتناما ووقفناما) هما وثيقتان يتركهما الإنسان تعبيراً عن رغبته في الطريقة التي يراها في تقسيم ممتلكاته وفقاً لدوافعه ، وصيتناما يمليها الشخص بحضور الشهود ويقرر مصير أمواله ، وحتى تكون الوصية مقبولة لا بد من إملائها من الشخص العاقل وأمام الشهود ووفقاً للقانون ، وباعتبار أن الوصايا تختلف وفقاً لفترات ظهورها نعرج على وصية لهاشم باترونيا من سنة ١٨٥٠م لكونها تتضمن عناصر الوصية الكلاسيكية وموقف المتوفى من أسرته وأفاربه وجمعيته الدينية وحتى والديه اللذين توفيا قبله وهذا نصها : «في سراييفو ١٨٥٠/١/١٥م ليعلم الجميع بموجب هذه الرسالة أني وبكامل وعيي أوصي هذه الوصية أمام ورثتي والشهود الذين وقعوا أدنى الوثيقة وأطلب منهم جميعاً أن ينفذوا أمري بعد وفاتي ويسددوا تكلفة الوصية أولاً ثم يدفع إلى الورثة ما تركته لهم ، أولاً آمر أن يدفع تكلفة التجهيز للميت لسيدنا القس ميتروبوليست لأن يجهزني أنا هاشم بترونيا وفقاً للقانون الديني ويعمل القداس لي ويذكر فيه اسمي واسم والدتي ثيودورا ووالدي والتوديع الكنسي الكامل ... ١٥٠ غروش للأدعية لي ، وبمناسبة مضي أسبوع على قبري أن يدفع للسيد المذكور ١٠٠ غروش ، وللأدعية لي بمناسبة مرور أربعين يوماً ١٠٠ غروش، و١٠٠ غروش لمضي نصف سنة ولمضي سنة كاملة ١٥٠ غروش ليكون المجموع٦٠٠ غروش ، وأترك لكنيستنا المطهرة ولخمسة

ب ١١ ـ ٧١ رقم ٢٤ ـ ٢٦٨١م

٦٣٣ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٠٦١

٦٣٤ إ آ س آ مجموعةالوثائق التركية لحمدي كريشيفيلياكوفيتش صندوق رقم ١ ، ب ١١ ـ ٧١ رقم ٢٤ ـ ٢٦٨١م

٦٣٥ قارن الحياة الخاصة في البلد الصربية مطلع القرن الحديث

مناسبات للقداس ٤٤٥٠ غروش والتبرع باسمي ٥٥٠ غروش ، وأترك للفقراء ولمدة أربعة أعوام كل عام بعيد ميلاد المسيح وإحيائه بعد صلبه ٥٥٠ غروش مرتين في السنة ليكون المجموع ٢٠٠٠ غروش ، وللمدرسة في سراييفو أترك ١٠٠٠ غروش ولكبير القساوسة في القدس وللقداس لوالدي بيتار وثيودورا ١٠٠٠ غروش ، وأترك للشاب ستيبان ريستيتش الذي بذل جهوداً كبيرة في خدمتي ٢٠٠٠ غروش ليكون المجموع ١١٥٥٠ غروش وبالحروف أحدعشر ألفاً وخمسمائة وخمسين غروشاً وهي في أمانة مانويلو يفتانوفيتش ، أرجو من ورثتي أن ينفذوا وصيتي كما وردت ثم ليطيب لهم كل ما يرثونه مني[٦٣٦] ،

ويتضح مما سبق أن هدف بيترونيا لم يكن تقسيم أمواله كلها في الوصية لأنه ذكر في النص الأخير عبارة ليطيب لورثته كل ما يرثونه ، إلا أن تقسيم التركة بناءاً على إرشادات الوصية كانت تقع كثيراً استرشاداً بالنسب الواردة فيها.

وفي وصية أخرى أوصت آمنة بنت أحمد فيها بثلث مالها لترميم جسر شهير في حارة وكيل خرجوفا وهي من حارة كولين حاج علي ، وصرف على ترميم الجسر ١٠٤٢٠ غروشاً و١٧ بارا وكانت آمنة قد قررت ذلك في وصيتها بأيام قبل وفاتها[٦٣٧].

كما كان هناك حالات إقصاء لأحد الورثة من الإرث حيث نشرت جريدة سراييفسكي سفيتنيك سنة ١٨٦٩م إعلاناً قصيراً على الصفحة الثانية يدل على أهمية الوصية في إقصاء أحد الورثة من الإرث ، حيث نشرت الصحيفة أن المبعوث النمساوي وبعد وفاته المفاجئة في سراييفو تمت قراءة وصيته علناً بحسب ما أوصى وفتح المجال ليعرف الناس كلهم من يرثه من أولاده إلا ابناً واحداً تم إمهاله عبر الإعلان لمدة عام لكي يقر أنه ابنه وإلا سيتم استثنائه ولا يرث[٦٣٨] ، وليس غريباً على الوصايا أنها تقصي أحد أولاد المورث وسبب النشر هو أن يعرف أكبر عدد ممكن من الناس من تم استثنائه وتعطى الفرصة للابن ليفصح عن موقفه، ولكن لا بد من تناول هذا الموضوع بشكل منطقي ودقيق، فمن ناحية أن النظام كان يهتم بهذا الأمر نتساءل كم كان عدد القراء للجرائد عموماً ؟ أو هل كان ولد المبعوث النمساوي يتابع الجرائد البوسنية ؟ بالطبع الجواب لا فلذلك يمكننا أن نستنتج أن ضوابط القانون في الحياة العملية احترمت احتراماً شكلياً فقط [٦٣٩].

---

٦٣٦ إ آ س آ ، ز دالمراسلات التجارية لمانويلو نوفيتش ٧٣٨١ ـ ٨٧٨١م

٦٣٧ آ إ س ، ز آ ن أ ب إ هـسجل ملا محمد مسفيتسا رقم ٧٣٢ ل ٦ ب

٦٣٨ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٧٤، ٠٢/١١/٩٦٨١م ص٢

٦٣٩ بعد وفاة أنتي بيرتسيتش نشر الخبر في الجرائد وندرك منه أنه ترك وصية استثنى من وارثيه ابنه فينسنيا ، ترك أزاله لأولاده أنتون و بيرو وييلكا وفتح المجال لابنه

وخلافاً لتقسيم الأموال بموجب الوصية كانت وثيقة الوقف (وقفناما) لوقف الأموال لتكون صدقة جارية ، كما أن هناك نوع من أنواع وثائق الوقف هو وقف على الورثة من الأولاد وهدفه التبرع بعد وفاة الورثة الشرعيين، بحيث يمكنهم أن يستفيدوا من الممتلكات ما دام أحدهم على قيد الحياة وبعد وفاتهم جميعاً تكون صدقة جارية أي وقف[٦٤٠]، وقد كان هناك ثمة سوء تصرف جرى وقتها تمثل في شراء الممتلكات من قبل إنسان محتضر اي مشرف على الموت ، إلا أن موقف القانون من هذه التصرفات كان صارماً حيث نص على : «إذا باع من كان على فراش الموت شيئاً مما يعود بعد وفاته إلى ورثته فالبيع على إذن الورثة فإن أذنوا كان البيع نافذاً وإلا يبطل[٦٤١] »، كذلك تم تنظيم آلية لذلك تفهم من النص التالي: «إذا باع من على فراش الموت شيئاً وليس المشتري من ورثته يكون العقد صحيحاً إذا قبض للشيئ ثمنه الحقيقي ، وإذا كان تنقيص الثمن أكبر من ثلث أموال المورث يجبر المشتري على تعويض الفارق ليبلغ قيمة ثلث التركة وإن رفض يحق لورثة البائع إبطال البيع[٦٤٢] »، ولا يمكننا أن ندعي أن مثل تلك الحالات وجدت في العقد السابع ولكن نجد أمثلة لذلك في دفاتر الشكاوى[٦٤٣] ، ونشير إلى المشاكل التي كان يواجهها الورثة في حالة وفاة المورث خارج سراييفو ، فإذا حصل ذلك على أراضي الدولة العثمانية توصل أمواله التي كانت معه إلى سراييفو[٦٤٤] ، ولكن في حالات الوفاة في المملكة النمساوية المجرية توجه الحكومة البوسنية طلباً للمبعوث الدبلوماسي للمملكة أن يرسلوا التركة إلى سراييفو حيث ورثته»[٦٤٥].

فينسنيا أن يخبر عن نفسه عن طريق وكيله بيرو غلزيفيتش خلال سنة سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٩٤ ، ٢١/٤/١٨٦٩م ص٢

٦٤٠ قرر ان يوقف ماله بهذه الطريقة مصطفى بيك جينتيتش سنة ١٨٧٢م ، انظر حمدي كريشيفيلياكوفيتش المختارات ١ ص ٣٧٦

٦٤١ القانون المدني العثماني بند ٣٩٣

٦٤٢ المرجع السابق بند ٣٩٤

٦٤٣ منها المثال التالي : محمود بن إسماعيل طلب سابقاً أن يعطى حقه في تركة أبيه على أساس فتوى شيخ الإسلام وأن يصدر أمر الديوان السلطاني بذلك ، اتهم زوجة أبيه نوري أنها حرمته من إرث أبيه لأن إسماعيل باعه منها في شيخوخته ودون إذن الولي ، حصل على فتوى شيخ الإسلام حول الموضوع وقضى قاضي العسكر الرومليا سنة ١٢٥٣هـ بأن البيع المذكور باطل قانونياً فصدر الأمر الموقر (من الديوان السلطاني) في السنة نفسها،أ إ س ، ز آ ن أ ب إ هـ ١١/٨٦ شكاية دفتر ٩ ١٨٢٦ ـ ١٨٧٨م رقم ٣/٣٢ ، ١٨٣٨/١٢٥٤

٦٤٤ لقي حتفه كاروجي زاده محمد أغا التاجر من سراييفو في طريقه إلى إسطنبول في مكان سلامني ، طلبت الحكومة البوسنية تسليم ممتلكاته من هناك أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ر ك ٠٦/٣٠٨

٦٤٥ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ر ك ٢٦/٥١٨

عاقب القانون على الأفعال التي تم تعريفها قانونياً بالإجرامية ووفقاً لطبيعتها، فهي جرائم او جنح أو مخالفات[٦٤٦] ، ويقوم القاضي بممارسة الأعمال القضائية في المدينة، وتقوم بتعيينه الحكومة المركزية ، ويتمتع القاضي بالاستقلالية عند إصدار أحكامه واتخاذ قراراته في تطبيق الشريعة والقانون[٦٤٧].

وفيما يخص وقوع جريمة القتل فإن وقوعها في سراييفو كان نادراً جداً ، إلا أن المصادر تذكر أن من أفظع الجرائم التي وقعت في سراييفو في القرن التاسع عشر واعتبرت مأساة لا مثيل لها[٦٤٨] كما يكتب المؤقت هو ما حصل في حارة خوجة كمال الدين حيث كانت تعيش مريم أرملة مصطفى علمدار موريانكوفيتش مع أبنائها الأربعة وبنت واحدة ، أحد أبناءها ويدعى عبديا كان له صحبة مع الفسقة ، وقع في صحبتهم وشرب الخمر وأدمن عليه[٦٤٩] ، وفي إحدى المناسبات شرب مع أصدقائه حتى الثمالى ودخل بيته من النافذة وقام بارتكاب جريمة، حيث قتل والدته وإخوانه الذين تواجدوا في البيت ، ولحسن الحظ فإن أخته لم تكن في البيت (تزوجت قبل ذلك وعاشت مع زوجها فلم تقتل مع أسرتها) ، وباعتباره كان مشهوراً بالسكر والإدمان عليه وقعت التهمة عليه ، واعترف عبديا في المحكمة الشرعية حيث حضر أشراف القوم[٦٥٠]، وبعد الإعتراف العلني أرسلت المحكمة إعلاماً بذلك إلى إسطنبول ، ويذكر المؤقت أنه وفقاً للقواعد والإجراءات المتبعة فإن الإعلام يرسل إلى وزارة العدل للمداولة[٦٥١] ، وكانت النتيجة أن تم إعدام عبديا في سوق المدينة الرئيسي (باش تشارشيا) وحضر إعدامه الوزير الذي جاء من ترافنيك لحضور هذه المناسبة[٦٥٢].

---

٦٤٦ مجلة العقوبات السلطانية بند ٢

٦٤٧ بجانب النظام القضائيوالذي له صلاحيات واسعة والواجبات على مستوى الإدارة المدنية والعسكرية ومراقبة قرارات السلطات ، أشرف القاضي على أمور الأوقاف وطريقة عمل الناظرين عليها وأشرف على أمور القاصرين والأعمال الأخرى ، انظر بهية زلاتهار : الزمن الذهبي لسراييفو ص ٨٩ ، آ أليتشيتش تنظيم الولاية البوسنية ص ٥٣١ ـ ٣٤١

٦٤٨ صالح صدقي حاج حسينوفيتش المؤقت المرجع السابق ص ٢٩٩١

٦٤٩ المرجع السابق ص ٣٩٩

٦٥٠ المرجع السابق ص ٤٩٩

٦٥١ المرجع السابق

٦٥٢ يذكر سكاريتش أن الجريمة وقعت في شارع تشيمالوشا ، فلاديلاف سكاريتش المختارات ١ ص ٨١٢ ـ ٩١٢

فإذا ما تقرر من حكم القضاء مدى قساوة الجريمة، فإن أهمية البت لا تتضح إلا وفقاً للإجراءات والوثائق المرسلة من إسطنبول، وبحسب القانون الذي تم تطبيقه لأول مرة في هذه الحالة فإنه لم يكن كافياً ترقب إذن الوالي المحلي بفعل أي شئ ريثما ترد الموافقة على حكم الإعدام من إسطنبول على خلاف ما جرت العادة فيما سبق [٦٥٣] .

كانت العادة أن تنفذ عقوبات الإعدام عند جسر لاتينسكا أو في باش تشارشيا (السوق الرئيسي) وفي الأماكن المخصصة لذلك[٦٥٤] ، وكانت بعض الأسر تنتظر تنفيذ العقوبة على المجرم عدة سنوات ، وتذكر المصادر أن المدعو نورالدين قاتل زوج أم هاني الذي نفذ جريمته بالبندقية (وهي حالة القتل الوحيدة في سنة ١٨٦٠م) استوجبت عقوبته تدخل وتوجه أم هاني شخصياً إلى الوالي طوبال عثمان باشا حتى ينفذ حكم الإعدام بقتله بالبندقية ، وتذكر في مرافعتها أن القاتل نور الدين رغم الأمر الموقر (السلطاني) بإعدامه فإنه يتجول حراً في السوق ، ومن المثير للاهتمام أن الوالي كان له الحق في أن يأمر بحبس المتهم ويأمر كذلك بإعادة محاكمته حتى تثبت التهمة[٦٥٥]، كما أن هناك إمكانية العفو التي يتركها القاضي لأسرة المقتول وتحصل الأسرة في تلك الحاله على التعويض المالي المتفق عليه[٦٥٦]، وإذا كان أحد الطرفين في القضية من الرعايا الأجانب فيكون حاضراً إلى جانب القاضي في المحكمة المبعوثون الدبلوماسيون ممثلي رعاياهم ، و يمثل الرعايا الأجانب أمام المحكمة إذا تم تحليفهم أمام ممثل البعثة [٦٥٧] ، وفي حالات شهادة الزور في الخصومات يعاقب الشاهد بالسجن مدة ستة أشهر إلى سنة كاملة [٦٥٨].

---

٦٥٣ يحكم بإعدام المجرمين الذين وردتجرائمهم سابقاً ، المجرم الذي يحكم بإعدامه لن يعدم قبل قراءة الأمر وسببه ودليله علناً في ميدان الإعدام وقد وافق السلطان على ذلك ، المجرمون الذين أعمارهم أقل من ثمانية عشر عاماً أو أكثر من سبعين يعفون من هذا الإعدام ، مجلة العقوبات السلطانية بند ٦١ ، وبند ٩١

٦٥٤ مارتن غيو غيرجفيتش المرجع السابق ص ٨١

٦٥٥ أ إ س آ ، ز آ ن أ ب إ هـ شكاية دفتر ١٦/٢ ، ٨٧٢١/٠٦٨١

٦٥٦ في اليوم الخامس عشر تم استدعاء زوجة المتوفي يوزو حانجيا الذي قتله شخص يجعى نظام على باب الخان دون حق ،حضرت مع أولادها حيث قرأ الأمر السلطاني بإعدام نظام إلا أن عفت عنه زوجته إذ رأت من مصلحتها الحصول على التعويض المالي لتنفقه على أطفالها اليتامى وأنه أفضل لها من القصاص ، وافقت على التعويض بشرط أن يدفع لها ٠٠٥٧ غروش أي خمسة عشر كيساً كما قال المسئول العسكري وعلى ضمان الوزير نفسه ويدفع مباشرة ٠٠٠٥ وبقية المبلغ ٠٠٥٢ إلى حد أقصاه ستة أشهر ، حكم على القاتل رغم ذلك بلبس االقيود سبع سنوات وسلمته السلطة العسكرية إلى السلطة المدنية فرمي به بين المقيدين من القتلة ، خير الدين شورشيتش المساهمات في تاريخ البوسنة والهرسك في القرن ٩١ ، الجمعية العلمية ، البوسنة والهرسك كتاب رقم ٨ قسم العلوم التاريخية واللغات كتاب رقم ٤ سراييفو ٠٦٩١م ص ١٢١

٦٥٧ مجلة العقوبات السلطانية بند ٩٠٢

٦٥٨ أرشيف البوسنة والهرسك آأغ رك ٦٢٤/٤٦

وتذكر المصادر بسردها لبعض جرائم القتل معلومات عن حالتي قتل وقعتا في الفترة ما بين ١٨٦٠ ـ ١٨٦٦م ، قام بأحدهما توني مالين الذي تشاجر مع رب العمل نيكولا إلى درجة انه قام بضربه حتى الموت، وقام بجريمة القتل الثانية يوزو الخياط وكانت الضحية هي زوجته ، وعانى يوزو من الجنون المؤقت حيث قتل زوجته ضرباً بالفأس[٦٥٩].

ولمعرفة تفاصيل الجرائم بإمكاننا أن ندرك ذلك من خلال ما أوردته الجرائد الأولى التي ظهرت في تلك الفترة مثل جريدة البوسنة وجريدة بوسانسكي فيسنيك اللتان كانتا تقدمان على صفحاتها تقريراً سنوياً للجرائم المعاقب عليها بالقانون ، ففي سنة ١٨٦٦م نشرت جريدة بوسانسكي فيسنيك تفاصيل سبب إعدام شخص يدعى ماكسيم باكوليانين حيث أوردت ما يلي : «حكم عليه بسبب قتله لمسافر شاب ، حيث لاحظ أن لديه نقوداً وقد أراد المقتول أن يبيت عنده ، وبعد القتل قام المجرم بتقطيعه على أربعة قطع ودفن كل قطعة على حدة ، وسألت أسرة المقتول عنه طويلاً وتعقباً للآثار وصلوا إلى بيت القاتل الذي قدمته والدته بنفسها للعدالة[٦٦٠] .

كما أنه ومن خلال تقارير هركالوفيتش وجدنا أن جميع أهالي سراييفو يشاركون في الكشف عن القاتل وأخلاقياته وتصرفاته والتي من خلالها تم التمكن من معرفة حالة القتل الغريبة وإيجاد جثة أحد الرعايا الأتراك ويدعى كوستا (الذي قتل خنقاً) عند آنا بارتولوفيتش وهي من الرعايا النمساويين سنة ١٨٦٧م ، وتم سجن آنا وماريا كوكينوف بعد ذلك مباشرة[٦٦١]، ولم تجر تحقيقات أخرى حول القتل باعتبارهما عرفتا بالدعارة كما أكد السكان المحليون وأثبتت الجريمة عليهما.

وكان للأهالي دور أيضاً في حالة كشف من قتل عبد الله سكاكا وهو ابن حاج مصطفى من حارة اسكندر باشا فقد وجدوه مقتولاً في بيته، وتم توجيه الاتهام للجيران من نفس الحارة خاصة الحلاق إبراهيم والخضري اسماعيل اللذان قتلاه بغية الحصول على أمواله ، وقام القاضي عبد الكريم أفندي ومنظور صالح وكيل رئيس البلدية وعبد الله راشد أفندي والشرطي مصطفى بن عادل[٦٦٢] بإثبات قول الجيران في الحكم القضائي في هؤلاء المذكورين بقتل عبد الله سكاكا .

حالات القتل كانت نادرة في البوسنة عموماً ولا نستغرب من تفاجئ جودت باشا حين قال أنه خلال سنة ١٨٦٤م حصلت ثلاث حالات قتل فقط في البوسنة والهرسك[٦٦٣] .

---

٦٥٩ أرشيف البوسنة والهرسك آأغ رك ٩٧١/٤٦

٦٦٠ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٤/٧ رقم ١ ص٤

٦٦١ بوسانسكي فيسنيك ٠٧٢/٧٦

٦٦٢ أ إ س ، ز آ ن أ ب هـ سجل ملا مصطفىمحمد مستفيتسا رقم ٧٣٢ ل ٧٤ آ

٦٦٣ ح . كريشيفيلياكوفيتش المختارات ٤ ص ٧٥

ومن خلال بحثنا لاحظنا أيضاً أن تطبيق حكم الإعدام على الحوامل وفقاً للقانون كان يؤجل إلى حين الولادة[٦٦٤]، وفي حالات القتل الخطأ أو دون قصد أو قام به شخص دفاعاً عن حياته وعرضه يعفى عنه الحكم[٦٦٥]، ومن المثير للاهتمام أن العفو يشمل قاتل اللص (السارق) إذا كان اللص قد دخل البيت بالليل وعندما يحصل القتل نهاراً فالقاتل مسئول عن فعلته [٦٦٦].

أما السرقات فقد كانت نادرة وغالباً ما يسرق الخيل أو الفرس ، هذا الحيوان الذي اعتبر وسيلة التقل ويمتلكه كل بيت تقريباً في المدينة وكان بالإمكان أيضاً تأجيره فهو مصدر الرزق وضمان الاستقرار المالي لمتلكه ، وعاقب القانون على سرقة الفرس بالسجن من شهر إلى سنة وإعادة الفرس لصاحبه[٦٦٧] ، وأوردت جريدة البوسنة تفاصيل سرقة حصلت وقتها ونشرتها الجريدة بالشكل التالي : أصدرت الحكومة المركزية أمراً إلى جميع نوابها في المناطق أن يحبس علي أدوباشيتش الذي سرق فرساً في سراييفو من إيفان أحد أهالي المدينة وهرب إلى مدينة زفورنيك حين العثور عليه ، ومن ثم نقله وإحضاره إلى سراييفو للتحقيق[٦٦٨].

ودرءاً لمنع سرقة الحيوانات المنزلية نشرت السلطات إعلاماً بضرورة تسجيل هذه الحيوانات من قبل أصحابها عند مختار الحي ، واعتقدت السلطات أنها بذلك ستوقف سرقات الأغنام والثيران والحمير إلخ ..[٦٦٩].

وإلى جانب الحيوانات المنزلية التي كانت تسرق في القرى أكثر من المدن ثمة سرقات للأشياء الأخرى ، ماتو ماروشيتش الخبازمن الرعايا النمساويين من سراييفو يشكو معاونه بيرو شوبينا ويطلب المساعدة لإيجاده لأنه سرق منه ٣١١ بييستر (نوع من النقود)[٦٧٠].

كما لم تكن البعثات الدبلوماسية في مأمن عن حوادث السرقة حيث تذكر المصادر أن سرقة حصلت في مقر البعثة الفرنسية حيث سرقت الجواهر التي تخص زوجة المبعوث الفرنسي ، وتم

---

٦٦٤ مجلة العقوبات السلطانية بند ٨١

٦٦٥ مجلة العقوبات السلطانية بند ٦٨١

٦٦٦ إذا وضع السلم ليلاًليدخل بيت أحد أو غرفته أو متجره أو يكسر ليدخل المكان تحت القفل أو حفر أو تثقيب للجدار أو كسر الباب فيحدث القتل أو الجرح أو الضرب حتى يدفع المجرم عن نفسه يكون العمل معفواً عنه ، إذا حصل ذلك نهاراً أي القتل والجروح والضرب لن يعذر ويعاقب الفاعل وفقاً للقانون ، مجلة العقوبات السلطانية بند ٧٨١

٦٦٧ مجلة العقوبات السلطانية بند ٤٢٢

٦٦٨ البوسنة رقم ٠٢ ، ٨/٠١/٦٦٨١م ، ٩/٦٢ ص ١

٦٦٩ البوسنة رقم ٢٦ ، ٥/٨/٧٦٨١م ، ٧/٤٢ ص ١

٦٧٠ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ر ك ٠٦/١١٧

استجواب الآمر بوجوف موظف البعثة الإنجليزية وهو من الرعايا القاطنين في مملكة النمسا والمدعو حاج عرب شرطي البعثة الفرنسية غير أنه لم تجد تلك التحقيقات نفعاً باعتبار أن أحد التقارير أفادت أن الجواهر قد بيعت[٦٧١] .

كما كانت أحياناً تحصل سرقات لأواني الطبخ التي تستعمل يومياً ، وقد علق ملا محمد مصطفى ميسفيتسا على إحدى تلك الحالات بقوله : «هكذا أمسكوا واعتقلوا السارق عبد الله بن مصطفى من حارة هوبيار أغا الذي سرق من حديقة مؤذن جامع علي باشا آنية نحاسية من خمس أوقيات قبل عشرة أيام ثم باعها في يليوكبشا في بلاجوي ، وأعيدت الآنية إلى صاحبها[٦٧٢]».

أما موقف القانون من السرقة فقد نص على ما يلي : «السرقات المبينة في الحالات الخمسة أدناه تعاقب بالقيود مدى الحياة ، نذكرها : أولها إذا حصلت السرقة ليلاً، ثانياً إذا شارك فيها إثنان أو أكثر ، ثالثهما إذا حمل جميعهم أو أحدهم السلاح خفية أو علناً ، رابعها إذا دخلوا بيتاً أو غرفة منه أو في المكان الذي يسكنه أحد ولو أسقطوا حائطاً أو خرقوا الباب أو عبروا الحائط بالسلم أو فتحوا الباب بآلة ما أو دخلوا مكتب موظف الدولة أو قدم أمر مزوراً من الجهة الرسمية، وخامسها إذا تعدى أو هدد بالسلاح[٦٧٣] «، ومن المثيرللاهتمام أن السرقات المذكورة لم ينص القانون بوجوب قطع اليد للسارق كما هو مقرر في الشريعة الإسلامية .

وفيما يخص الإخلال بالشرف وإساءة الأدب فكما هو معلوم فإن العرض والشرف من الكلمات التي تتردد كثيراً في المجتمعات التقليدية ويتم تقديرها لدرجة القداسة ، لذلك يعتبر من الإساءة أن توجه كلمات غير لائقة إلى جهة ما ، وقد كثرت الشكاوى لأجل هذا الأمر ، ومن الأمثلة الواردة في المصادر أن ثمة شخص اسمه بلتيز ادعى بتاريخ ١٨٦٧/٤/٢٥م على فرانيو كاسلنيك من البعثة الإيطالية الطعن بعرضه لأنه اتهمه بأنه سارق[٦٧٤] ، كما حكم على أنتون وهو من الرعايا النمساويين بالسجن مدة ثمانية أيام للإساءة إلى عرض حاج يوسف [٦٧٥]، وكما اتهم يوري مانشي أنه يسيئ إلى يلا زيليتش بسبه عرضها[٦٧٦]، والشكوى التي رفعها الدكتور والي بيك على يوليا زغري منظفة غرفة المبعوث الإيطالي دوراندو وهي من الرعايا النمساويين لأنها سبت الدين لزوجته[٦٧٧]،

---

٦٧١ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ر ك١٤١١/٢٦

٦٧٢ أ إ س ، ز آ ن أ ب هـ سجل ملا مصطفىمحمد مستفيتسارقم ٧٣٢ ل ١٣ آ

٦٧٣ مجلة العقوبات السلطانية بند ٧١٢

٦٧٤ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ر ك ٨٠٦/٧٦

٦٧٥ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ رك ٦٩٤١/٠٦

٦٧٦ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ر ك٦٦/٠٩

٦٧٧ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ر ك ٠٤٣/٤٦

ومن المثير للاهتمام أن الضابط تومو هركالوفيتش اتهم أنتون توماشيفيتش أنه سب والدته ووالدة السيد المبعوث[٦٧٨] ، كما اتهمت ماريا تانكوفيتش زوجة إيفان زوجة الدهان آلويز سابير أنها تسيئ لعرضها علناً في الشارع ، وكانت العقوبة لمن ينطق بكلمة أو بسب دون إلصاق الصفة الشخصية بل يسيئ للعرض أو يمس كرامته أن يسجن مدة أربع وعشرون ساعة إلى شهر أو يغرم مالياً من نصف مجيدية إلى ثلاثة مجيديات [٦٧٩]،. وقدمت ماريا دمسيغليتش شكوى إلى المحكمة بسبب الإساءة إلى عرضها وهي بحسب ما ورد في السجلات أنها عاهرة تعيش في سراييفو وقد اشتكت الخمار أليكسيتش بأنه أساء إليها في الكلام بعرضها[٦٨٠] ، وكان ميلوتين بافلوفيتش قد شكى هذا الخمار للأمر نفسه[٦٨١] غير أن السلطات لم تملك أن تقوم بشيئ لأنه كان هارباً.

وتحدثت المصادر عن قصة مثيرة هي قصة الحاج محمد الذي أساء والده إلى عرض الوالي ، فقد زار ذات مرة شاكر أفندي والد الحاج محمد الوالي طوبال عثمان باشا وألقى عليه محاضرة في أعماله السيئة ، ووفقاً للروايات استمع الوالي إلى حديثه وغضب شاكر أفندي إلى درجة أنه ضرب الوالي بالكتاب على رأسه ، وبسبب تلك الإساءة طرده الوالي وأبعده إلى ترافنيك[٦٨٢].

ومن خلال تتبعنا للسجلات نجد أن الإساءات للعرض أو التميز حصلت في سراييفو وغيرها من المدن ، إلا أن ما صرح به الرحالة الفرنسي بيير دافيد الذي تفاجئ بمروره بالمدينة على جماعات من الناس دون أن توجه إليه حتى كلمة واحدة مسيئة على أساس اسمه الفرنسي وحصل ذلك معه في ترافنيك[٦٨٣] ، ويتضح لنا من هذه الحالة مدى ابتعاد الناس عن الشروع في الإساءة ، كما تكشف لنا أمراً آخر وهو الاختلاط الكبير بين الجنسيات في سراييفو وأن الأجانب لا يستغرب منهم في الشوارع وأكثر من ذلك نرى من الوثائق أن الإساءة إلى العرض غالباً ما تقع بين رعايا دولة واحدة .

كانت الخلافات تحدث في الحارات وعندما يعجز أشراف الحارة عن معالجة الأمر يتم رفعه إلى السلطات العليا، وهناك حالة حصل الخلاف فيها حول اتجاه النهر فخوطب والي البوسنة بهذا الشأن وهو الوزير محمد رشيد باشا وملا سراييفو كبير علمائها وأعضاء مجلس الولاية من طرف شخص يدعى آنتو الذي كان له بيت في سراييفو يخصه ويجري بجانبه النهر منذ القدم ، ويشكو في رسالته كون ملا محمد الفلاني أنه صرف الماء إلى اتجاهه ، ويرجو أن يصدر الأمر

٦٧٨ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ر ك ٧٦٤/٩٦

٦٧٩ مجلة العقوبات السلطانية بند ٤١٢

٦٨٠ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ر ك ٥٧٧/٤٦

٦٨١ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ر ك ٨٧٩/٤٦

٦٨٢ سعيد م. تراليتش ، ذكريات أهالي سراييفو على عهد عثمان باشا ص ٨٢٢

٦٨٣ مدحت شاميتش ، سراييفو والعيش فيها ص ٥٠١

الموقر (السلطاني) بأن يعيد النهر إلى مجراه ، وأمرت المحكمة بإثبات المجرى للنهر في الماضي وإعادة المياه إلى مجراها[٦٨٤]، مثل هذه المشكلات تكررت في العقد اللاحق بحسب وثيقة من سنة ١٨٦٩ تسجل اتهام الجاران محمد ومصطفى أحدهما الآخر حول القضية نفسها (تحويل مجرى النهر) وهما من سكان حارة شيخ مصلح الدين[٦٨٥].

كانت حالات قطع الطرق أيضاً من المشاكل التي واجهها أهالي سراييفو حيث يتم قطع سبيل البريد من وإلى سراييفو ، وكانت مشكلة عويصة باعتبار أهالي سراييفو يستخدمون البريد للرسائل وإرسال النقود وهي الطريقة الوحيدة لتواصلهم ببقية أنحاء الدولة العثمانية ، حيث كان البريد يذهب من سراييفو إلى موستار وترافنيك وليفنو وبرود وزفورنيك كل يوم خميس في الساعة الحادية عشرة صباحاً ويصل في اليوم نفسه في الساعة العاشرة مساءاً [٦٨٦] ، ويأتي البريد من اسطنبول بصفة دائمة حتى سنة ١٨٦٧م، في حين تم تعيين يوم الثلاثاء صباحاً يوم لمغادرة البريد من سراييفو[٦٨٧]، بعض الناس استعانوا بالأصدقاء المسافرين لإرسال الرسائل والنقود إلى أماكن يقصدونها[٦٨٨]، وكان فرسان الدولة العثمانية (كرجية) يقومون بعمل أصحاب البريد لا سيما لدى زياراتهم لأهاليهم حيث يعرفون السكان هناك [٦٨٩] .

ومن الأحداث المسجلة في قطع الطريق ما حصل في سنة ١٨٦٧م حينما قامت مجموعة من قطاع الطرق (هايدوتسي) بقطع طريق البريد الذي كان يحمل الرسائل والودائع لأهالي سراييفو ، ووجد البريد دون أي نقص إلا أنه تم قتل تاتاري علي شاؤوش وأحد حملة البريد[٦٩٠] ، ويصف مارتين جورجيفيتش طريقة قطع الطريق بالآتي: «وصل الخبر أن قطاع الطرق أخذوا البريد في منطقة رومانيا قرب سراييفو، ويتابع ، عدد القطاع اثني عشر جاؤوا من صربيا تسللوا ليلاً وعملوا كميناً من الطرفين، فلما مر البريد هجموا على حملته باطلاق النار ، أصيب تاتاري والضابط بجروح بالغة وقتل الفرسان تحت الحمولة، وهدد القطاع بقية الركب المصاحب للبريد فلم يتحركوا حين قطع هؤلاء بسكاكينهم الحبال والحقائب الجلدية التي فيها رسائل

---

٦٨٤ أ إ س ، ز آ ن إ هـ شكاية دفتر ٩ ، ٦٢٨١ ـ ٨٧٨١ م رقم ٧٥/٤ ، ٣٧٢١/٦٥٨١

٦٨٥ إ آ س آ وثائق تركية صندوق رقم ٢ وثيقة رقم ٩٤

٦٨٦ يصل البريد من اسطنبول لسراييفو يوم الحميس ، البوسنة٣٢/٢١/٧٦٨١ ، ١١ ص ١

٦٨٧ الإعلام الرسمي يرسل البريد إلى إسطنبول يوم الثلاثاء باكراً أيضاً ، البوسنة رقم ٠٢١ ، ٨٢/٩/٨٦٨١م ، ٦١ ص ٢

٦٨٨ في ختام رسالة مانويلو من كراغيوفاتس يرسلها إلى أهله : أرسل الرسالة يوم الإثنين ، إ آ س آ مجموعة داريا وثيقة رقم ٣٢١

٦٨٩ الدكتور أندريا زردوم المرجع السابق رسالة رقم ٧٨١ ص ٤٣٢

٦٩٠ البوسنة رقم ٠٤ ، ٥٢/٢١/٧٦٨١م ، ٣١ ص١

ونقود وأخذوها وتركوا الرسائل ، وكان في البريد من أموال الدولة مائة وعشرون ألف مجيدية بيضاء (٤٨٠,٠٠٠ غروش) ، فأرسلت الحكومة التركية الشرطة والعساكر في الاتجاهات المختلفة لكن دون جدوى لأنهم قد هربوا إلى صربيا [٦٩١].

كما رأينا فإن عدم الأمان كان من المشاكل التي عانت منها الأسرة وأفرادها بشكل يومي، وتذكر المصادر تقرير لحالات عدم الأمان صدر في شهر مارس سنة ١٨٦٧م ونشرته جريدة البوسنة وفيه توضيح للجرائم التي وجدت وقتها في سراييفو، وجاء في التقرير: عند نشوب الحريق في حارة فاروشكا في سراييفو دخل أحمد تاتار متجر امرأة تسمى صديقة وأراد سرقتها فحكم عليه بالسجن مدة ستة أشهر ، قام إبراهيم من سراييفو بطعن مصطفى فدفع له مائة غروش فدية، سرق إبراهيم من أحمد بيك كبير الأطباء العسكريين ٢٠ قطعة من الميداليات الذهبية وحكم عليه بالسجن مدة سنة وأمر بإعادة الميداليات ، صالح كركيتش وموشان مومينوفيتش قبض عليهما عند عاهرة وحكم عليهما بالسجن مدة أسبوعين والعاهرة حكم عليها بالسجن لمدة اسبوع ، أساء إيلياء بكلمات بذيئة إلى غوشو وتاناسو وسافو وحكم عليهم بالسجن لمدة عشرة ايام ، يوفان فوكوفيتش من سراييفو أخذ بطريقة الغش من متجر الخباز سيمو فوكوفيتش صينية مع فطائر اللحم للحاج حسن ميمشيفيتش فحكم عليه بثلاثة أشهر في السجن وبدفع ٤٥ غروش تعويض للشيئ المسروق ، قام اليهودي بنيامين بطعن ياكوف فحكم عليه بالسجن مدة عشرة ايام[٦٩٢] ، وفي سنة ١٨٦٨م طعن راغب نيكششانين إبراهيم أغا فحكم عليه بالسجن مدة سنتين ، وطاهر غجري أخذ سلاح الضابط العسكري فحكم عليه بالسجن مدة سنة ونصف ، أما إيلياء مشانين فقد أخذ أمانة (كمية من الصوف) من ريستو وقام ببيعها وصرف المال فحكم عليه بالسجن مدة شهرين ودفع ١٧١ غروش تعويضاً و٤٢ غرامة وقام بدفعها لريستو ، كما قام الغجري صالح بطعن إبراهيم وهو غجري أيضاً من سراييفو وكلاهما حكم عليه بالسجن لمدة اسبوع ، أما مصطفى حسانوفيتش فقد مس يد إمرأة اسمها أشرفا فحكم عليه بالسجن لمدة شهر ، وميلو النجار من سراييفو أساء شفهياً إلى فوك النجار فحكم عليه بالسجن مدة يومين ،وسرق ريسو بقرة فحكم عليه بالسجن مدة ستة أشهر مع التعويض المالي[٦٩٣] ، ومن الأمثلة السابقة نستنتج أن السرقات الصغيرة والطعن برغم صغرها إلا أنها كانت مشاكل كبيرة لأهالي سراييفو هددت أمان حياتهم اليومية.

---

٦٩١ مارتين غيوغيوروفيتش المرجع السابق ص ١٧

٦٩٢ البوسنة رقم ٥٨ ، ٣١/١/١٨٦٨م ص ١

٦٩٣ البوسنة رقم ٤٨ ، ٦/١/١٨٦٨م ، ٢١ /٥٢ ص١

وفيما يتعلق بحالات الغش فقد أضر الغش في الميزان [٦٩٤] بجميع السكان ، ومن الأمثلة التي عايشها أهالي سراييفو ما فعله صاحب المخبز بلكان أدين لكونه باع الخبز أخف وزناً بثلاثين غراماً من أوقية ، وبعد اطلاع السلطات المحلية والتحقق من ذلك سلمته للمحكمة فحكم عليه وفقاً للبند ١٦٢ بغرامة قدرها ١٠٠ غروش وتم مصادرة الميزان[٦٩٥]، وأظهرت السلطات رغبة في إيقاف هذه الظواهر خاصة لأنها أضرت بالسكان الفقراء فقامت بالتعميم بأن الموازين المستخدمة في سراييفو وغيرها ليست منضبطة وجلبت موازين مختومة من اسطنبول وألزمت ضبط كل الموازين وفقاً لها[٦٩٦] ، باعتبار أن عدد الموازين التي وصلت كانت أربعة فقط ظهرت مشكلة جديدة نقلتها جريدة سراييفسكي تسفيتنيك حيث كتبت: «في سراييفو أربعة موازين قررتها البلدية وهذا العدد قليل «.

مما سبق نستخلص أنه لا يمكن إحصاء عدد الشجارات والخصومات والسب المتبادل وكم اضطر الناس الفقراء أن ينتظروا وهم عراة حفاة عدة ساعات في الشتاء وثلوجه[٦٩٧] لمعرفة حكم في قضية ،وكما رأينا اضطرت السلطات لإيجاد الحلول البديلة في بعض الأحيان، وبعض العقوبات كانت أكثر صرامة خاصة في المخالفات القانونية ، ولجأت لعقوبات يتم بموجبها تهجير الشخص وهذه العقوبة طبقت في الجزء الأول من القرن التاسع عشر حين تم تهجير الناس لأسباب سياسية أكثر من غيرها وحدث ذلك كثيراً ، وإذا عوقب أحد الناس بالتهجير فلا بد من أن يخرج من المدينة مرافقاً بالضباط الشرطيين عن طريق حي كوفاتشي حيث يجتمع الناس ليروا المجرم[٦٩٨] ، أما المكان الذي يرسل إليه السجناء فيقع في ولاية فيدين دونافسكي ، وكان الإرسال إلى فيدين يعتبر سجناً مؤبداً فيسمح للسجين من البوسنة أن يصطحب أهله معه إليه[٦٩٩]، أما السجناء في سجن سراييفو فكانوا لصوصاً صغاراً ، وقد أصدر طوبال عثمان باشا قراراً بالسماح لجميع السجناء فيه بمناسبة عيد الفطر أو الأضحى أن يخرجوا من السجن إلى أهاليهم بغض النظر عن ديانتهم إذا كانت المدة المتبقية لهم في السجن على وشك الانتهاء وعلى المحمديين (المسلمين) الذين حكم عليهم بسبب الجرائم الخفيفة أن يقدموا ضماناً بالعودة ليسمح لهم بقضاء الأعياد مع أهاليهم ، وقد بشر القرار الإنساني الرحيم جميع السجناء اليائسين[٧٠٠].

---

٦٩٤ الذين يبيعون بأكثر من السعر المقرر والمقبول يغرمون بغرامة مالية ما بين عشرة إلى خمسة عشر بشلوك ويحبسون من يوم إلى ثلاثة أيام ، إذا كان البيع بسعر أكبر مما يحتاجه الناس مثل الخبز واللحم والفحم يعاقب البائع بالسجن لمدة ثلاثة إلى سبعة أيام ويغرم بخمسة عشر إلى عشرين بشلوك

٦٩٥ البوسنة رقم ٣٣ ، ٧٦٨١/١/٧م ، ٦٢ ص ١

٦٩٦ البوسنة رقم ٠٢ ، ٦٦٨١/١/٨م ، ٩ /٦٢ ص ١

٦٩٧ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٨٤، ٠٧٨١/١١/٨٢م ص ١

٦٩٨ المكتبة القومية والجامعية سراييفو ، وثائق ألكساي بوبوفيتش رقم ٥٤ ص ٦

٦٩٩ مجلة العقوبات السلطانية بند ٨٢

٧٠٠ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٧/٤١م رقم ٢ ص ٠١ ، نستنتج من سجل ميتسفيتسا أنه في

ورغم عدم وجود معلومات دقيقة عن عدد المسجونين في سجن سراييفو في الفترة المذكورة يبدو لنا مبالغاً جداً العدد الذي ذكره المبعوث الروسي حيث يذكر أن ١٧٠٧ نصرانياً مسجوناً في أبريل ١٨٦٠م[٧٠١] ، إضافة إلى ذلك لا بد من أن نذكر أن عقوبة الإعدام لا تنفذ في أيام العيد للمحكوم عليهم[٧٠٢] ، كما وجدنا في الوثائق ضمانات المدنيين لبعض السجناء يضمنون شخصياً إذا تم الإفراج عن بعض السجناء[٧٠٣] ، وينص القانون على تجريد المجرمين من حقوقهم المدنية غير أنا لم نجد أمثلة من ذلك في التطبيق[٧٠٤]، ونص القانون على مضاعفة العقوبة على من يعود للجريمة نفسها[٧٠٥] .

العقد الخامس من القرن التاسع عشر أن صغار المجرمين كانوافي سجن سراييفو حين يذكر أن القاتل يتواجد في ترافنيك معتقلاً ، ملا محمد ميتسفيتسا قائمة الضمان المتبادل ص ٢٤

٧٠١ إبراهيم تيبيتش ، البوسنة والهرسك في المصادر الروسية ص ٧٧١

٧٠٢ مجلة العقوبات السلطانية بند ٢٢

٧٠٣ قدمت عائلة فاضل باشيتش سنة ٧٦٨١م ضمانات من هذا النوع إ آ س آ مجموعة عائلة فاضل باشيتش صندوق رقم ١

٧٠٤ عقوبة التجريد من الحقوق المدنية تتضمن ما يلي : المحكوم بذلك لا يسمح له العمل في الوظيفة العامة ٢) لا يمكن أن يتولى المناصب الرسمية في مجال الحياة المدنية أو المهنية ٣) لا يسمح له بالعمل مدرساً ٤) كلمته غير معتبرة في المحاكمات إنما تسمع دون أن تكون فاصلة في القضية ولا يوكل في القضية ٥) لا يمكن أن يكون ولياً على أحد ٦) لا يحق له حمل الأسلحة ، مجلة العقوبات السلطانية بند ١٣

٧٠٥ مجلة العقوبات السلطانية بند ٨

الديــــــن

من أبرز المشاكل الأساسية التي ترددت في كتابة وقائع التاريخ هي الدين، وفي الوقت ذاته كان جزء من نمط الحياة حتى أنه من الصعب العثور على شخص مهما كان وضعه المالي دون أن يكون مديناً لبعض الحاجات الأساسية في الحياة ، كثيراً ما نجد الشخص يدين لشخص أموالاً ويدين له شخص ثالث أموالاً كذلك ، هكذا الدين حاجة يومية ونمط حياة ، ورغم كون الدين في الحياة المعاصرة حملاً قلما يسمح أحد لنفسه كان في العقد السابع من القرن التاسع عشر وحتى قبل ذلك جزءاً من الحياة اليومية ومن الظواهر التي وجدت حتى عند عدم الحاجة له .

كانت معظم الديون لشراء المواد الغذائية بدءاً من الخبز إلى المواد التي تدخر لشهر كامل أو حتى لشهور المؤونة للأسرة[٧٠٦] ، وجاءت الديون نتيجة الحاجة وأحياناً نتيجة العادة .

كما أن التجارة أو الشراء بالدين كانت ممارسة لفتت انتباه الرحالة الأجانب ، ومن كثرة انتشارها وتكريساً للإصلاحات في الدولة العثمانية شكلت محكمة تجارية لفصل الخصومات التجارية وبشكل خاص الديون التي تعتبر مشكلة أساسية في التجارة، رغم أن بعض الرحالة يدعون بأنه لم تكن قضايا كثيرة لهذه المحكمة .

من بين الدفاتر التجارية الكثيرة الموجودة في أرشيف مدينة سراييفو هناك دفاتر الديون لعائلات مختلفة مثل دفتر الديون لعائلة ديسبيتش ، وقد اطلعنا على أحد الدفاتر الذي يتناول فترة ما بين ١٨٦٢ ـ ١٨٦٥م حيث كتبت تفاصيل المدين واسمه وشهرته ومكان إقامته ويسجل الدين هل هو بالمال أو بالبضائع ، وبين المدينين نجد النساء غير أن نسبتهن ضئيلة ، وبجانب الإسم هناك تاريخ الدين وإذا تم تسديد الدين يعدل ديسبيتش المعلومات السابقة بقلم الرصاص ويكتب على طرف الدفتر : دفع بتاريخ كذا ، هذا يعني أن الدين قد سدد ، وإذا لم يسدد الدين على الوقت المحدد يكتب قدمت قضية للمحكمة .

كثيراً ما يحدث أن المدين يدفع المبلغ المطلوب منه ويأخذ على الدين مبلغاً جديداً ، ومن المثير للاهتمام أن هناك إمكانية تحويل الدين من فرد في الأسرة إلى غيره مع إقرار شفهي أنه

---

٧٠٦ عثمان آ. سوكولوفيتش : الإحصاء الجزئي للتجار المسلمين من البوسنة والهرسك أواخر الحكم التركي ، سراييفو ١٩٤٣م

قبل الدين على نفسه[٧٠٧]، وبناءاً على الاطلاع على دفاتر الديون توصلنا إلى أن الناس يأخذون الديون يومياً وأن محاولة إرجاع المبلغ الكامل للدائن يترك للمحكمة ، والسؤال المطروح هو من يستدين ولماذا ؟ والإجابة هي الحقيقة المفاجئة من خلال الاطلاع على الوثائق التاريخية وهي أن جميع أهالي سراييفو تقريباً يدينون لأحد بالأموال سواء كانوا من الأغنياء أم الفقراء.

كما أن طريقة شراء المواد الغذائية كانت تتم بسجل الدين على المدين في الدفتر ، وفي حالة الوفاة تسدد الديون التي تثبت على المتوفى أولاً ثم تقسم بقية أمواله ، هذا كان الموقف من الدين ، إلا أن الاستثناء المثير للاهتمام هو عدم وجوب تسديد الدين حتى مع إقراره من قبل المدين إذا لم تتوفر لديه أموال لذلك .

أما فيما يخص الإجراءات الكاملة المتبعة في المحكمة لاسترجاع الدين تفيد المصادر أنها كانت على النحو التالي : يدلي الشخص أولاً بتصريح أو اعتراف كما حصل في حالة الخياط دالمار من الرعايا النمساويين الذي أدلى بتصريح ادعى فيه أن أحمد أفندي مدين له بمائة بيستير[٧٠٨] ، أو حالة برتول باكلان الخباز الذي يطالب يوسيب أرازوفيتش بدفع مائة وثمانية وعشرون بيستير ثمن الخبز الذي سلمه لمطعمه[٧٠٩] ، أو إيفان تاديتش يطالب بعض الرعايا الأتراك تسديد ديونهم لشرب الخمور في مقهاه والمبلغ المطلوب قدره ٥٧٤ بيستير ويطالب بالمساعدة في تسديد الديون[٧١٠]، بعد ذلك يسأل المدين هل يعترف بالدين أو لا، ونادراً ما يحدث إنكار الدين وإذا حدث فعليه الحلف كما فعل يورا لكيتش أنه لا يدين بشيئ[٧١١] ، بيد أن الاعتراف بالدين كان معتاد ويقرر الأجل لتسديده بعد ذلك إلا أن انتهاك المدة المحدودة قد يؤدي إلى بيع ممتلكاته كما حدث في حالة فرانيو دوشيتسا الحداد بعد وفاته حيث تم إقرار الأجل أسبوعان لتسديد الديون وإلا تباع أغراضه بالمزايدة[٧١٢] ، والمزايدة أو البيع العلني تقررها المحكمة إذا لم يسدد المدين دينه في الوقت المحدد ، وهناك أمثلة أخرى توردها السجلات مثل بيع ممتلكات ميسا يوفانوفيتش بالمزايدة التي جمع خلالها ٩,٣٣٣ بيستير رغم أنه مدين لألكساندر في ترست بمبلغ ٢٨٤,٠٠٠ بيستير[٧١٣]، وروستم بيك تشينغيتش عرض إيرادات مزرعته ومزرعة ابنه وزوجته

٧٠٧ إ آ س آ ، ز د ، صندوق رقم ١١ ، دفتر ٧١ آ

٧٠٨ أرشيف آ أ غ ك ر٠٣٤/٣٦

٧٠٩ أرشيف آ أ غ ك ر٨٥٧/٦٦

٧١٠ أرشيف آ أ غ ك ر ٦٨٣/٧٦

٧١١ أرشيف آ أ غ ك ر٩٥٧/٠٦٨

٧١٢ أرشيف آ أ غ ك ر ٨١٩/٦٦

٧١٣ أرشيف آ أ غ ك ر ٢٢٠١/٣٦

ليسدد الدين لشخص يدعى سوكوفيتش[٧١٤] ، وأنجيا نينادوفيتش لم تكن متقبلة للأمر مثل زوجة روستم بيك تشينغيتش بل طلبت أن يستثنى من مطالبة الدائن الخياط جورجو كاديتش ٩٠٠ غروش من زوجها ستيفو وهو ما يخصها إرثاً من والديها[٧١٥] ، كما كان يتكرر أن يطالب أهالي سراييفو تسديد الديون من الرعايا النمساويين خارج الدولة العثمانية والتي كان يتعذر تحصيلها كما حصل مع أحمد هاسيتش الذي سدد له يورماريتش من سيينا جزء من دينه والتزم أن يسدد البقية وقدرها ٨٣ بيستير خلال ستة أسابيع[٧١٦] ، وحاولت المحكمة إعادة المال المقروض لصاحبه بكافة الطرق .

لجأ الأهالي للاستعانة القوانين المحلية عندما يتعذر تحصيل الدين فكثيراً ما تقع المصالحة والمفاهمة بين الطرفين ، وتذكر المصادر مثال لمحتوى المصالحة تضمن يلي : بعد أن اعترف ياكوف لوتينييان النجار بوجود دين عليه لـ لينياغي محمد كاديتش وقيمته ٦٠٨ بيستير، وبسبب عدم توفر المال لتسديده وافق فوراً أن يدفع ديناراً ذهبياً شهرياً لتسديد الدين[٧١٧]، كما فعل داوود بيتو مثل ذلك حيث عرض أن يسدد ٤٦٪ من دينه لأنه لا يملك بقية مبلغ استدانه، وقد قبل الدائن بذلك قائلاً : قبول هذا أفضل من انتظار المبلغ مائة بالمائة[٧١٨] (أي كاملًا).

والسؤال الذي يطرح نفسه هو ماذا يحصل إذا لم يكن للمدين ممتلكات لتعرض للبيع بالمزايدة كما حصل في حالة أنتون ماتوفيتش حيث لم يكن يملك شيئاً[٧١٩] ولم نجد في المصادر أي معلومات تفيد عكس الاستنتاج القائل أن التعرض لمناقشة مشكلته في المحكمة كان مضيعة للوقت رغم كون المحكمة تجبره حتى على بيع الألبسة لتسديد الدين[٧٢٠] .

بينما تذكر المصادر معلومات في هذا الصدد تم العثور عليها في أرشيف مجموعة عائلة حاج ريستيتش حيث وجدنا عدداً من الرسائل تطالب المبعوث الروسي ششلبينكوف أن يسدد ديونه تجاه العائلة[٧٢١]، وحقيقة ما جرى هو أن المبعوث الروسي أقام علاقة صداقة مع حاج ريستو الذي

---

٧١٤ أرشيف آ أ غ ك ر١٥٢/٣٦

٧١٥ أرشيف آ أ غ ك ر٢٠٢١/٧٦

٧١٦ أرشيف آ أ غ ك ر١٢٦/١٦

٧١٧ أرشيف آ أ غ ك ر ٢١٢١/١٦

٧١٨ أرشيف آ أ غ ك ر ٥٧٨/٧٦

٧١٩ أرشيف آ أ غ ك ر٩٣٢/٧٦

٧٢٠ صموئيل قمحي طلب أن تباع على الفور ألبسة فليسا مرغوتيا حتى يحصل على ٢٠٠ بيستير الخاصة به ، أرشيف آ أ غ ك ر٨٨٠١/٧٦

٧٢١ في مجموعة عائلة حاج ريستيتش ثمة ٦٣ رسالة من المراسلات بين المبعوث الروسي شولبنكوف لأجل ديونه من ٢٦٨١- ٧٦٨١م إ أ س آ ز هـ صندوق رقم ١

ظن أن القروض الصغيرة لن تمثل مشكلة للمبعوث الروسي لتسديدها ، ومدى خطورة المشكلة التي وقع فيها حاج ريستو يدل على تدخل الوالي شخصياً عثمان باشا بناءاً على طلب ريستو لحل الموضوع ، وفي شهر مايو سنة ١٨٦٩م تم تسديد الدين ونشر ريستو كلمة شكر للوالي في جريدة سراييفسكي تسفيتنيك لأنه ساعده في الحصول على ماله البالغ ١٦١٩ ديناراً ذهبياً[٧٢٢] .

وعلى خلفية تولي المحكمة تسديد بعض الديون وعدم تمكنها من مواصلة الالتزام بذلك أعلنت المحكمة وقفها لتسديد الديون فأفلست المتاجر الكبيرة بعد قرار المحكمة [٧٢٣] ، كما أدى إفلاس بعض التجار لتعذر تحصيلهم الديون أن فقدوا حقهم في الترشح في مناصب في البلدية أو المجالس الدينية[٧٢٤] ، كما كان هناك انتهاك للعقود كما في حالة درويشة من حارة شيخ بغدلديا التي قدمت عن طريق موكلها درويش علي أفندي شكوى تفيد فيها أنها سلمت قبل سنة ووفقاً لعقد مع المدعو غاربيا عبد الله ٧٨٧٢ غروش وبموجب العقد فإنهما يتقاسمان أرباح التجارة بالمبلغ بالتناصف، إلا أن الشخص المذكور غرابيا وبعد تسعة أشهر فسخ العقد وأرجع من رأس مالها ٣٨٤٩ غروشاً و٢٨ بارا وبقيت تطالب ببقية رأس مالها أي٤٠٢٢ غروشاً و ١٢ بارا ، أولم تنل منه سوى ٢٥٠ غروشاً على أساس الربح من المضاربة[٧٢٥]، هذه الحالة إلى جانب عدم احترام العقود تبين أيضاً أن النساء كن يستثمرن ويدخلن في الشراكة ويجب دراسة الأمر بوجه خاص في بحث مستقل.

وباعتبار أن شكاوى الدائنين كثرت صدر قرار من حكومة الولاية ووجه السلطات المحلية (سنجق) بأن تؤخذ الشكاوى بعين الاعتبار إذا زاد قدر الدين على ٢٥ غروشاً ولا يلزم تقديم الشكوى كتابة كما كان مفروضاً سابقاً[٧٢٦] ، ويوضح هذا القرار أن بعض الناس قدموا الشكاوى لمبالغ دون ٢٥ غروشاً ، وهذا مبلغ صغير إذا علمنا أن مصاريف عائلة ديسبيتش سنة ١٨٧٠م الشهرية المتوسطة حوالي ٣٠٠٠ غروش[٧٢٧].

لم يكن الدائنون وحدهم من عانى المشكلة ، فقد ضاعت في كثير من الأحيان سمعة رجال ضمنوا للمدينين تسديد الدين، وتذكر المصادر أن ذلك قد حصل فعلاً لفرا غرغا ماريتش الذي

---

٧٢٢ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٦٢ ، ٦٢/٦/١٨٦٩م ص ١

٧٢٣ إسماعيل فالنتاليتش أفلس حتى يحصل مانويلو رادونكوفيتش من كوستاينيتسا على ماله أرشيف آ أ غ ك ر١٦/٩١٦

٧٢٤ أفرام بنتو المرجع السابق ص ١٢

٧٢٥ أ إ س ز آ ن أ ب إ هـ سجل محمد ميتسفيتسا رقم ٣٧٢ ل ٠٧ ب

٧٢٦ البوسنة رقم ٤٢ ، ٥/١١/١٨٦٦م ، ٤٢ ص١

٧٢٧ إ آ س آ ز د صندوق رقم ٢١ دفتر المصاريف المنزلية لألكسا من سنة ١٨٧٠م

وصف مشكلته بما يلي : «كنت أضمن لأحد الناس ولا آخذ لنفسي وإنما لغيري فلقيت شخصاً غليظاً لا يرد على النداء وأنا محتار فقد ذهب ماء وجهي ويصعب علي أن أسأل من الآخرين» ، في بعض الأحيان لا يقبل ضامن المدين أن ينقص من المال المسترد وقد طلب بيبو التمهل من الدائن برسالته للدائن التي نصت على: «أرجو ألا يكون المبلغ المقروض مطلوباً لديكم كثيراً وإذا كان كذلك اتصلوا بنا فسوف نسدده قدر المستطاع ، أما بقية المبلغ فأرجوكم أن تصبروا عليه، فأنتم ترون الأزمة التي يعاني منها جميع الناس ليؤمنوا الطعام لموائدهم»[٧٢٨].

رغم الحالات التي أشرنا إليها إلا أن هناك ثمة شفافية في تحصيل الديون حيث كان بعض التجار يتحصلون ديونهم في البوسنة أي داخلها من الرعايا الأجانب عن طريق المبعوثين وذلك مرة واحدة في السنة ، كما أن هناك صنف من الناس سموا ـ علاجا كجيا ـ وهم المتخصصون في التجول بالأقاليم وقبض الديون[٧٢٩] ، بالإضافة إلى ذلك ثمة أمانة بين الناس كما نفهم من تصرف ألكساي بوبوفيتش الذي يروي أنه إقترض من حاج مولاغا نقوداً وذلك مرتين وفي كل مرة كان كيس من الدنانير يقرضها الحاج لوالده باعتباره تاجر ودون سند دين كتابي ودون أخذ الربا[٧٣٠].

انتهاك النظام العام ومخالفة قواعد الشارع

كان القانون في تلك الفترة يحدد النظام في الشوارع في الليل والنهار ، ففي النهار تزدحم الشوارع بينما يكون التجول في الليل شبه مفقود ، وبالنظر إلى قواعد الحياة العامة في شوارع مدينة سراييفو بالليل ومن يتابع أمورها والمخالفات التي سجلت ضد النظام يذكر فلادسلاف سكاريتش أنه في مايو سنة ١٨٥٨م أمرت الحكومة البوسنية بعدم خروج الناس إلى الشوارع دون حمل القناديل ومنعت وحظرت التجول عموماً بعد مضي ثلاث ساعات على المغرب ، ونشر الأمر للمسلمين عن طريق الأئمة ومختاري الحارات، ولغيرهم عن طريق رجال الدين

٧٢٨ الدكتور أندريا زردوم المرجع السابق رسالة رقم ٦٨١ ص ٣٣٢ ـ ٤٣٢

٧٢٩ إبراهيم تيبيتش : التجارة البوسنوية من ٦٥٨١ إلى ٥٧٨١م ص ٨٧

٧٣٠ آلكساي بوبوفيتش : سير مشاهير سراييفو ص ٩ ، هذا ما يثبته مهاغا مرهيميتش بالكلمات التالية : والدي المرحوم وقد عمل في التجارة يذكر لي عدة مرات أن التجار يرفضون أن يقرضوا الناس بحضور الآخرين فيجيبون السائل أن ليس عندهم نقود ، ثم يستدعون طالب القرض ويعطونه ما يطلب ويقولون له أن العار أن يعرف الناس بالدين لذلك قلت لك ليس عندي ، ح. كريشيفيلياكوفيتش المختارات ٤ ص ٦٥ ملاحظة رقم ٧١

وأشرافهم ، كما طبق الأمر على الرعايا الأجانب أيضاً[٧٣١] وأشرف الحارس الليلي مصطفى على تنفيذ الأمر سنة ١٨٦٥م في السوق الرئيسي (باش تشارشيا) وكان يتقاضى راتبه من سكان الحارات وباعتبار أن بعض السكان غفلوا عن واجبهم تجاهه مثل توني النجار قام مصطفى بالادعاء عليه عند المحكمة وكلب أن يدفع له أجرته وقدرها ١٨ بيستيرلثمانية عشر شهراً مضت من عمله، ونستنتج أن أجرته كانت بيستير من كل ساكن في الحي شهرياً ، ونظراً لعدم احترام هذه القواعد خاصة من الناس المعروفين ومنهم النجار توني الذي هرب في إحدى الليالي من أن يراه مصطفى غير أنه عرفه واتهمه عند القاضي، وفي إحدى المرات تضارب مصظفى وتوني وكان الثاني سكراناً[٧٣٢]، ولم تكن وظيفة مصطفى سهلة لأن مركز عمله وسط المدينة حيث يتجول الرعايا الأجانب لذلك أرسلت الحكومة البوسنية طلباً رسمياً سنة ١٨٦٣م للبعثة النمساوية أن تخبر رعاياها بالتالي: «لا يسمح لأحد أن يخرج إلا ومعه مصباح على البطارية وإلا سيعتقل[٧٣٣] »، ويصف جميع الرحالة حياة الناس في الليل وقتها بما يلي : «بعد غروب الشمس ثمة عدد من المصابيح الغازية وسط المدينة وضوءها ضعيف متقطع بينما نسمع خطوات المارين من الحراس أحدهما أو الآخر وظيفتهما حماية ممتلكات التجار وبفضل أمانة أهل المدينة كثيراً ما ينامون على الفرش الخشبية أمام المتاجر[٧٣٤]».

ندرك مما سبق أن هذا لم يكن شأن جميع الحراس ، حيث يستنتج روسكييفيتش أن استعمال المصابيح مأمور به من قبل السلطات لأنه لا يوجد إضاءة في الشوارع التي لم تكن معبدة ويسهل السقوط في حفرها وتكون حالات كسر للأرجل ويتأذى كل من يتواجد في الشارع دون مصباح ويعتقل من قبل الدوريات العسكرية[٧٣٥]، ورغم كون الاستنتاج يبدو ساذجاً باعتبار السلطات تؤكد في مراسلتها للبعثة النمساوية أن سبب الكسر والتأذي هي حوادث الشغب الليلي التي لا يشارك فيها السكان الأصليين إلا نادراً.

ورغم كون معظم أعمال الشغب أثارها الرعايا الأجانب إلا أنه وللإنصاف فإن المخالفات قد تقع من أهالي سراييفو الأصليين أحياناً ، وثمة تحذير نشرته جريدة البوسنة سنة ١٨٦٧م يدل

---

٧٣١ فلادسلاف سكاريتش المختارات ١ ص ٤٤٢ ، يذكر باشيسكي أن المخبر العام (دلال) أعلن سنة ٨٧٧١ أن التدخين في الأماكن العامة محظور ولكن لم نجد الحظر ذاته للفترة التي ندرسها غالباً تم إلغاؤه سابقاً ، باشيسكي المرجع السابق ص ٤٤٢

٧٣٢ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر١٦/٥٨٦

٧٣٣ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٣٦/٢٥٢

٧٣٤ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ١٦١

٧٣٥ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص٢٢٢ ، ڤارن ن . مانديتش من سراييفو القديمة في أسلوبوجينيا رقم ٩٠٠٢ /٥١/٣/٣٥٩١م ص ٥

على ذلك جاء فيه : «في مدينتنا ، تذكر الجريدة في صفحاتها الأولى[٧٣٦] هناك أناس من المسلمين ومن النصارى لا يهتمون بعرضهم فيخرجون في الليل ويعزفون المعازف ويؤذون الناس بكلامهم البذئ إضافة إلى ذلك يدخلون المقاهي ويقامرون في الألعاب المحرمة التي تضيع الأموال ، هكذا ، من الآن ليعلم الجميع أن من يتم القبض عليه في وقت غير لائق في شوارع المدينة دون أن يحمل مصباح أو دون خروجه لغرض بل للفاحشة سيتم معاقبته من قبل الحكومة بالغرامة والسجن ، وعليه فقد أصدر الأمر إلى الشرطة أن تعتقل كل من تجده في مثل هذه الحالات ، ومن أراد الحفاظ على عرضه وماله ليحذر الأمر فقد أعلناه ليعلمه الجميع[٧٣٧]».

وتسهيلاً لعمل حراس الليل (باسونجية أو ضابطية) ، تذكر الوثائق أن السلطات أنارت بعد سنة ١٨٧٠م بعض شوارع المدينة بالقناديل[٧٣٨]، ورغم ذلك كله واصل الناس مخالفة قواعد التجول في الليل ، وكان القنديل المستعمل على شاكلة اسطوانة ويمكن أن يغلق .

ومن المشاكل التي كان يواجهها المارة إيقاف السيارات في الحارة، والذي شكل حالة استياء باعتبارها تسد الطريق بالرغم من أن عدد السيارات وقتها كان قليلاً ، إحدى تلك السيارات التي تسببت بمضايقة للأهالي كان يمتلكها ستيبان ننادوفيتش وكان من سكان حارة فاروش وقد حذروه مراراً أن لا يوقف سيارته فيها[٧٣٩] ، وأيضاً إيفان وبافاؤو وهم من الحرفيين عملوا بالقصدير وتم تحذيرهم باستمرار لإيقافهم سيارات زبائنهم أمام محلاتهم فيسدون بذلك الطريق[٧٤٠]، ومن ضمن من امتلكوا سيارة أيضاً أرملة عثمان باشا سيارة ، ولسيارتها قصة لطيفة، ففي ديسمبر سنة ١٩٦٤م تركت أرملة عثمان باشا سيارتها عند المصلح فليسا مارغونتيا ، وغار منه المصلح آنتونيا والسراج بافاؤو فألحقا الأضرار بسقف السيارة ، وتم استدعاء حارس الليل أشيشانين م. بايراموفيتش باعتباره شهد الفعل فأثبت أن مرتكب الجريمة هو أنتونيا ، وعوقب المصلح بالتهجير من البوسنة [٧٤١].

بعدما تعرضنا لمخالفة النظام بالليل والذي كان معظمه بسبب عدم حمل المصابيح وإزدراء الحراس كان سبب المشاكل والمخالفات في النهار هو وجود الكلاب والشحاذين ، ويكتب روسكيبيفيتش أن

---

٧٣٦ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٤٧١/٩٦

٧٣٧ البوسنة رقم ١٤ ، ٧٦٨١/٣/٤م ، ٠٢/٢ ص٢

٧٣٨ سرايفسكي تسفيتنيك رقم ٧٤ ، ٩٦٨١/١١/٠٢م ص١

٧٣٩ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٣٥٢/٦٦

٧٤٠ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر٩٩١/٧٦

٧٤١ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٨٢/٥٦ ، ١/٥٦ ، ٤٢٣١/٤٦ ، ٩٢/٥٦

الكلاب في تلك الفترة كان لا يحصى عددها وتملأ الشوارع بحثاً عن الطعام [٧٤٢]، وقد شكلت مشكلة للتنقل في الشوارع أكدتها المقالات التي نشرت بهذا الصدد في جريدة سراييفسكي تسفيتنيك وجاء في بعضها: «في سراييفو وخاصة على جسر الملك هناك أعداد هائلة من الكلاب تعاني من الجوع وتؤذي الناس بألوان من الإيذاء بسبب جوعها ، هذه الكلاب تتجول في مجموعات ولا تنفع أحداً وإنما تضر وتوسخ الشوارع وتهاجم الناس ليلاً ونهاراً بحيث لا يمكن التجول في شوارع سراييفو بحرية ، ومما زاد الطين بلة هجومها على الأطفال وعضها لهم ، لماذا لا يتم قتلها أو إبعادها بطريقة أخرى[٧٤٣]». ويبدو واضحاً من هذا الإعلام أن الكلاب كانت مشكلة كبيرة والنظافة تأثرت بوجودها فلم تتصرف السلطات تجاهها بأي إجراء فحاولت الجريدة أن تجد حلاً للمشكلة ، وما يدل على أن الوضع بقي على ما كان الإعلان الذي نشره المبعوث الإيطالي في الجريدة نفسها يشكو فيه قائلاً :» مشى الحارس الإيطالي ماتو في شارع فرهادية قاصداً المطبخ العام فهاجمته الكلاب دون سبب ، ولم يسلم من الهجوم دون عواقب فقد مزق الكلب بنطلونه وحذائه وجرحه على رجله[٧٤٤]»، وعندما وصف جورج برادشو سراييفو ذكر أن في شوارعها عدد هائل من الكلاب لا تعرف سلالتها غير أنها بغيضة وجشعة تتجول في الشوارع وهو مكان ليس لها[٧٤٥]، وتناولت جريدة البوسنة مقالات للاستفادة والعظة منها المقال التالي: «في مدينة كلكتا الهندية عاش هندي ثري جداً عمل في مزرعته مستشفى جمع فيها الأطباء والجراحين والصيادلة ليعالجوا الكلاب المريضة من الشارع ويتابع مؤلف المقالة مؤكداً أن هذا حقيقة وليس من اختراعات الجرائد لأن الناس نظن أن الأمر يقوم به أراذل القوم والسفلة[٧٤٦]» ، وبقيت هذه المشكلة التي لم تلق لها السلطة بالاً إلى وصول النمسا والمجر حين تم قتل الكلاب إلى حد كبير .

وباعتبار أن مدينة سراييفو ليست مركزاً للسلطة فحسب بل هي المكان الذي تنصب فيه المصالح الإقتصادية فليس غريباً أن يكثر الشحاذون فيها ويحضروا من المدن الأخرى، ورغم أمر الحكومة البوسنية الصادر في شهر آب سنة ١٨٦١م الذي يحظر التسول والشحاذة[٧٤٧] إلا أنه لم يتغير في واقع الأمر شيئ ، كان مركز اجتماع الشحاتين هو السوق الرئيسي لكونه يزدحم أكثر من غيره بالناس ، وما كتبه باشيسكيا عن هذه الظاهرة يجعلنا نعتقد أنها صارت حرفة تمارس من قبل بعض الناس في سراييفو إذ يورد التالي: «إذا فصلنا الذين يسألون المساعدة بحق ندرك

---

٧٤٢ يوهان روسكييفيتش المرجع السابق ص ٨٥١

٧٤٣ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٦٣ ، ٩٦٨١/٩/٤م ص ٢

٧٤٤ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٠٥ ، ٩٦٨١/٢١/١١مص١

٧٤٥ أ .حاج سليموفيتش المرجع السابق ص ٩٠٢

٧٤٦ البوسنة رقم ٤٣ ، ٧٦٨١/١/٤١م ص٢

٧٤٧ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ٦٧٨/١٦

أن عدد الشحاتين في سراييفو مقارنة بعدد السكان كبير جداً والسبب هو مجيئ الشحاتين من المدن الأخرى وهذا الأمر غير قابل للتحمل[٧٤٨]». وأثارت تلك الظاهرة مشكلة أكبر حينما دخل الأطفال بين الشحاتين ، فأصبحت النسبة الكبيرة من هؤلاء الشحاتين من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين التاسعة إلى العاشرة كما نشرت جريدة سراييفسكي تسفيتنيك[٧٤٩] ، وكان تقليدهم بأن يضع الشحاذون سجادة تحتهم ويجلسون عليها ثم يطلبون بأعلى صوتهم من المارة أن يتصدقوا عليهم[٧٥٠] ، وظل السوق الرئيسي (باش تشارشيا) موقفاً مفضلًا لهم حتى بعد الاحتلال النمساوي المجري وفقاً لما كتبه أسبوت[٧٥١]، حيث كان في سراييفو أثناء احتلال لنمسا والمجر ١٥٨ شحاذاً بعضهم جاء من دوبوشاي ، موستار ، ليوبوشكي ، كولاشين ، كيسيلياك، مونستير وحتى من آسيا والبقية من سراييفو ، وكان عدد النساء منهم ١٢٢ والبقية ٣٦ من الرجال[٧٥٢].

أما فيما يخص الحفاظ على النظافة العامة فرغم تخلي الدولة العثمانية عن بعض أعمال التنظيف لصالح الشركات الخاصة إلا أنها استحدثت القوانين المنظمة التي حددت بموجبها الغرائم والعقوبات خلال القرون التي حكمت فيها البوسنة[٧٥٣] ، وقد نص القانون على أن من يرمي النفايات أو أشياء أخرى تسبب الروائح الكريهة أو يصب النجاسة أو يرمي على الطرقات ما يتأذى منه المارة ومن يخالف الدستور المدني وأوامره الصادرة من البلدية يغرم بواحد إلى خمسة بشلوك[٧٥٤] ، وعلى الرغم من ذلك لم يلتزم الناس ونتيجة عدم الاكتراث ظهرت في سنة ١٨٦٣م الأمراض المعدية بين الحيوانات ونفقت البقر الأمر الذي أدى إلى مشكلة إضافية وهي أين ترمى الميتة[٧٥٥] ، واختار معظم الناس الطريقة السهلة ورموا بها إلى الشارع ولم يدفنوها كما هو مقرر بالقانون[٧٥٦].

---

٧٤٨ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ١٣ ، ٩٦٨١/٣/٧٢م ص١

٧٤٩ سراييفسكي تسفيتنيكرقم ٧٣ ، ٩٦٨١/٩/١١ ص١

٧٥٠ أ حاج سليموفيتش المرجع السابق ص ٩٠٢

٧٥١ يوهان أسبوت المرجع السابق

٧٥٢ حامد ديزدار قائمة الخانات والتكنات والشحاذين في سراييفو في مجلة الأرشيف والموظفين في الأرشيفات ، سنة ١ ، كتاب ١ سراييفو ١٦٩١م ص ٤٢٣ ـ ٦٢٣

٧٥٣ بهية زلاتار ، (زلاتنا دوبا سراييفو) العهد الذهبي لسراييفو ص ٠٠١ ، سنة ٦٦٨١ أسست في مراكز لواء وقضاء بلديات تهتم بالإضاءات والنظافة في المدينة آ. آليتشيتش تنظيم الدولة في ولاية البوسنة ص ٠٢١

٧٥٤ مجلة العقوبات السلطانية بند ٤٥٢

٧٥٥ سنة ١٦٧١/٢م ثمة عدوى بين الحيوانات فقرر بعض أهالي سراييفو كما يكتب باشيسكيا أن يتخلصوا من جثثها فلم يستطع الرجل أن يمشي في الشارع من الحيوانات الميتة ، مصطفى شوقي باشيسكيا المرجع السابق ص ٧٦

٧٥٦ أرشيف البوسنة آ أ غ ك ر ١٢/٣٦

مشكلة تلوث المياه أيضاً كانت موجودة كما يفيدنا سجل ملا محمد ميتسفيتسا وأن السكان هم من تسبب بهذا لأنفسهم ، وتشير وثيقتان من هذا السجل إلى ذلك ، أولاهما أمر قاضي سراييفو مصطفى أفندي محببي لإمام جامع الملك وسكان حارة الملك والذي جاء فيه: «في حارة الملك عند خان خارينجيسكي ثمة سبيل للماء حيث تقوم نساء الذميين الساكنين في الغرف المستأجرة بغسل حفاضات الأطفال وبعد الغسيل يتركن وراءهن الأوساخ ووفقاً لتصريح حارس الخان (النزل) فإن هناك بعض النزلاء يقضون حوائجهم (يتغوطون) فيخربون المحيط بشكل عام فالأمر لهؤلاء هو تنظيف المحيط، وكل مخالفة قادمة سيتم استدعاءهم ليراجعوا القاضي[٧٥٧] »، والوثيقة الثانية تثبت واجب سكان الحي في تنظيف الحي وهي مرسلة للأئمة ورؤساء الحي لقلعة فراتنيك حيث جاء فيها : «بعض الأسر ترمي أوساخها إلى نهر موششانيتسا ويلوثونها خاصة عند الأمطار الغزيرة حين يلقي النهر بأوساخهم إلى الشواطئ فيسيئ إلى السكان ومنظره قبيح جداً ، لذلك نأمر السكان في منطقة بوجهانة إلى حارة شيخ مصلح الدين في بلوتشا أن ينظفوا مجرى النهر يوم الإثنين[٧٥٨]» .

مما سبق رأينا أن سكان المنطقة أخبروا بالأمر عن طريق الأئمة ولم يستثنى أحد من الأمر كما رأينا الفترة الوجيزة لتنفيذه مما يدل على أن العقوبات كانت تطبق على الفور ، إلا أنه لم يرد في المصادر نوع العقوبات المفروضة على الرعايا الأجانب بالرغم مما وجدناه في الوثائق من معلومات عن الرعايا الأجانب في سراييفو تفيد بأنهم كانوا يرمون النفايات أمام متاجرهم في السوق ويعطون صورة قبيحة للمدينة [٧٥٩].

ولإلقاء الضوء على أعمال الشغب والقتال في الشوراع تورد المصادر أنها كانت مشكلة[٧٦٠] غالباً ما تقع بين الرعايا الأجانب والسكان الأصليين ، ورغم كون الرعايا الأجانب يتقاتلون فيما بينهم بسبب شرب الخمر قلما يكون ذلك في الشوارع، بينما يندر ذلك بين السكان الأصليين ، ونظراً لصعوبة العثور على الطرف المذنب في الشجارات كانت العقوبات شفهية ويوبخ الطرفان ، وبعض الأمثلة المسجلة في الوثائق تفيد أن شجار جرى بين الجندي التركي أحمد والنجار يور

٧٥٧ أ إ س ز آ ن أ ب إ هـ سجل محمد ميتسفيتسا رقم ٧٣٢ ، ل ٩٦ ب للأسف السجل المذكور هو المصدر الوحيد الوثائقي على مثل هذه المعلومات لفترة ما بين ١٦٨١ ـ ٩٦٨١م فاضطررنا أن نستعمله وهو من العقد الخامس للقرن التاسع عشر

٧٥٨ أ إ س ز آ ن أ ب إ هـ سجل محمد ميتسفيتسا رقم ٣٧٢ ل ١٧ ب ٥٤٨١

٧٥٩ تشكو الحكومة البوسنية تصرف النجار لوسيا غرماني الذي يرفض تنظيم المساحة أمام محله ، أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٧٩٢١/٥٦ ، ٥٠٢/٦٦ ،/ شوارع المدينة تنظف ولكن الناس يرمون الأوساخ فيها تخلص جريدة سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٢٣ ، ٩٦٨١/٨/٧م ص ٢

٧٦٠ عن أعمال الشغب في المقاهي انظر في الكتاب

ليكيتش وهو من الرعايا الأجانب ، وأثبت التحقيق أن كلاهما مذنب ويجب معاقبتهما، ولم تشر الوثائق كيف عوقب الجندي احمد أما يورليكيتش فقد وبخ شفهياً على فعلته[٧٦١] ، وبسبب ضرب حارس المبعوث البريطاني من قبل موظفي الأمن المحليين كان الحادث مناسبة لإصدار بيان احتجاج من قبل جميع المبعوثين الدبلوماسيين في المدينة[٧٦٢] وكان رد الفعل هذا كافياً ومرضياً للحارس لأنه لم يطلب التعويض أو معاقبة المرتكبين .

أحياناً كان الرعايا الأجانب يثيرون مشاكل بسبب طبيعتهم البعيدة عن تحمل مزاح الأطفال ، وتشير المصادر أن مثل تلك المشاكل حصلت للضابط كاؤوديتش في طريق عودته من إليجا ، حيث رمى الأطفال في حارة شيجيك سيارته بالأحجار، ولكن لم يصيبوه بل أصابوا الجالس بجانبه لودفيغ ماتيتش[٧٦٣] ، وقد غضب لودفيغ لدرجة أنه رفض الحضور إلى المحكمة في قضية إصابته في الرأس بالأحجار وقتها ، أما كاؤوديتش فقد سخر منه وقال : إنه يحبذ حضور الحفلات بدلاً من المحكمة[٧٦٤]، وقد حصل هذا الحادث سنة ١٨٦٩م وهو يعبر عن موقف التعجرف من قبل المبعوثين الدبلوماسيين في سراييفو تجاه السكان المحليين كما نقلت جريدة سراييفسكي تسفيتنيك حادثاً كاملاً من هذا النوع وجاء في الجريدة: «كان حسين وهو ابن محمد جولتون من السكان المحليين ويعمل حذاءاً قد مشى يوم الجمعة ٢٨ من الشهر الماضي من متجره يحمل سلة بمنتوجاته وعبر جسر لاتينسكا [٧٦٥] واصطدم بالسيد المبعوث للحلف الألماني الشمالي وهو راكب على فرسه ، وهاجمته فرس السيد المبعوث ولا ندري هل من طبيعتها أم كان تصرف حسين خلال حمله السلة قد هيجها فبدأ المبعوث يضرب حسين بسوطه ، التف السوط حول عنق المسكين واسقطه المبعوث على الأرض ووقع تحت أقدام الفرس وتلطخ بالطين ، وقام بعدها ودون أن يرد عليه المبعوث و صار يمشي في طريقه غير أن المبعوث لم يكتف بهذا وتابعه إلى نهاية الجسر يضربه حتى أجبره على النزول في النهر ، ولا نعرف بأي قانون أو نص يتصرف المبعوث هذا التصرف حتى يفعل بالرجل هكذا [٧٦٦] ؟ ورغم كون المبعوث الألماني حاول إنكار الموضوع وعلق تعليقاً لا يتجاوز سطراً قال فيه : الغلام ضرب الفرس ولم أضرب الغلام [٧٦٧] « ، وهذه القصة توضح مواقف وسلوك بعض الأجانب تجاه السكان المحليين[٧٦٨] .

---

٧٦١ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر ٢٦/٢٠٦، ٢٦/٧٠٧

٧٦٢ تيبيتش إبراهيم نسخة الوثائق ، من أرشيف فنشي بوليشك روسي في موسكو٠٦٨١ ـ ٠٧٨١ سؤاييفو ٤٦٨١م ، ٢١٨ ، ٢٥١ ـ ٣٥١

٧٦٣ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر٧٦/٩٠٨

٧٦٤ أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ ك ر٧٦/٣٦٨

٧٦٥ غالباً هذا خطأ مطبعي والمقصود هو سوق شورشية

٧٦٦ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٤، ٤/٢١/٩٦٨١م ص١

٧٦٧ سراييفسكي تسفيتنيكرقم ٠٥ ، ١١/٢١/٩٦٨١م ص ١

٧٦٨ هذا القول تؤيده الحقيقة أن سنة ٤٥٨١ قام الموظف من البعثة الفرنسية و صديقه و هو

وإضافة إلى المشاكل المذكورة ، هناك بعض مشاكل أوردتها جريدة بوسانسكي فيسنيك على أنها مشاكل الناس اليومية وقتها وأنه يستلزم السلطات معالجتها ، حيث أوردت الجريدة : «أن الطريق المؤدي من جسر الملك إلى شارع تشليهان في حارة شمالوشا ثم إلى الجادة الرئيسية تم تمهيده بالرمل بدلاً من الطريق الحجري لكي تسهل قيادة العربات عليه ، غير أن جفاف الجو والرياح تسببت بالغبار الكثيف، وهذا الأمر يمكن أن يعالج نظراً لوجود عدد من سبل الماء وقرب النهر وذلك بأن تصب المياه عليه حتى يكون معبداً وصلباً ولا يفسد الغبار بذلك عمل المحلات التجارية في ذلك الطريق[٧٦٩]».

كما أوردت الجريدة أنه من المشاكل في تلك الحقبة : الإسراع في الطريق من قبل أصحاب العربات رغم أن شوارع المدينة ضيقة إلى حد كبير فتحدث الحوادث ، سلمنا من إحداها قبل فترة ـ على حد تعبير الجريدة ـ إضافة إلى ذلك يقوم الناس بتحميل الخيول بأكثر مما تتحمل من الأشياء ذوات الحجم الكبير فيضيقون على المارة ويسببون الأضرار الأخرى ، ونعتقد أنه من الأفضل أن تقرر الأماكن الأخرى للحمولة الكبيرة أبعد من السوق ويراقب الأمر من قبل الشرطة[٧٧٠] ، وإضافة إلى هذه المشكلة ظهرت عادة في سراييفو أثناء شهر رمضان حيث يشترى الأطفال وأحياناً الكبار المخروط المتفجر (باشا تلاما) ويحرقوها لتنفجر أمام الناس والخيل المحملة وغير المحملة ، وهذه العادة تؤذي الناس وتحصل أعمال الشغب نتيجة لها ، وقد تتسبب شرارة من هذه الألعاب بالحرائق إذا ما وقعت على المواد القابلة للاشتعال في المتاجر، وعلى كل حال فإنها تسبب رائحة كريهة في الشوارع وباختصار فهي مضرة جداً خاصة أن صنع مخروط متفجر وبيعه واستعماله محظور بالقانون[٧٧١].

كذلك من الرعايا الأجانب بضرب الحارس الليلي في ميدان سراييفو مات المسكين بسبب الإصابات وقد ادعى أن أحد حاول الاعتداء عليهم ولم يتصرف الحارس كما ينبغي ، أرشيف البوسنة والهرسك آ أ غ كر ٤٥/٤٢٦

٧٦٩ بوسانسكي فيسنيك ٢/٧/١٦٦٨م رقم ٣١ ص ٠٠١

٧٧٠ المرجع السابق

٧٧١ البوسنة رقم ٣٨١ ، ٣١/٢١/٩٦٦٨١م ، ١ ـ ص ١



٩,١ المحكمة



٩,٢ النساء في الشوارع مع القناديل الاسطوانية

X

الكوارث الطبيعية

كانت الكوارث الطبيعية سبباً منطقياً في وجود الخوف بين أهالي سراييفو والشعور بعدم الاستقرار ، وينبغي أن ننبه أن الكوارث الطبيعية هي من إرادة الله كما أنها إرشاد إلهي لبعض الناس والمجتمعات ، وقد أفادنا تحليل المعلومات التي اطلعنا عليها في المصادر أن الحرائق والأوبئة (تم تناولها سابقاً) كانت من أعظم المصائب التي تلم بالمدينة ، وبعدها تأتي الفيضانات والزلازل والتي كانت قوتها التدميرية أقل من الحرائق بكثير .

الحرائق

حاول أهالي سراييفو أن يحموا أنفسهم من خطر النار إذ أن جميع المدن الكبيرة في الدولة العثمانية شهدت حرائق وخاصة اسطنبول في كثير من الأحيان[٧٧٢]، وفي سنة ١٥٧٢م صدر أمر من اسطنبول يفرض بموجبه أن يمتلك جميع أصحاب البيوت سلماً وإناءاً كبيراً مملوء بالماء حتى يتسنى لهم أن يقوموا بشيئ عاجل في حالة أن شب حريق بدل الصراخ وطلب المساعدة فقط [٧٧٣] ، ومن الإجراءات الوقائية انتقاء نوعية المواد التي تصنع منها البيوت التي كان أغلبها خشبية ، وقد صدر قرار بهذا الشأن عدة مرات في سنة ١٦٢٦م وبداية القرن الثامن عشر غير أن الناس لم يلتزموا بهذا القرار[٧٧٤]، وكانت طريقة بناء البيوت بالتحديد سبباً في إحداث أكبر الحرائق لكون المادة الأساسية فيها كان الخشب ، وقد حدثت الحرائق في سراييفو عدة مرات منذ تأسيسها

٧٧٢ شاهدت أن في مثل هذه الأحداث وفقاً لإرادة الله تجري بعض الأمور ، على سبيل المثال وافق شنق الأخوين موريتش حصول الزلزال وحصل الأمر نفسه عندما سجن هذين الشخصين ، وفي الخلاصة معروف لدى الجميع أن الله تعالى هو الحق ولا يرضى الظلم ولا يصبر عليه حتى ولو كان في سبيل الحماية للنظام ، ملا مصطفى باشيسكيا المرجع السابق ص ٩٥١

٧٧٣ حصلت الحرائق في جميع المدن ، لم تحدث الحرائق في توزلا في العقد السابع من القرن التاسع عشر ولكن حصل اثنان في السنة اللاحقة ، ذكرياتشيفكو سرنوغرشيفيتش ص ٥٤

٧٧٤ فيسنا ميؤفيتش المرجع السابق ص ٥٢٢

وعبر تاريخها[٧٧٥] ،ورغم عدم وجود الحرائق المدمرة في العقد السابع من القرن التاسع عشر خلافاً للعقد الذي سبقه إلا أن ثمة حرائق صغيرة حصلت مما استدعى اتخاذ التدابير الواقية في اندلاع الحرائق وذلك ببناء الطابق الأول للبيوت من الحجر، غير أن الأمر كان مكلفاً لأهالي سراييفو، إلا أن العادة جرت ببناء المستودعات من الحجر[٧٧٦] ، أما أغلبية الفقراء الذين لا يستطيعون تحمل تكلفة البناء فكانوا يبذلون محاولات لدفع الحرائق عن ممتلكاتهم بوضع المكتوبات من الطلاسم اعتقاداً منهم أنها تحمي الدار من الحرائق[٧٧٧].

كان اندلاع الحرائق أكثر وقوعاً في موسم الشتاء وهذا أمر منطقي باعتبارأن الغرف في البيوت تتم تدفئتها بإحراق الحطب ويكفي أن تقع شرارة على أثاث الغرفة فتحرق الدار بكاملها ، ومن التدابير التي اتخذت أيام الشتاء ما نشرته جريدة البوسنة بعنوان الإنذار وجاء فيه : «في هذه الأيام الباردة يضطر كل واحد أن يوقد النار بالحطب لتدفئة البيت حفاظاً على صحته ، ولكن لا بد ودرءاً للكوارث أن يتنبه إلى الموقد ونظافته وإلى المدخنة وسائر أجزاء آلة التدفئة والحفاظ على نظافتها ليخرج الدخان بشكل طبيعي وإبعاد الخرق والمواد المشتعلة ، وقبل الذهاب للنوم يجب التأكد من أن النار قد هدأت في الموقد ومراعاة طريقة اشتعال الحطب والتأكد من أن الشرر لا تخرج خارج الموقد ، وفي حالة حمل التدفئة من غرفة إلى غرفة لا بد أن يحافظ الحامل عليها حتى لا تسقط منه أو تتطاير الشرارات ، وبعد التأكد من هذا يمكن لأهل البيت أن يرقدوا بأمان ، أما خلال النهار وفي المتاجر التي فيها مانجالا(نوع من المواقد) يجب أن ينتبه الناس لها ليلاً حين إغلاقها حتى لا تبقى فيها شرارة واحدة ، وعلى حراس الليل (باسفانجيا) أن يتجولوا في السوق الذي كلفوا بالحراسة فيه ولا يجوز لهم الجلوس في مكان واحد وإذا لاحظوا النار في موقد عليهم أن يعلموا الجيران فوراً ثم إخبار المحكمة ، وفي حالة اندلاع الحريق بسبب تقصير الحراس يجب معاقبتهم وفقاً للقانون ويطلب من السلطة أن تؤكد على هذا وتعلن عنه «.

وكان من عادات النساء ترك أولادهن في البيت وهم صغار السن عند زيارتهن للجيران وغالباً ما يكون الأولاد في المهد أو أعمارهم لا تتجاوز سنة او سنتان ولا يمكنهم أن يحفظوا أنفسهم ولا البيت ، وبسبب تعودهن على هذا الفعل عرضن الأطفال للتهلكة لأن الأطفال يرغبوا

٧٧٥ المرجع السابق

٧٧٦ احترقت دار باشيسكي بالكامل في حريق حارة شكالوشا ، ملا مصطفى ضوقي باشيسكي المرجع السابق ص ٥٧٢

٧٧٧ ما يدل أن الحرائق كانت كارثة حقيقية تدور في أذهان الناس نفهم الخوف حتى عند بناء البيت حين يضعون الأوراق المكتوبة عليها التعويذات من الحرائق كما وجدنا في قواعد أحد بيوت اليهود في فراتنيك إ آ س آ محجموعة فريا وثيقة رقم ٤٦٢

عادة باللعب بالموقد ، وقد شمل الإنذار السابق هذه الحالات بحيث أشار إليها بالتالي : «هذا التصرف مع الأطفال ليس عاقلاً ولا إنسانياً لذلك ننبه النساء أن يتصرفن تصرفاً لائقاً بهذا الصدد[٧٧٨] »، وندرك من هذا الإنذار معظم أسباب اندلاع الحرائق فلا نطيل في وصفها ، وعند اندلاع الحرائق يكون إعلام الناس باطلاق النار من المدفع ليحضر أكبر عدد ممكن من الناس ليساعدوا في إطفاء الحريق .

وعن الطريقة التي عالجت بها السلطات تلك الحرائق تنفي جريدة سراييفسكي تسفيتنيك الوصف الذي قدمه المبعوث الإنجليزي عن خدمة الإطفاء في المدينة حيث أورد في تقريره الذي قدمه لحكومته ونقلته مجلة حقائق الوقائع إدعاءات بأن في سراييفو آلة واحدة لإطفاء الحرائق، وفي الثكنة العسكرية هناك أداة لإطفاء الحريق على شكل الخطاف، بينما تصف الجريدة في ردها وتقول أن هناك ثلاث آلات للإطفاء ووزعت بالطريقة التالية ١) أمام جامع غازي خسروبيك في متجر البندقي مالاغا ٢) في مخفر الشرطة مع المعدات للإطفاء والأدوات الأخرى ٣) في المستشفى.

وإكمالاً للصورة تضيف الجريدة أن معظم الحرائق تم إطفاؤها بفضل السكان ويشرف على إطفائها الضباط العثمانيين والجنود الذين لهم ثقة من السلطة والشعب على حد سواء[٧٧٩]، ويذكر روسكيفيتش في وصفه لإطفاء الحرائق أن ثمة براميل للمياه وهناك خرطوم لتوصيلها ويعلن عن الحريق بإطلاق النار من المسدس أو البندقية أو المدفع[٧٨٠]، وفي الفترة ما بين ١٨٦٠ ـ ١٨٧٠م سجلت اندلاعات الحرائق سبع مرات ثلاثة منها في نوفمبر ومرة في يناير وثلاث مرات في شهر مارس، واحترقت ستون متجراً وخمسة عشر مستودعاً وعشرة بيوت[٧٨١] والزاوية الصوفية وقتل فيها شخص في الحريق ، كما أن أكبر عدد من المتاجر احترق في حريق نوفمبر سنة ١٨٦٦م وذلك حين اندلع حريق بعد ساعة من مغرب يوم الثلاثاء في الثامن والعشرين من الشهر في السوق الرئيسي في سراييفو ، وقامت السلطة المحلية بالخطوات اللازمة لإطفائه وإيقاف الحريق.

وفي السنة التالية شب حريق كبير وقام المشير وهو القائد العام للجيش في البوسنة والوالي شخصياً بالإشراف على الإطفاء ولكن الحريق ورغم الجهود المبذولة أتى على موقع المتاجر

---

٧٧٨ البوسنة رقم ٩٧ ، ٢/٢١/٧٦٨١م ، ٠٢ ص ١

٧٧٩ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ١٥ ، ٢٧٨١/٢/٩١م ص٢

٧٨٠ يوهان روسكيفيتش المرجع السابق ص ٧٦١

٧٨١ بينما كان بيت امرأة اسمها صديقة يحترق في حارة فاروشكا حاول انتهاز الفرصة أحمد تاتار ليسرق الشيئ من مستودعاتها فحكم عليه بالسجن مدة ستة أشهر ، البوسنة رقم ٥٨ ، ٨٦٨١/١/٦١م ص١

ولكونها متلاصقة ببعضها تسبب باحتراق ٢٢ متجراً و٣ مستودعات و٦ محلات و١٢ مستودعاً تم هدمها كاملاً في الحريق [٧٨٢] ، وبعد فترة وجيزة حصل حريق آخر احترق فيه ٣٠ متجراً وقتل شخص خلف زاوية غازي خسرو بيك[٧٨٣] ، ومن أعظم الحرائق في سراييفو الحريق الذي اندلع في القرن التاسع عشر وتحديداً سنة ١٨٧٩م وتم السيطرة عليه بفضل خدمة الإطفاء النظامية مع عدم انتقاص من الجهود التي ساعد بها الناس بعضهم البعض أثناء التعرض لتلك الكوارث[٧٨٤] .

الفياضانات

قلما تحدث الفياضانات في سراييفو ، والفيضان الوحيد الذي حصل في الفترة التي ندرسها كان في أكتوبر سنة ١٨٦٩م حين حصل انجراف الأرض فوق حارة بيستريك وتدفق الماء على شكل النهر الأصغر الممتلئ بالطين فملأ المكان بالأحجار الكبيرة ، وخرب الجسور والسياج والمجرى بجانب الثكنة العسكرية ونزلت المياه على جسر الملك ، وامتلأت الشوارع بالأحجار والرمل[٧٨٥] ، وبسبب هذه الحادثة المؤسفة تشكلت لجنة من الشخصيات التالية : متصرف السنجق (رئيس الإدارة المحلية) وعدد من الموظفين والمهندسين وعدد من المواطنين[٧٨٦] ، وقدرت اللجنة الأضرار الناتجة واتفقت مع المهندسين حول طريقة الإصلاح للمنطقة ، وقد كتب كوستا حاج ريستيتش في إحدى رسائله عن ذلك معتبراً أن الأمطار الغزيرة قد تسببت بالفيضانات[٧٨٧] ، ويعتقد أن البيوت في بيستريك أكثر تعرضاً للخطر .

---

٧٨٢ البوسنة رقم ٤٢ ، ١٨٦٦/١١/٥م ، ٤٢/٠١ ص٢

٧٨٣ البوسنة رقم ٠٨ ، ١٨٦٧/٢١/٢م ، ٠٢/١١ ص١

٧٨٤ بعد أن احترق بيت أحد فقراء اليهود جمعوا له المال ليبنى له بيت جديد ، البوسنة رقم ٢٤ ، ١٨٦٧/٣/٩م ، ٧٢/٢ ص١

٧٨٥ سكاريتش يكتب أن الجرف حصل في نوفمبر سنة ١٨٦٩م غير أنه مخطئ باعتبار أن الجرائد تذكر أنه خصل في أكتوبر ٠١/٣٢ ، قارن فلادسلاف سكاريتش المختارات ١ ص ٤٦٢

٧٨٦ سراييفسكي تسفيتنيك رقم ٣٤ ، ١٨٦٩/٠١/٣٢م ص ١

٧٨٧ إ آ س آ ، ز هـ الرسائل الخاصة

نظراً لعدم وجود الآليات الحديثة[788] التي ترصد قوة الزلازل آنذاك نكتفي بالقول أنه حصلت عدة زلازل صغيرة في سراييفو وقتها ولم تسبب الأضرار البتة[789] ، وحتى في الحالات الموصوفة بالمصادر أنها زلازل قوية لم تسجل أي خسائر بشرية أو مادية[790] ، بينما كان الزلزال الوحيد المسجل من هذه الفترة هو ذاك الذي حصل في أبريل سنة ١٨٦٨م ولم تنتج عنه أي أضرار[791] ، وعلى النقيض فإن عدد الضحايا الذين يصابون بسبب الرعد أكبر من ضحايا الزلازل ، وقد نشرت جريدة بوسانسكي فيسنيك الصادرة يوم الأحد ١٨٦٦/٧/١٧م أن المطر قد نزل ورافقه نزول البرد وأصابت الأرض بعدها صاعقة وقتلت اثنين من المحمدين (المسلمين)[792] ، كما أن تغير الجو باستمرار أضر بالمزروعات بينما أضر الثلج الكبير بالفقراء وبيوتهم ضرراً حقيقياً[793].

رغم أن بعض الحوادث آنفة الذكر تبدو من منظورنا المعاصر أنها طبيعية ، إلا أن الناس ربطوها بالسماء وببعض المعتقدات وشبهها بعضهم بأشياء معروفة لديهم حتى تبدو أبسط

---

٧٨٨ أول دار المؤقت بناها محمد فاضل باشا شريفوفيتش سنة ٠٥٨١م وعملت حتى الحرب العالمية الثانية وبنيت الثانية ٩٥٨١م من إيرادات وقف غازي خسرو بيك ، محمد كانتارجيتش قلعة الساعة ودار المؤقت لغازي خسرو بيك وطريقة تحديد الزمان في مجلة رقم ٢ ـ ٣ سراييفو ٨٧٩١ ص ٥٧١

٧٨٩ بعد المغرب بـ ٥٣ دقيقة أو نصف الساعة في الحادي عشر واليوم الخميس حصل الزلزال في سراييفو والحمد لله لم تحصل الأضرار ، البوسنة ٦٧ ، ٧٦٨١/١١/١١م ، ٠٣ ص ١

٧٩٠ قبل بضعة أيانم شعرنا بثلاثة أو أربعة زلازل وبدون أضرار ، بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٧/٠٣م رقم ٧١ ص ١٣١

٧٩١ ح. كريشيفيلياكوفيتش ، الحرائق والفيضانات والأمراض المعدية في سراييفو ص ٠٥١

٧٩٢ بوسانسكي فيسنيك ٦٦٨١/٧/٠٣م سنة ١ ، رقم ٧١ ص ١٣١

٧٩٣ كم سببت العواصف الشتوية من الأضرار ندرك من المقالة التالية : كم سبب الصقيع من الأضرار في البوسنة ، أهلك جميع الفواكهوكثير من المزروعات ، البوسنة رقم ٢ ، ٦٦٨١/٦/٤م ص ٢ ، هطلت الثلوج هذا الأسبوع مرتين ليلاً ونهاراً ارتفاعها الآن خمسة أقدام ، أغلقت جميع الطرقات ويأتي الناس ويذهبون من سراييفو بمشقة كبرى ، سقطت بعض البيوت من ثقل الثلج ، البوسنة رقم ٤٨ ، ٦٦٨١/١/٦م ، ٥٢/٢١ ، هذا الصباح ١/٥٠ ثمة صقيع شديد أضر ضرراً كبيراً هلكت المزروعات وثمار الحدائق والفواكه والعنب كلها ، يمكن لبعض المزروعات أن تزرع من جديد ولكن لا بد من شراء البذور الجديدة ، ٦٦٨١/٥/٤١م رقم ٦ ص ٢٤، مرالتشا كله دون المطر في سراييفو ولم يعهدوا هذا الوضع منذ فترة طويلة.

في رؤيتهم ، وبحسب ما أوردته مجلة البوسنة بتاريخ ١٨٨٦/٧/٩م : «هذا الشهر وتحديداً يوم الأربعاء ظهرت في السماء من جهة الشرق ظاهرة شبيهة بالخشبة النارية واختفت خلف التل سريعاً، وفي اليوم التالي ظهرالشيئ نفسه غير أنه شبه الصينية ورؤيت علامة عليها شبيهة بالعلم الملون[٧٩٤]»، وتستطرد المجلة بالحديث عن ذلك بقولها : «ولعل ذلك كان من الشهب التي عدها الناس من عجائب دهرهم وذكروا أنه في السادس من الشهر الجاري قبيل يوم الأربعاء طارت الشهب الكثيرة بالآلاف ورأى ذلك أهالي سراييفو ، وقاموا بعد مائتي وأربعين ألف شهاب في تسع ساعات عدها أناس يهتمون بهذا الأمر[٧٩٥] «، ورغم كون علم الفلك كان متقدماً في الدولة العثمانية إلا أن بعض الظواهر لم تكن تفسر بالطريقة العلمية الفلكية وإنما اعتبرت عجائباً ، ورغم ذلك لا يمكننا إغفال الخوف الذي شعر به السكان بسببها لأنهم لم يفهموها كما هي كظواهر طبيعية وقد حاولنا تقديمها ضمن المشاكل اليومية التي تعرض لها أهالي سراييفو إلى جانب المشاكل التي كانت نتاج تصرفات البشر وهي جزء من الحياة اليومية لأهالي سراييفو.



١٠,١ وادي بيستريتشكي

٧٩٤ البوسنة رقم ٧، ١٨٨٦/٧/٩م ، ٧٢/٦ ص٢

٧٩٥ البوسنة رقم ٦٢ ، ١٨٨٦/١١/١٩ ، ٧ ص١

XI

الخلاصة (الاستنتاج)

هدف دراستي كان تقديم الصورة للحياة اليومية لأهالي سراييفو في الفترة ما بين ١٨٦١ ـ ١٨٦٩م ، الحياة اليومية باعتبارها جزء من علم تأريخ الوقائع لم تدرس في دوائرنا العلمية لذلك بدت الحاجة واضحة لأن نلتفت إليها إضافة إلى الحياة السياسية باعتبارها تمثل الخطوط العريضة في تاريخ الوقائع إلى هذا الجانب أيضاً ، ونعتقد أنه بالإمكان وبعد الاستفادة من مثل تلك الدراسة أن يتم إلقاء الضوء على هذا الجانب الحيوي والآلية الداخلية في التقدم السياسي والاقتصادي والثقافي لأن هذا الجانب ساعدنا في فهم الأحداث في المجتمع لكونه يتحكم في التقدم في كافة المجالات حتى السياسية منها والاقتصادية والثقافية، كما قدمنا النتائج الأساسية لبحثنا في الأبواب العشرة مع أن الباب الأول (سراييفو في العقد السابع من القرن التاسع عشر) يمكننا اعتباره مقدمة لأننا أوردنا تاريخاً موجزاً لسراييفو منذ تأسيسها إلى الفترة المقررة دراستها ، وأثبتنا عن طريق مقارنة الوضع السياسي في هذه الفترة بالعقود التي سبقت أن الوضع كان مستقراً ولم تسجل حالات التمرد أو أعمال الشغب الأمر الذي انعكس ايجابياً على نمو المدينة وخاصة على التطورات الحديثة التي شهدها ذلك العقد في البوسنة عموماً وفي سراييفو خصوصاً .

هذه الفترة هي فترة بناء الطرقات ، إقامة الخطوط التلغرافية ، بناء أول مستشفيات مستشفى المدينة والمستشفى العسكري، والإصلاحات في النظام التعليمي ، وهو زمن وصول آلة الخياطة الأولى وفتح المصبغة ومصنع البيرة ومحل التصوير (في سنة ١٨٦٧م كلفت الصورة الواحدة ٤٠ غروشاً)، وفتحت دار المؤقت من إيرادات غازي خسرو بيك وأسس صندوق لدعم الفقراء من أهالي سراييفو ، كما أحرز تقدماً جيداً بفتح أول مطبعة وصدور الجرائد الأولى مثل البوسنة وهي جريدة رسمية وبوسانسكي فيسنيك وسراييفسكي تسفيتنيك وهو تقدم هام في التعليم والتثقيف في البوسنة وتاريخها ، وشهدت الفترة كذلك اختلاطاً في كافة نواحي الحياة بين النمط التركي والإفرنجي مما أنذر بوقوع التغيير الجذري في المجتمع وبصدى سياسي كذلك.

مجال الحياة الخاصة وهو موضوع الباب الثاني تناولنا السكن باعتباره مساحة تجري فيها الحياة الخاصة لكل فرد ، داخل السكن هناك تقسيم على مساحة مخصصة للرجال ومساحة مخصصة للنساء أي على أساس الجنس ثم ينطبق التقسيم على باحة البيت وحديقته حتى في الجانب

القانوني ووفقاً للمبدأ نفسه ، تم ترقيم البيوت في هذه الفترة حيث أوجبت السلطة الحصول على ترخيص لبناء البيوت ثم رأي المهندس في مخطط البناء، ورغم كون البيوت لها توزيع تقليدي وبنيت من المواد المعتادة نجد في الفترة بيوتاً من الطوب مع إدخال للأثاث الأوروبي ، بالطبع حجم البيت وأثاثه يتوقف على الوضع المالي لصاحبه ، وعلى الرغم من هذا كان بعض الأشخاص ذوي الأموال يبنون بيوتاً أكبر من مرتبتهم في المجتمع مما أثار غضب الأغنياء وأشراف القوم ، وتوزيع البيت من الداخل كان يهدف إلى حماية الساكنين من أنظار الغرباء من الخارج وخصوصية البيت وحتى ضيوفه، وبتحليل المعلومات توصلنا إلى القول بأن كل غرفة فيها الأثاث نفسه تقريباً على حسب الإمكانيات المادية لصاحب الدار والفارق كان في قيمة الأثاث ، وباعتبار المنزل محيطاً تتحرك فيه النساء تم ترتيبه بحيث يعطي انطباعاً بالخروج إلى الطبيعة ، لم تتدخل السلطات في العلاقات الأسرية كما جرى أيضاً في القرون الماضية .

كما لاحظنا التقدم الوحيد وهو الإحصاء الذي جرى سنة ١٨٦٧م حين تم إحصاء النساء أيضاً لأول مرة وبأسمائهن ، وحددنا مفهوم الأسرة وأن أفرادها يتقاسمون مساحة الحياة وتكاليفها ، ووفقاً لتحليل المعلومات حول عدد أفراد الأسرة أدركنا أن هناك أسر موسعة وأسر أساسية أي نوعان من الأسر ، الأسرة الأساسية تتكون من الوالدين وأولادهما والأسرة الموسعة تضم الأقارب وغالباً الأقربين منهم، ووفقاً للتقاليد يبقى الوالدان مع الإبن الأكبر غير أنها قاعدة لها استثناءات فمن الطبيعي أن يعيش الوالدان حتى مع صهرهما أو عدد منهم وأن يستقبل الأصهار أهالي زوجاتهم إلى بيوتهم ، والسائد أن معظم الأسر تتكون من الوالدين وأولادهما الذين لم يؤسسوا أسرهم الخاصة، وعن العلاقات في الأسرة أوضحنا أنها تحكمها قواعد صارمة وعادات عريقة تحترم من قبل الجميع ، ولا ينتقد الزوج ولا الزوجة أحدهما الآخر في العلانية بل يظهران الاحترام ،كما تحدثنا عن المشاعر التي تظهر إذا مات أحد الزوجين.

لم تختلف العلاقة بين الوالدين والأولاد عن هذا ، فقد ساد الاحترام جميع العلاقات وأكد هذا جميع الرحالة الأجانب في وصفهم للعلاقات غير أن ثمة تفضيل للذكور على الإناث ، ويعتبر الولد الذكر حامل لإسم العائلة وضماناً لاستمرار النسب فيحظون بالاهتمام الأكبر ، وتربية الأولاد كانت مهمة الأم ولكن بمجرد بلوغ الصبي يأخذ قسطه في المسئولية عن الإناث في الأسرة ، وبجانب هذه الواجبات يسمح للذكور من الأولاد أن يلعبوا في الشوارع وأن يذهبوا للسوق بينما تمنع الإناث منعاً باتاً من الأمر نفسه ، وبإطلاعنا على الأرشيف توصلنا إلى أن بعض الفتيات من الأسر الغنية كن محظوظات بوجود المدرسين الخاصين بهن ، حتى في المواد الدراسية كان هناك ثمة فوارق لأن مدارس البنات فيها مادة الأعمال اليدوية وتقام معارضها في آخر السنة واعتبر ذلك انجازاً كبيراً بينما تقدم الذكور بالامتحانات في اللغات الأجنبية والجغرافيا إلخ.... ، ورغم كون الأولاد

عنصراً مهماً في الزواج فإن الأسرة المتوسطة كانت تضم ثلاثة أولاد ونادراً ما كان العدد أكبر من ذلك خمسة أو ستة أولاد ، وهذه المعلومة لا بد من أخذها بعين الاعتبار لفهم نسبة الوفيات بين الأولاد لأن العدد يتعلق بالأولاد الذين عاشوا لا الذين ولدوا ، كما كان التبني موجوداً ويعلن عنه رسمياً أنه متبنى ، ولم تكن أسباب التبني محصورة على فقدان الولد بل يكون لأسباب أخرى وأكثرها وجود اليتامى في الأسرة حين يتبناه أحد أفراد عائلة حتى لا يبقى وحده فلا يمكنه الإقامة تحت سقف البيت لأسباب تقليدية ودينية دون عملية التبني ، وبتحليل الأرشيف حول العلاقات بين الأقرباء أدركنا أن صلة الرحم كانت توصل غير أنها لم تكن حميمة.

واعتبرنا الزواج وتحليل طريقة انعقاده مهماً لأن الزواج هدف الحياة لكل إنسان ، ووجدنا تقسيماً في هذا المجال على الطريقة التقليدية والمعاصرة ، بحيث كانت الطريقة التقليدية تتضمن كافة الخطوات قبل عقد الزواج منها التعرف على الزوجين (عشق فانيا) والخطبة وعقد الزواج نفسه، أما الزيجات المعاصرة فكانت تختلف عن التقليدية لعدم احترام الخطوات التي تسبق الزواج وغالباً يقدم عليها الرعايا الأجانب وعدد ليس بكبير من المواطنين المحليين ، وينعقد الزواج لأسباب منها الحب والإكراه والمصلحة ، بينما يحترم قرار العائلة في الزواج التقليدي ومرتبته في المجتمع تكمن في معرفة كل شيء عن الشاب أو الفتاة وهذا ليس موجوداً في الزواج المعاصر ، وعادة يتفق الزوجان على الزواج بعد التعرف بينهما ، ويطلب من الرعايا الأجانب لانعقاد زواجهم الحصول على الإذن من المبعوث الدبلوماسي الممثل لدولتهم والإثبات أنه أو أنها ليس متزوجاً أو متزوجة ، وأدركنا أن هناك أمثلة لمن يطلب الإذن وهو متزوج ولم يعتبر ذلك عاراً ولا يعاقب عليه ، أما الإكراه على الزواج فقد وجد وقتها ، وغالباً ما كان سببه العلاقة التي تحصل قبل الزواج مع بعض الرعايا الأجانب، وكان هذا مخالف لطريقة حياة الناس في سراييفو والسلطة الدينية وبعد ذلك تعلم البعثة به ، ونادراً ما تفشي النساء مثل هذه العلاقات مع موظفي البعثات الدبلوماسية وقد طلبن أن تجبر البعثة الرجل على الزواج ، ورغم ذلك لم تنته كل هذه العلاقات بالزواج ولكن في حالة وجود الحمل أو الولد تحصل الأمهات على حكم قضائي بتعويض متواضع (النفقة) . أما الزواج المبني على المصلحة فكان له وجود كذلك والمصلحة تكون مادية مثل العقارات وفرص الترقي في المناصب أو تربية الأولاد بعد وفاة أحد الزوجين ، وفي دراستنا قمنا بتحليل المعلومات عن الأعمار المتوسطة للزواج ، وبتحليل المعلومات من حارة علي باشا توصلنا إلى أن سن الزواج المتوسط كان ما بين ١٤ ـ ٣٣ للنساء وما بين ١٩ ـ ٣٤ للرجال ، والنسبة العليا حوالي ٣٥ ٪ في الفارق السني بين الزوجين هو خمس سنوات ، وختمنا الباب بموضوع الطلاق الذي رغم ندرة وقوعه إلا أنه حصلت حالات طلاق وتطرقنا للأسباب المذكورة في الوثائق : مغادرة أحد الزوجين ، الأحكام الدينية ، وفقدان الولد وغالباً كان سبب التفريق هو الموت .

ومن المثير للاهتمام أن الأرمل يتزوج من جديد ولا يختار فتاة صغيرة السن ، وأغلبية الزوجات في هذه الحالة هن فتيات تقدم بهن السن بينما تتزوج الأرملة فقط في الحالات التي لم يبلغ أحد أولادها سن الرشد ليهتم بأسرته ، وتوصلنا إلى نتيجة أن الزواج كان مكلفاً واستطاعت السلطات منع الإسراف فيه وتحديد المصروف الأدنى له.

ومن المظاهر المهمة والتي تدل على الوضع في سائر نواحي الحياة هو اللباس ، وأدركنا مدى تأثير الغرب على أهالي سراييفو من المسلمين وكم ضعفت السلطة العثمانية خاصة في سراييفو، ورغم كون منع ارتداء الملابس نفسها بين المسلمين وغير المسلمين لا يتكرر في الفترة المذكورة خلافاً للسابقة نعتقد أن السبب هو ضعف السلطة وعدم تقليد أغنياء النصارى لأشراف المسلمين بل قلدوا التجار الأوروبيين وقتها ، وأفادنا تحليل المعلومات المتعلقة بالملابس أنه بجانب تقسيمها إلى الرجالية والنسائية يمكن تقسيمها إلى الاحتفالية والمنزلية وملابس المنزل وملابس الشارع ، وأن الفوارق بين أتباع الأديان تظهر في تفاصيل اللبس للرجال بينما جميع النساء يغطين رؤوسهن بالغطاء، وقد ظهر النقاب وقتها أي في سنة ١٨٦٦م في سراييفو ، ودخلت الحلي في ملابس النساء وعبرت عن غنى البيت الذي تنتمي إليه المرأة ، ورغم الملابس المتواضعة للنساء خارج البيت إلا أنها كانت تلبس ملابس فاخرة أثناء الجلسات النسائية في المنزل ، والملابس أيضاً كانت تعبر عن غنى صاحبها ورتبته ، كما تمكن الفقراء من أهالي سراييفو من استئجار الملابس أو شراء الملابس المستعملة ، وشرحنا الملابس الأساسية التي تتكون من الملابس الداخلية واللباس الخارجي والبدلة ، ولم يكن بإمكان الجميع شراء الملابس الجاهزة بل كل ما كان يمكن أن يصنع في البيت يصنع ، وهناك الخياطون يفصلون الملابس على القياسات من القماش والحرير بينما نادراً ما تستعمل المواد الأخرى، ودخلت الأشياء الأوروبية إلى الاستعمال اليومي بين أهالي سراييفو خاصة الساعات والنظارات والشمسيات ، وأكبر تغييرات دخلت على الأحذية والبدلات باعتبار البدلات الافرنجية لبسها الموظفون العثمانيون إجباراً ، و قد تسبب الوضع في الفترة المذكورة بخليط غريب في الشارع في سراييفو وغلبة للموضة الأوروبية سريعاً خاصة عند الشباب والتجار النصارى ، وعلى الرغم من ذلك لا يمكن القول أن الملابس التقليدية غابت عن الساحة تحت هيمنة الملابس الأوروبية بل بقيت موجودة لعقود في المدينة وهذا نفهمه من شهادات الرحالة العديدة .

وبتحليل دفاتر التقسيم للتركة أدركنا أن الشخص مهما كان فقيراً إلا أنه امتلك شيئاً ،

مكان تحضير الطعام وطريقة طبخه من الأمور التي لم تتغير تحت تأثير الحياة الإفرنجية ، فطان الطعام يطبخ في المطابخ (مطوق) منعزل عن البيت ومتواجد في الحديقة ، وتعد الأطعمة في الفرن الطيني وفي الأواني النحاسية وتقدم في الأواني من المادة نفسها ، واشتهرت مدينة سراييفو

بالأواني النحاسية التي تعتبر من التحف الحقيقية ، وتقدم الوجبات خلال اليوم بفعل وجبة في الصباح وتقدم باكراً جداً والوجبة الثانية متأخراً بالليل بعد العشاء ورجوع صاحب البيت من عمله ، وكان الطعام متنوعاً وبمناسبة زيارة الضيوف تتبادل الأطعمة المالحة والحلوة على السفرة ، وكان الخبز يشترى من المخابز غير أنه غالباً يصنع في البيت ، ترتبط المخابز الكثيرة في المدينة بالمطاحن، ولأهمية الخبز في الطعام كانت السلطات المحلية ترسل لجنة التفتيش إليها وتثبت في تفتيشها أن الوزن ليس مضبوطاً والخبز ليس مخبوزاً كما ينبغي ، ومن أنواع المطحونات كان الدقيق أكثر ما يشترى ، ومن المواد النادرة في الطعام هو اللحم والسبب في ذلك سعره وبيعه بالقطع الكبيرة فلم يتمكن بعض السكان المحليين من شرائه ، كما أكل الناس السمك خاصة في سبتمبر ومن النوع المحلي النهري (باسترمكا) ، أما الفواكه والخضروات المأكولة على موائد أهالي سراييفو فكانت تزرع محلياً في حدائقهم ، فمعظم السكان لهم مزارع ولا تتوقف أسعار هذه المواد على سعر السوق ، وأكثر ما كان يزرع من الخضروات : الملفوف ، البصل ، الباميا ، الخس ، والفاصوليا البيضاء والخيار ..إلخ ومن الفواكه الخوخ والتفاح والفراولة والبطيخ والشمام ، وكثيراً ما أكل أهالي سراييفو وقتها الأطعمة الحلوة التي يصنعونها بأنفسهم أو يشترونها من صانع الحلوى (حلوجي) .

أما المنتوجات اللبنية فقد كانت نادرة والسبب هو سعر اللبن ، مع أن البيوت التي كانت تربي البقر والأنعام عددها ليس بالقليل في سراييفو وقد أكلت من هذه المنتوجات أكثر من غيرها ، ورغم تنوع الطعام إلا أنه كان متواضعاً والوجبات الاحتفالية كانت تعج خلال الأعياد أو لزيارة الضيوف ، وحتى العقد السابع من القرن التاسع عشر كانت الثقافة الصحية في سراييفو وفي ولاية البوسنة عموماً متخلفة جداً ، لذلك يمكن أن تعتبر هذه الفترة بداية المعالجة المعاصرة في بلدنا ، وهذا ينطبق قبل كل شيئ على فتح المستشفيين العسكري ومستتشفى المدينة حيث تمكن أهالي سراييفو من تلقي العلاج مجاناً ، ورغم جهود السلطات أن تنهي ظاهرة التطبب عند الأطباء الشعبيين غير المؤهلين عن طريق الإعلام والقضاء على الخرافات إلا أنها لم تنجح في ذلك فبقي مجال الصحة مجالاً يتغير ببطئ ، وغالباً ما يتعالج الناس عند الأطباء (الحكماء) وعند الحلاقين وفي الصيدليات أو بالشعوذة والطلاسم .

ارتاد الأغنياء المراكز الصحية خارج حدود ولاية البوسنة ، وعالج الحكماء وهم الأطباء الشعبيين الأمراض باستعمال الكتب الطبية وأجروا العمليات الجراحية الصغيرة مثل إخراج الأحجار من مجرى البول ونحو ذلك ، واهتم الحلاقون (بربر) بقلع الأسنان ومعالجة كسور العظام بجانب عملهم في الحلاقة وتقصير الشعر ، كما فتحت أول صيدلية في هذه الفترة : (عند الأسد) وكانت مرتبة ترتيباً أوروبياً نافست متجر الأدوية لعائلة بابلو ، وأفادنا تحليل قائمة الأدوية

في متجر بابلو أن فيه خليط من البهارات والأعشاب والمرهم المصنوع يدوياً إلخ ، وكان هناك ثمة خرافات منتشرة في المدينة ومعالجة بالشعوذة (سترافا ـ صب الماء على الحديد الساخن) وبالطلاسم وكانت لها أهمية كبيرة ، كما لعب الدين دوراً كبيراً في الثقافة الصحية فاعتبر المرض عقوبة مستحقة من الله ولم يلتفتوا إليه لأن ما هو قدر لا يمكن دفعه وهو المبدأ السائد في المواقف تجاه الأمراض ، وأشرنا إلى وباء الكوليرا الذي أصاب المدينة في هذه الحقبة، ورغم كونها استمرت شهرين إلا أنه مات بسببها مائتا شخص[٧٩٦] ، وحاولت السلطة أن تقاوم الخرافات فنشرت إعلاناً توضح أن هناك حوادث طبيعية لاعلاقة لها بالخرافات والمقالات المنشورة إلا أنها لم تلق آذاناً صاغية ، وحتى يومنا هذا إذا مرت الهرة السوداء أمام بعض الناس فإنه ينتظر أن يمر قبله أحد تطيراً وخوفاً من وقوع الشر في حياته ..

وفي الباب الثامن تناولنا الاجتماعات والحفلات واللقاءات باعتبارها تعكس الحياة الاجتماعية ، وذكرنا في هذا الجانب أن هناك اجتماعات تقليدية ومعاصرة ، حيث يعد في الأولى الحفلات الشعبية والأمسيات (تفيريتشة)، ويكون فيها التفرج على مسرحيات كاراجوز و على المهرجين ، وعادة تقوم الاحتفالات (تفيريتشة) صيفاً ومن أشهرها احتفال القديس إيلياء ويشارك فيه جميع أهالي سراييفو وكان يقام في منطقة هريد ، وتطرقنا للأماكن المخصصة للاجتماعات أيضاً مثل بريكا ، كوشوفو إلخ .. ، كما كانت تقام في الشتاء أمسيات مختلطة للرجال والنساء ، وكان قدوم مسرحيات كاراجوز والمهرجين إلى المدينة سبب لاحتشاد الناس ، حيث قدم مسرح كاراجوز الدمى بينما قام المهرجون بالحركات البهلوانية وجذبوا انتباه الناس والمارة ، وكانت الزيارات من هذا النوع للمهرجين نادرة الوقوع ولكن انتظمت منذ بداية القرن الثامن عشر ، ولم تحضر النساء هذه المناسبات واعتاد الأغنياء وقتها إحضار المهرجين إلى بيوتهم ليقوموا بحركاتهم البهلوانية في حدائق البيوت فتنظر النساء من النوافذ ويدفعون لهم أجراً مقابل ذلك.

أما الحفلات المعاصرة فعادة ما أقامها رجالات الدولة العثمانية والمبعوثون الأجانب وهم من رواد هذه الحفلات، وإضافة إليهم كانت توجه الدعوة للأشراف من التجار عن طريق الرسائل وبطاقات الدعوة ، وكان وقت تنظيم الحفلات غالباً إلى الساعة العاشرة مساءاً إذا كانت على الطريقة التركية وأحياناً تستمر إلى وقت متأخر ، إضافة إلى هذه الاجتماعات كانت تقام الحفلات الراقصة مساءاً وحفلات التنكر والبانكتات ، بعض الحفلات الغربية لم يكن هدفها الترفيه بل كانت تنظم لأغراض سياسية ، وبجانب هذه الاجتماعات احتفل الناس بأعياد الدولة وهي أعياد ميلاد السلطان أو أولاده ويوم توليه العرش ،حيث كانت تزين المدينة للمناسبة ويستمر الاحتفال ثلاثة أيام يدعو الوالي في اليوم الأول جميع أشراف المدينة إلى وليمة الغذاء

٧٩٦

في داره ، كما كانت عادة أهالي سراييفو إقامة الاحتفالات لاستقبال أو توديع الوالي والمبعوثين الدبلوماسيين أو الشخصيات البارزة والمقدرة من قبل أهالي المدينة .

وخلال حديثنا عن المقاهي اعتبرناها عنصر أساسي للحياة الاجتماعية في تلك الفترة ، ولم تكن أماكن لشرب القهوة وحسب بل أماكن الاستعلامات ومراكز المعلومات حيث تعرف الأخبار الجديدة على الفور ، وفي تلك الفترة فتحت المقاهي التي تتضمن القمار والبلياردو ، وكانت السلطات تحاول منع القمار وصدرت أوامر الحظر غير أنه لم يجد نفعاً ، وكان أشهر المقاهي وقتها مقهى الحاج شعبان وتقع على المدخل الشرقي للمدينة فتمكن زوارها من معرفة الأخبار الجديدة من الداخلين على المدينة ، كما زاد شهرة هذا المقهى موقعها لأن الفتيات يحضرن الغسيل إلى النهر بجانبه (نهر ميلياتسكيا).

وأثبتنا أن ثمة عمليات الصيد تنظم لصيد الذئاب شتاءاً بينما تنظم صيفاً مسابقة الرماية من بندقية شيشانا ورمي الأحجار من المناكب وبقية الهوايات التي يملأون بها وقت فراغهم ، مع التجارة والحرفة والأعمال في المدينة جاءت المصائب التي ترافق المراكز الاقتصادية والسياسية مثل الإدمان على الخمور والقمار والبغاء ونحو ذلك ، وواجهت المدينة هذه الظواهر بالروح الدينية النقية ووجدت حلول عملية لها ، وكانت تلك الظواهر تنتقد ويحاكم مرتكبوها قضائياً وإدارياً غير أن الحياة العامة تقبلتها على أنها جزء من الظواهر السلبية لكل مدينة منفتحة ، وأبدت المدينة مرونتها حتى في هذا الجانب أي تقبل أو ممارسة العادات الأجنبية وحتى المفاسد التي ترافق ذلك النمط من الحياة .

عرضنا مشاكل المواطنين كجزء أساسي من الحياة وكان أغلبها بسبب إساءة استعمال السلطة من قبل ممثليها وعدم احترام القانون من المواطنين أنفسهم ، فسوء استعمال السلطة أصاب أهالي المدينة في حالات الوفاة لأحد أفراد الأسرة حين يقرر الموظف المعين من السلطة وفقاً لديانة الأسرة قدر الضرائب التي يجب على الأسرة دفعها ، إضافة إلى مشكلة دفع الضرائب ثمة مشكلة كبيرة هو التفريق بين الذكور والإناث في الإرث كما هو مقرر في الشريعة الإسلامية ، وإذا لم تتفق الأسرة على طريقة التقسيم ترفع دعاوى إلى القضاء وينتظر طويلاً للفصل في قضية الإرث باعتبار صعوبة تطبيق الأمر على الواقع ، وكانت التصرفات المهمشة مثل السرقات والقتال بالأكف والخصومات قد شكلت مشكلة للسلطات ولأهالي المدينة ، وقد حصلت ستة حالات قتل في العقد السابع ، أما السرقات فكانت نادراً ما تقع والأشياء المسروقة هي الحيوانات أو الأشياء ذات القيمة العالية ، وبتعاون الجيران يتم الإمساك بالسارق في أقرب وقت ويعرف من هو وحتى لو باع الشيئ المسروق يعاد إلى صاحبه .

عملت السلطة المحلية على دفع عجلة التمدن في المدينة بوضع الأحجار على الطرقات ووضع القناديل العامة وتنظيم عملية البناء للوحدات السكنية ، ولكن أهالي المدينة بغفلتهم ساهموا في توسخ شوارع المدينة ولم يلتزموا بقواعد التحرك وتحديد وقت إغلاق المتاجر إلخ .. ، كما كانت هناك الكلاب في الشوارع وليس لها أصحاب يملكونها وتسبب الخوف عند المارة خاصة في المساء .

تابع أهالي المدينة شراء الأشياء على الدين كما حصل في العقود السابقة ، لذلك كان الدين أكبر مشكلة يواجهها أهل كل بيت ، والدين من خصائص زمانهم ويخضع له كل فرد مهما كان فقيراً أو غنياً سواء كان يدين لأحد أو يدين له أحد ، وكانت طريقة الحياة كذلك ، وإذا كان الدين على الغني فليس الأمر صعباً ولكن عندما يكون المدين فقيراً قد يؤدي في حالة وفاته وتسديد الدين إلى خسارة أسرته لأهم مقومات الحياة وهو البيت ، كما كانت هناك دفاتر خاصة للديون ويعرف منها هل الدين هو مبلغ مالي أو بضائع ، كما وجدت في المدينة محكمة تجارية لم تعمل كثيراً لأن الطريقة التقليدية في التجارة كانت سائدة وهي معتمدة على المداينة ، وإذا أنكر المدين الدين فلا يمكن التصرف تجاهه ، وإذا اعترف بالدين وليس له مال يسدده أو ممتلكات يمكن بيعها أيضاً لم يستطع الدائن أن يفعل شيئ.

وكانت الشكاوى حول الديون بين أهالي سراييفو نادرة جداً ومعظم الشكاوى بين الرعايا الأجانب والسكان المحليين ، وبعكس ذلك أيضاً فقد حصلت بيوع للممتلكات وقتها بالمزايدة لتسديد الديون مما أدى إلى هلاك صغار التجار والحرفيين ويعلن عن البيع عن طريق المعلن الرسمي (الدلال).

أما الباب الأخير فكان مخصص للكوارث الطبيعية التي شكلت مشكلة كبيرة لأهالي سراييفو ، وكانت الحرائق أكثرها وقوعاً ثم الفيضانات ثم الزلازل ،حيث اندلعت الحرائق لأسباب عديدة والسبب الرئيسي كون البيوت قد بنيت من الخشب وتوقد النار في جميع البيوت صيفاً للطبخ وفي الشتاء للطبخ والتدفئة ، وتكفي شرارة واحدة أن تخرج من الفرن فتحترق الدار كلها ، كانت أسقف البيوت متلاصقة فتحترق الحارة كلها ، وأثناء العقد الذي درسناه احترق ٦٠ متجراً و ١٥ مستودعاً و ١٠ بيوت والزاوية وقتل بسبب الحرائق شخص واحد ، وكان في المدينة وقتها وحدة متطوعة للإطفائيين تبدأ بالعمل بعد أن يطلق المدفع النار والوقت يتأخر فلا يمكن الإطفاء بشكل جيد .

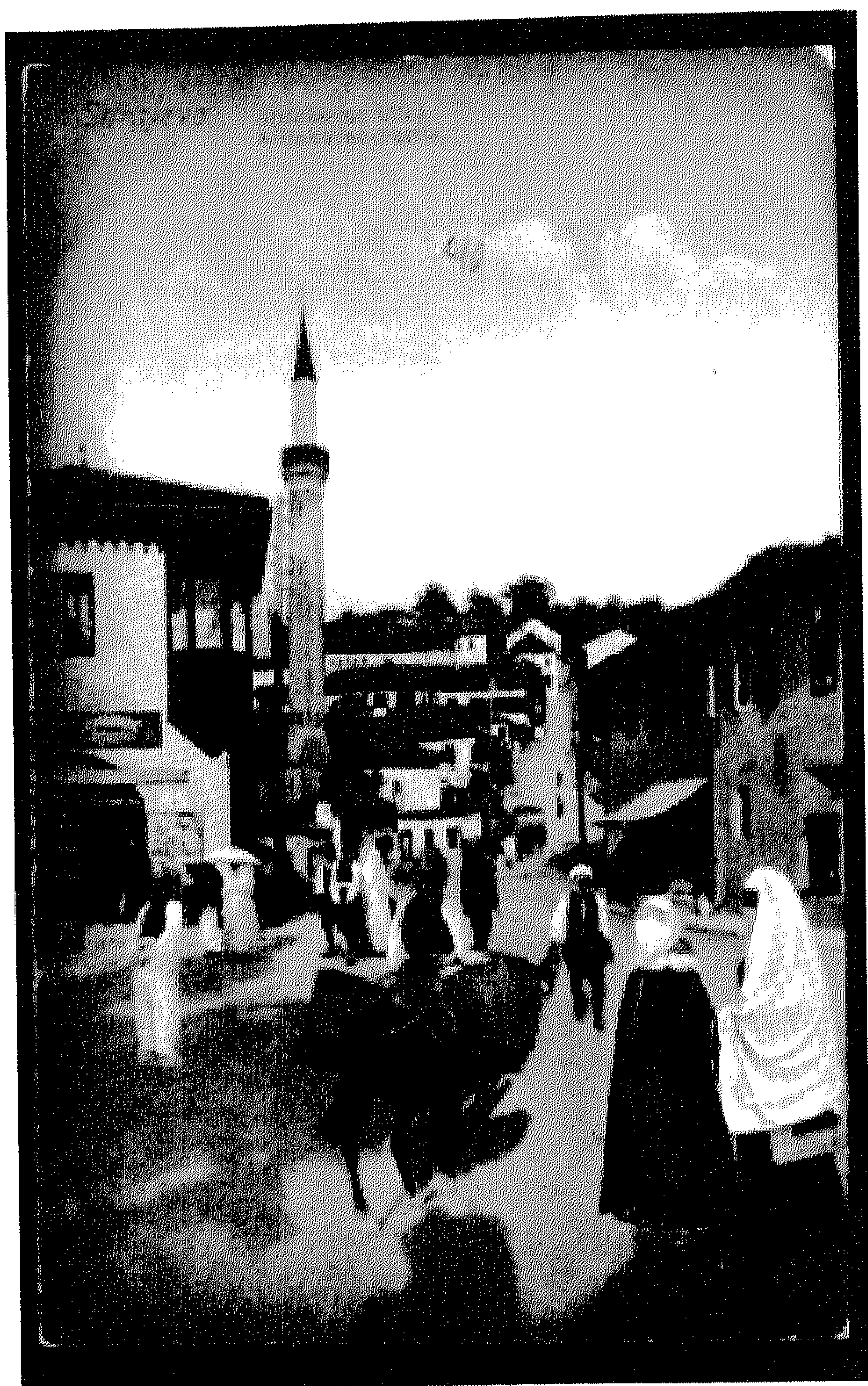
أما الفياضانات فكانت تقع أندر من الحرائق ، وبتحليل المعلومات في تلك الفترة تبين لنا وقوع فيضان واحد في أكتوبر سنة ١٨٦٩م حين هدم نهر بيسريتشكي وفاض من مجراه في الشوارع المؤدية إلى جسر الملك ، أما الزلازل فكانت كذلك نادرة وباعتبارها لم تسبب خسائر مادية وبشرية يمكننا أن نستنتج أن قوتها كانت ضعيفة .

وذكرنا أن الحداثة وتطوراتها كان لها تأثير على حياة الناس، ورغم ذلك كان التأثير الأكبر للرعايا الأجانب الذين وفدوا على المدينة واستوطنوا فيها ، وقد أثروا في الحياة عن طريق مجالين : المجال الأول هو عن طريق البعثات الدبلوماسية فأثر الموظفون فيها لا سيما في الدول العظمى بتصرفاتهم ولباسهم على رجال الدولة العثمانية والأغنياء من التجار وخاصة من النصارى ، هؤلاء التجار حملوا رسالة التغيير في كافة نواحي الحياة ، أما المجال الثاني فقد شمل الموظفون والعمال الأجانب الذين أثاروا بتصرفاتهم مشاكل لا سيما في الشوارع ولبقية الناس وقلدهم الفقراء المحليين في أعمالهم .

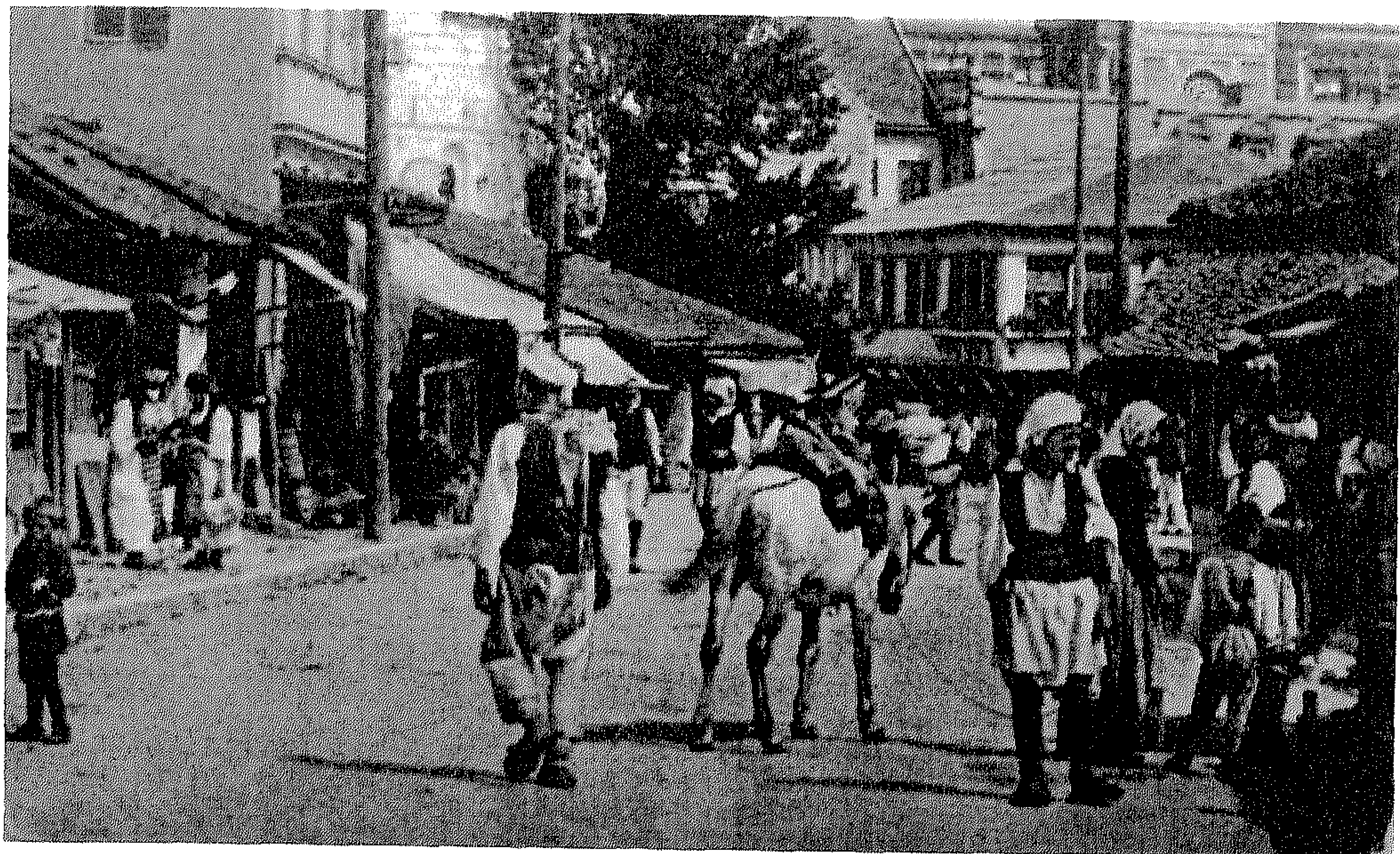
لم تكن الروح الأوروبية سائدة في أغلب نواحي الحياة في ولاية البوسنة في العقد السابع من القرن التاسع عشر غير أنها بدت واضحة .

وإذا نظرنا إلى الحياة عموماً فإنه يمكن تقسيمها على الطريقة التركية في العيش وعلى الطريقة الجديدة الإفرنجية التي جاء بها الرعايا الأجانب ، هذه الطرق تتقاطع وتشكل صورة الحياة اليومية لأهالي المدينة ، إلا أن تأثير الطريقة الإفرنجية قوي مع الوقت مما أنذر بقدوم تغييرات سياسية ، ووفقاً لهذا جاء تغيير السلطة في البلاد خلال فترة وجيزة .

وهكذا فقد ظهر تأثير احتلال النمسا والمجر للبوسنة مبكراً باعتبارهما القوتان الغربيتان وحملة الثقافة والتقاليد الغربية ولوحظ أكثر فأكثر في الحياة اليومية لأهالي سراييفو ليمهد لنفسه أرضية مناسبة للاحتلال في العقد التالي .



١١,١ باشتشارشيا سوق وسط المدينة



١١,٢ باشتشارشيا سوق وسط المدينة



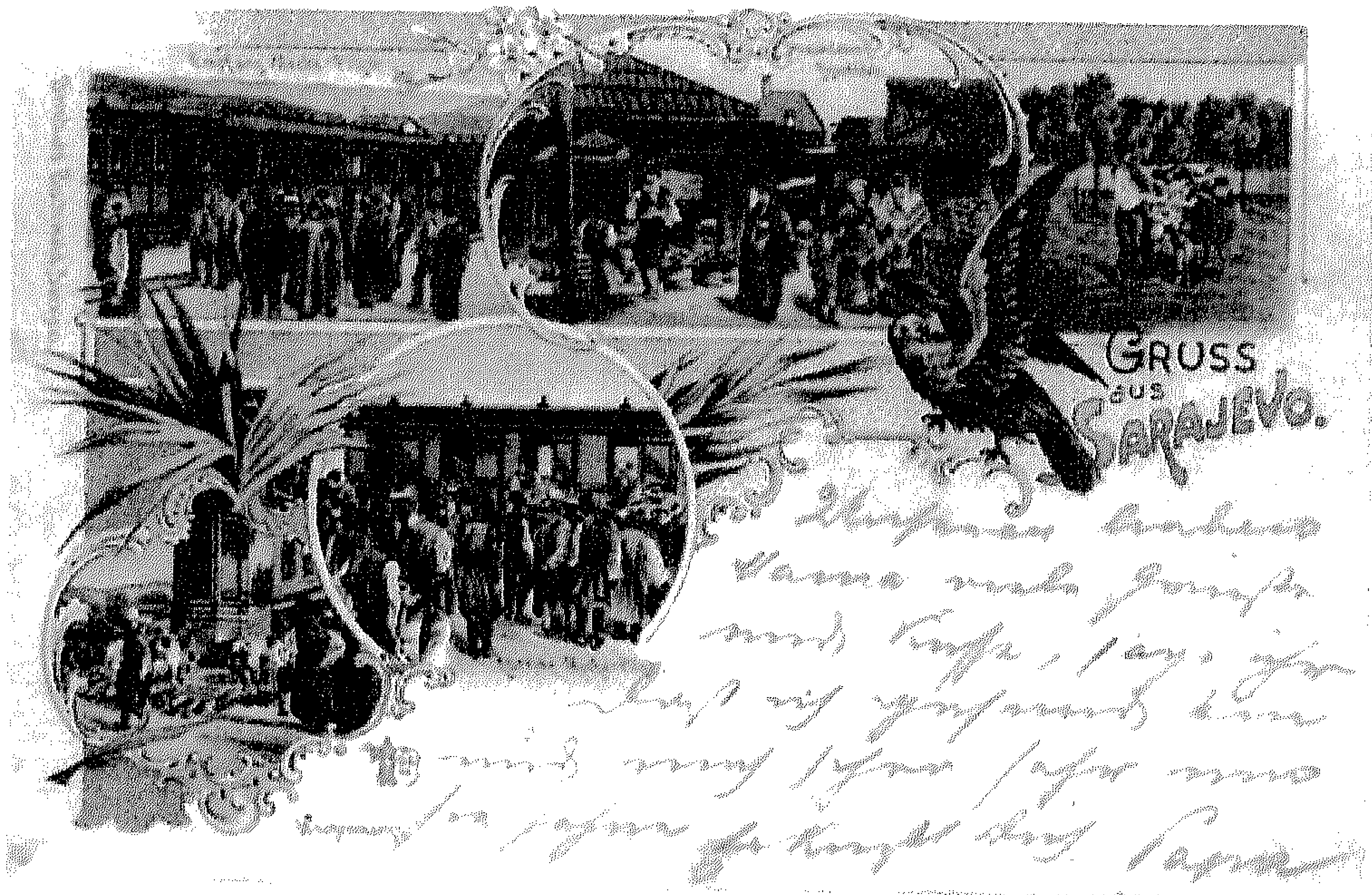
١١,٣ باشتشارشيا سوق وسط المدينة



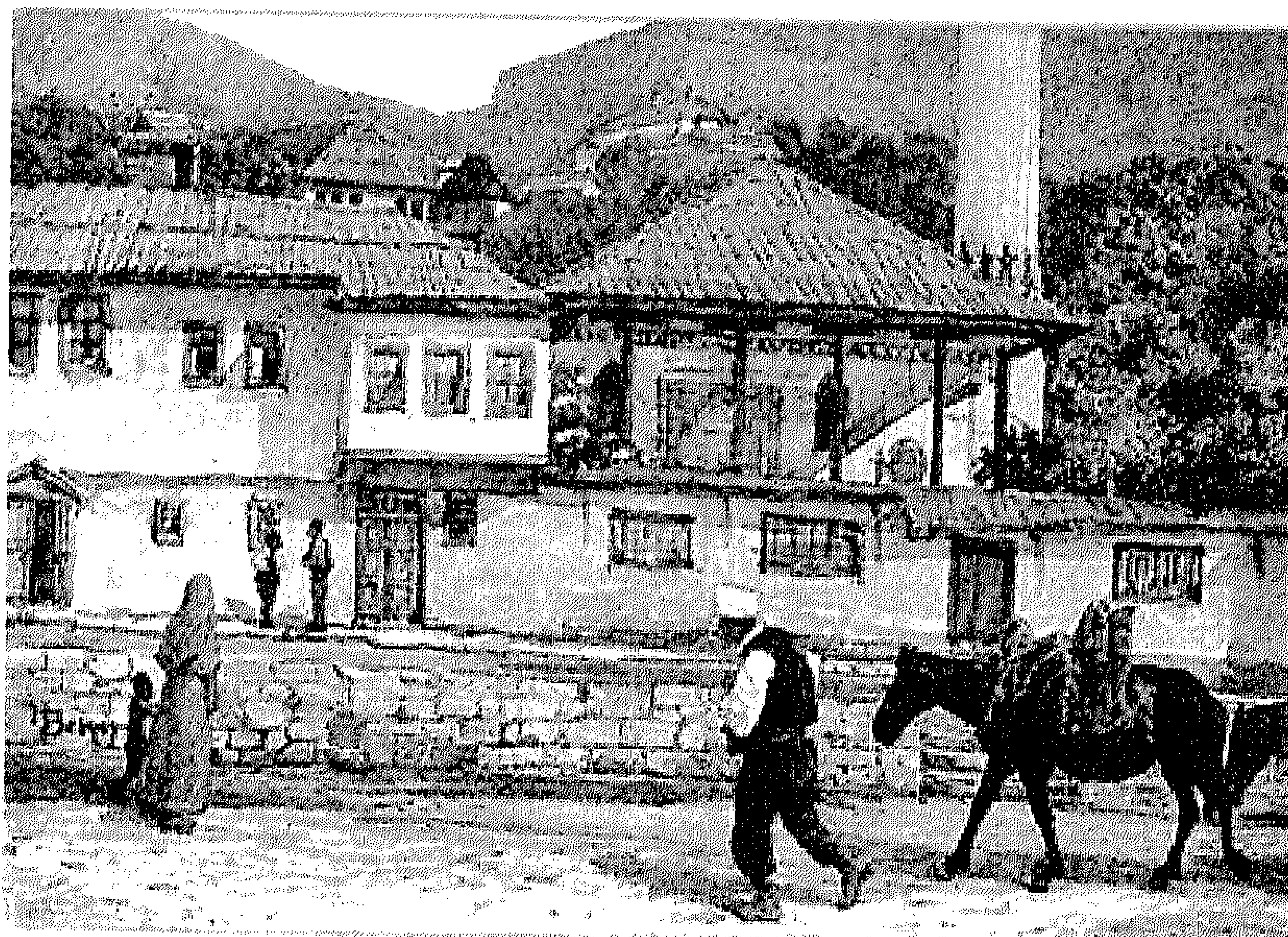
١١,٤ باشتشارشيا سوق وسط المدينة



١١,٥ بائعي القش المجفف



١١,٦ صورة معايدة من سراييفو ويظهر من خلالها توديع المسافرين لتأدية الحج



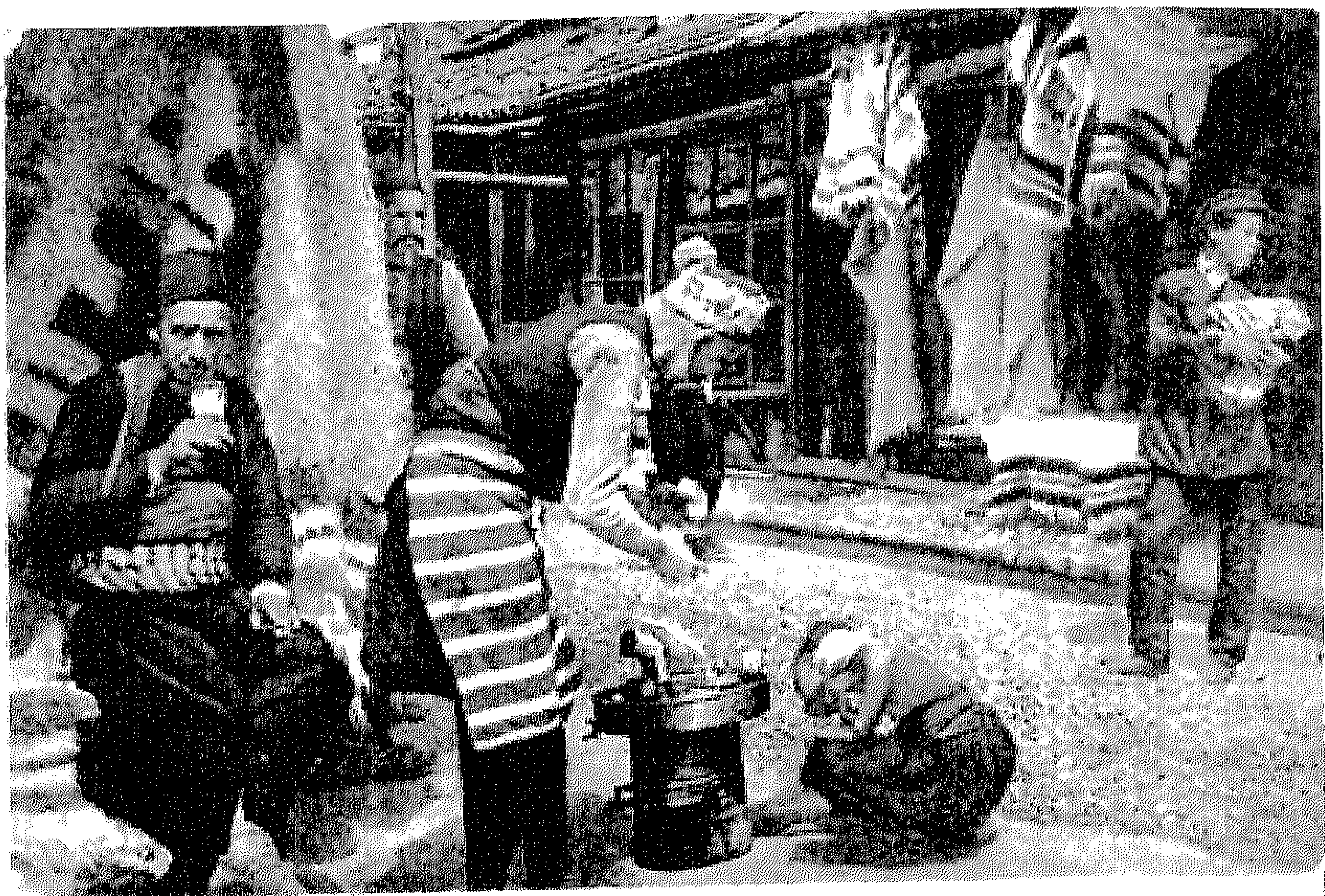
١١,٧ شارع



١١,٨ الدلال



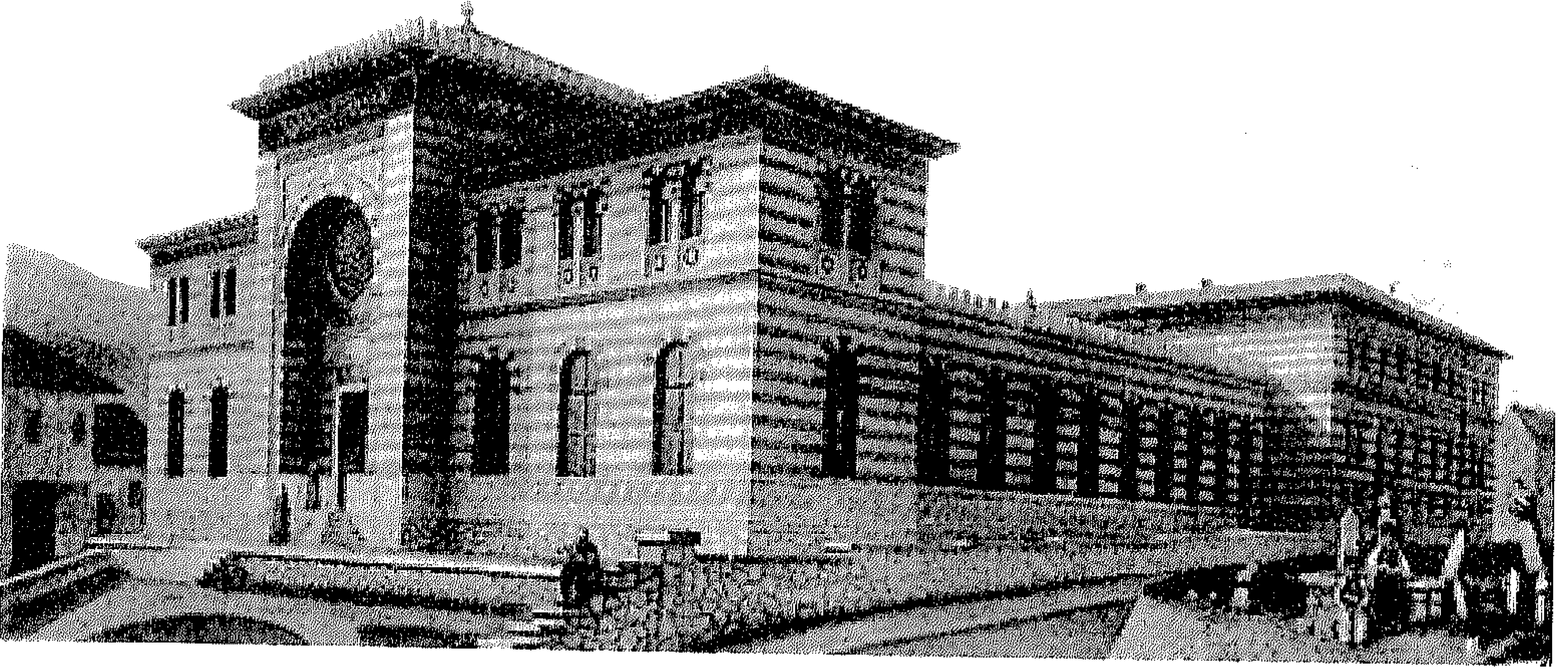
١١,٩ صبية مع إبريق الماء



١١,١٠ بائع السحلب



١١١١. شارع



١١,١٢ مدرسة القضاء ـ كلية الدراسات الإسلامية الحالية



١١,١٣ التمشي في الشارع



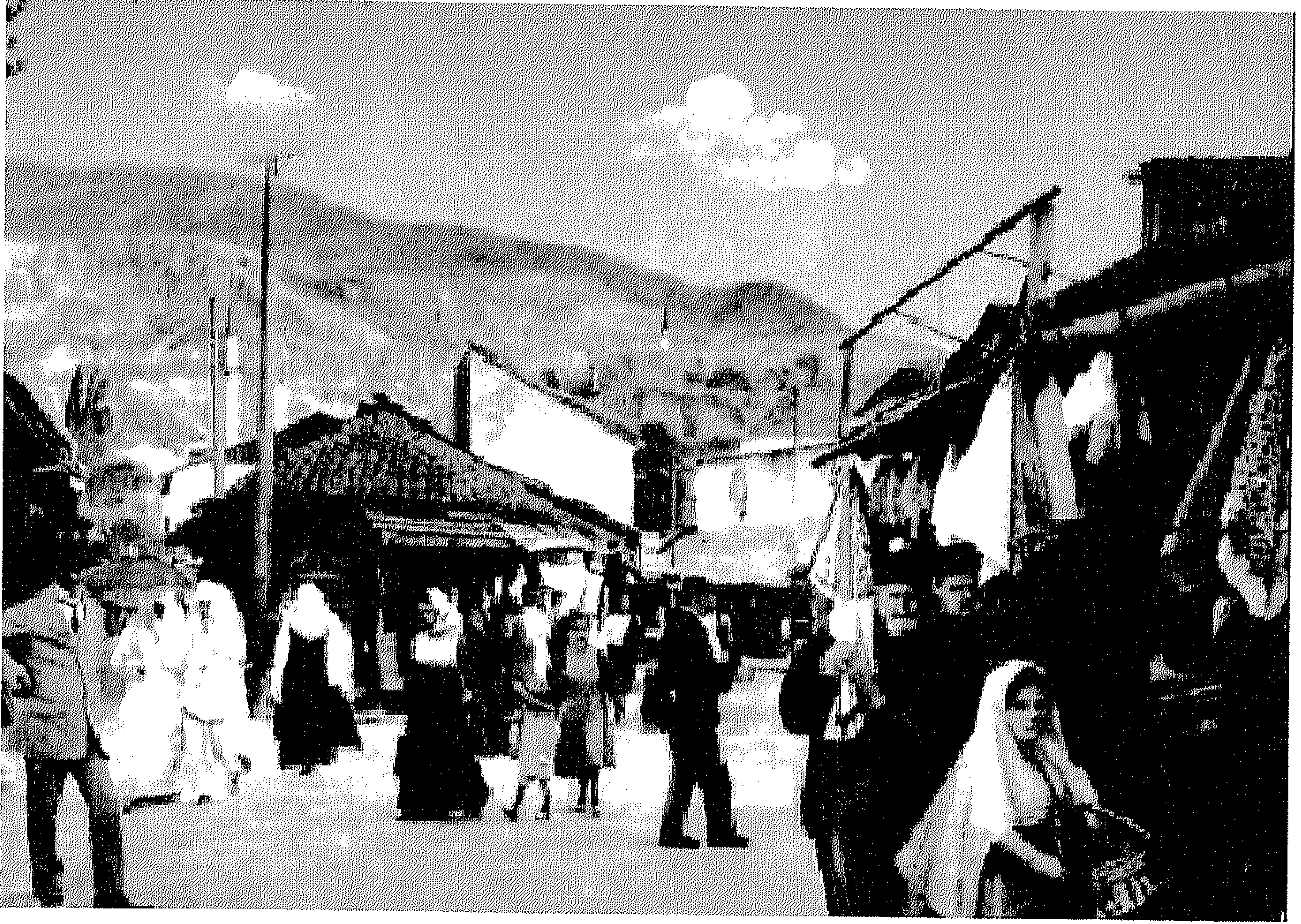
١١,١٤ باش تشارشيا سوق وسط المدينة وتظهر الملابس الشرقية والغربية



١١,١٥ باش تشارشيا سوق وسط المدينة



١١،١٦ باش تشارشيا سوق وسط المدينة والدكاكين



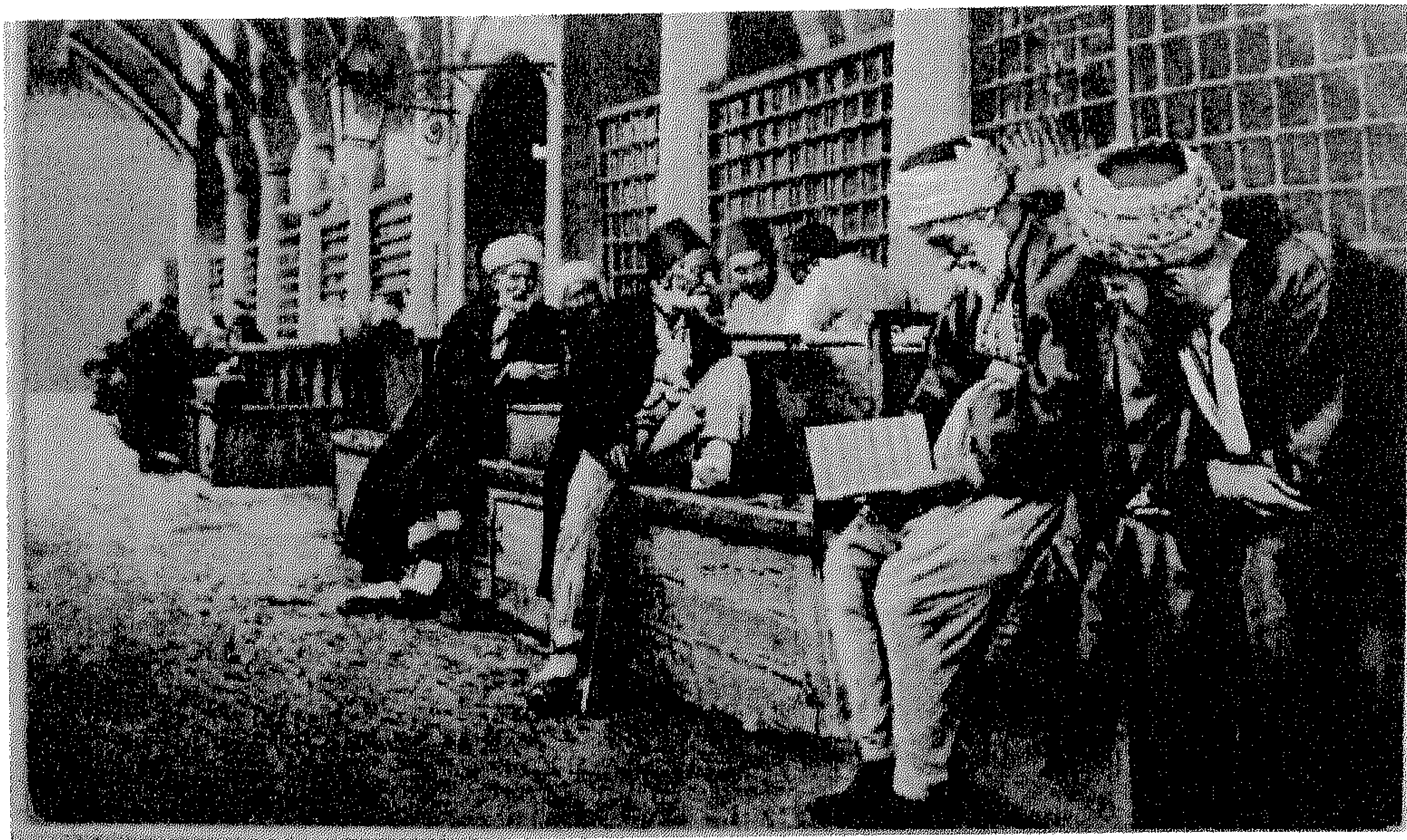
١١,١٧ باش تشارشيا سوق وسط المدينة والدكاكين



١١,١٨ حارة من حارات سراييفو



١١,١٩ رجل يتوضأ بالإبريق



١١,٢٠ قراءة القرآن على باب جامع غازي خسرو بيك



١١,٢١ التسوق في وسط المدينة ويظهر بائعي الحطب



١١,٢٢ تسوق في وسط المدينة



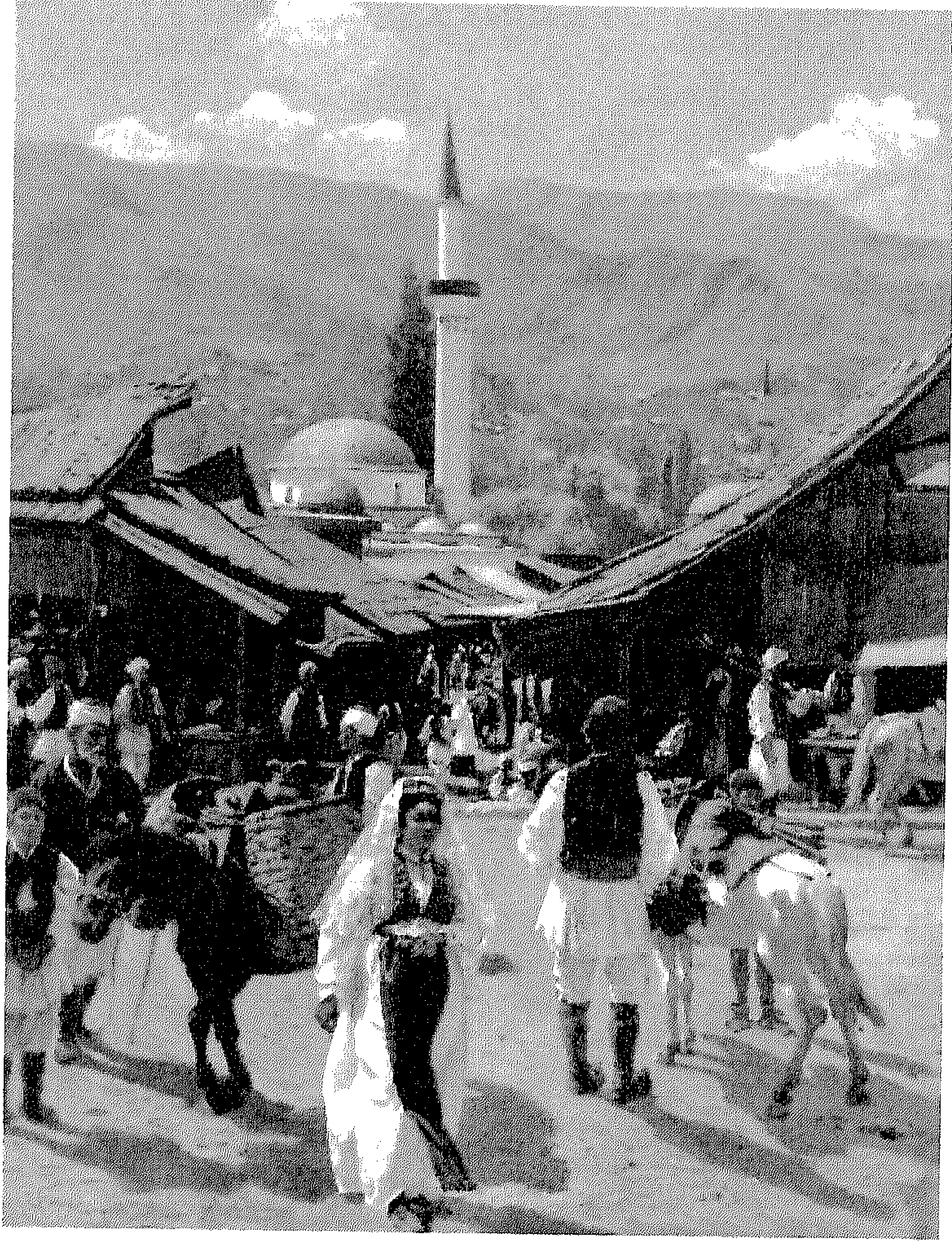
١١,٢٣ بائعي البرقوق بالجملة



١١,٢٤ ماء السبيل في وسط باش تشارشيا

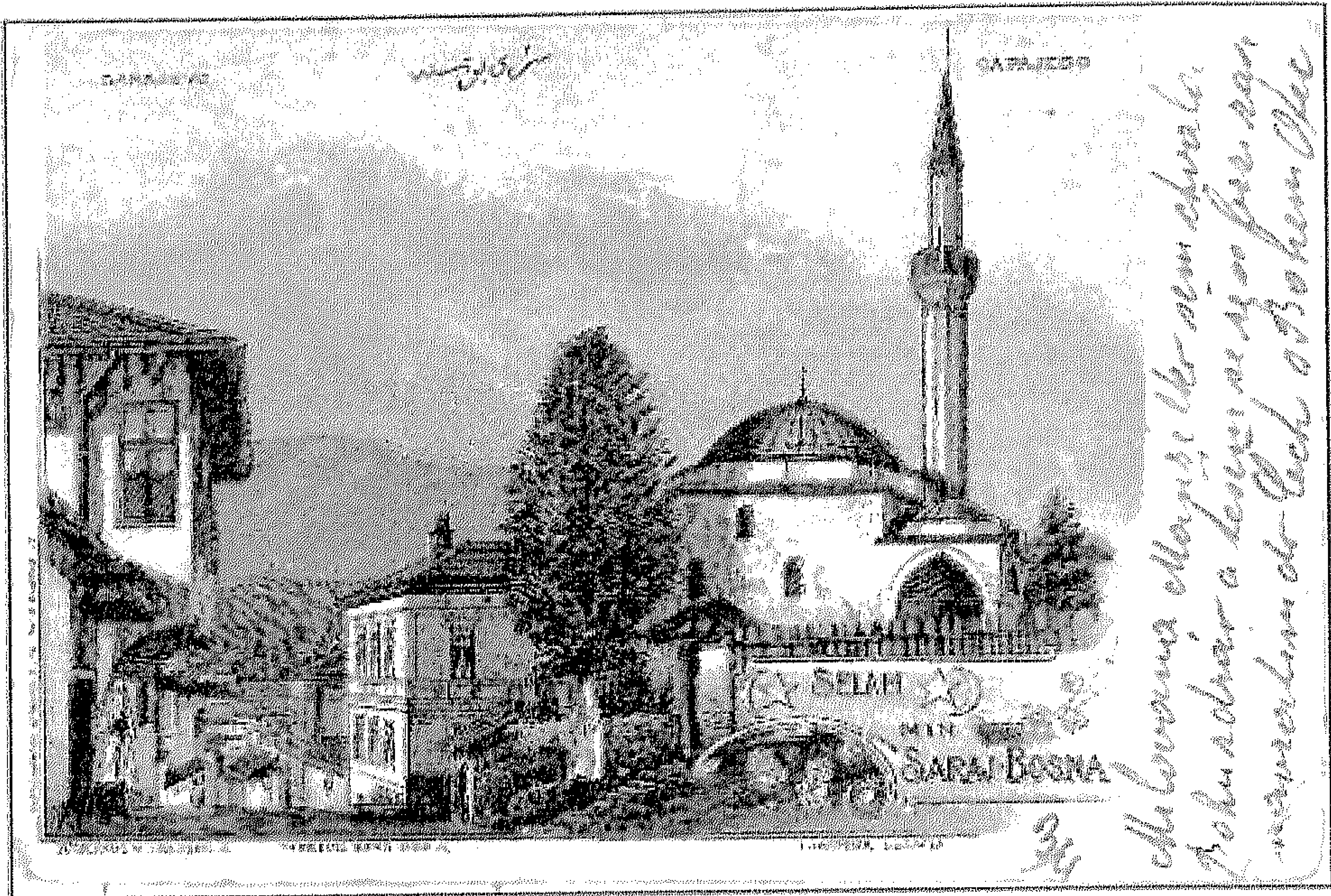


١١,٢٥ بائع الخروب



11.26 باش تشارشيا ـ نظرة على السوق والتسوق

(الصورة للمصور الألماني فرانز ليو روبين في القرن التاسع عشر الميلادي)



١١,٢٧ بطاقة معايدة من سراييفو ويظهر فيها كلمة سلام من سراييفو

فهرس المراجع والمصادر

المصادر غير مطبوعة

أرشيف البوسنة والهرسك

تسجيلات البعثة النمساوية المجرية (أ أُغ ك ر)

مجموعة حاج ريستيتش (ز هـ)

تيبيتش إبراهيم نسخة الوثائق ، من أرشيف فنشي بوليشك روسي في موسكو ١٨٦٠ ـ ١٨٧٠

معهد الإستشراق (أ إ س آ)

مجموعة أكاديمية البوسنه للعلوم والفنون (آ ن أُ ب إ هـ) سجل ملا محمد مستفيتسا
دفتر الشكاوى ١٨٢٦ - ١٨٧٨

أرشيف تاريخ سراييفو (إ آ س آ)

مجموعة الدفاتر

حمديا كريشيفيلياكوفيتش مجموعة الوثائق

مجموعات خاصة لعائلات دسبيتش، يفتانوفيتش، حاج ريستيتش، تاسوفاس يوفان، كريشيفيلياكوفيتش حمديا، زيلجيتش، كوماشين، أوجيشانين، فاضل باشيتش

مجموعة الوثائق التركية

مجموعة وثائق الأوقاف

مجموعة فاريا

مكتبة غازي خسروبك

مجموعة السجلات

يوميات كاديتش محمد أنوري رقم ٢٦ و ٢٧ السنة ١٨٥٩ - ١٨٧٣

المكتبة الوطنية والجامعية

وثائق غير مرتبة

مجموعة المخطوطات

متحف مدينة سراييفو

إحصاء سكان سراييفو ١٨٦٧ – ١٨٦٨ بعنوان سراي كاساباسينين نفوس مسودة

بلدية صربية سراييفو

سجل المنصرين ١٨٥٤ – ١٨٦١

سجل المتزوجين ١٨٧٢ - ١٨٩٢

المتحف القومي

مجموعة رسائل فرا غرغا مارتيتش

الجرائد والمجلات

البوسنه ١٨٦٦ – ١٨٧٠

بوسانسكي فييسنيك ١٨٦٦ – ١٨٦٧

سراييفسكي سفييتنيك ١٨٦٨ - ١٨٧٢

المصادر والمراجع المطبوعة

القرآن الكريم ترجمة معانيه بسيم كوركوت سراييفو ١٩٧٧

مجلة العقوبات السلطانية نسجة خاطيخمايونا، مطبعة الولاية ١٨٧٠

شوريتش خير الدين: الإسهام لتاريخ البوسنه والهرسك في القرن التاسع عشر دفاتر الفرانيفاتس البوسنويين، الاتحاد العلمي في البوسنه والهرسك، كتاب ٨، قسم العلوم اللغوية، كتاب ٤، سراييفو ١٩٦٠

قانون النكاح في الكنيسة الكاثوليكية، سراييفو، ١٩٣٠، الإعداد فرا فيتومير يليتشيش

حمديا كريشيفيلياكوفيتش ، ب بيتروفيتش ، تقارير المبعوث الإيطالي ، الاتحاد العلمي في البوسنه والهرسك، كتاب ٧، قسم العلوم التاريخية و اللغوية، كتاب ٣، سراييفو ١٩٥٨

مجلة الأحكام الشرعية سراييفو ١٩٠٦

ملا محمد مستفيتسا : قائمة الضمان المتبادل من سنة ١٨٤١ سراييفو ١٩٧٠ ترجمه درويش كوركون

فلاديسلاف سكاريتش : نمو أسرة تجارية في سراييفو في القرن التاسع عشر في مجموعة أكاديمية البوسنه للعلوم والفنون كتاب ٢٠، قسم العلوم الإجتماعية، كتاب ١٦ سراييفو سنة ١٩٧٦

آندريا زردوم: رسائل الرهبان الفرنسيين ١٨٥٠ ـ ١٨٧٠ بليهان سلوفوزناك ١٩٩٦

العيش في بلغراد ١٨٤٢ ـ ١٨٥٠ الوثائق الأرشيف التاريخي لمدينة بلغراد ، بلغراد ٢٠٠٤

العيش في بلغراد ١٨٦٧ ـ ١٨٥١ الوثائق الأرشيف التاريخي لمدينة بلغراد ، بلغراد ٢٠٠٥

كتب الرحالة، اليوميات والذكريات

آسبوت يوسهان: BosnienunddieHerzegowine فيينا ١٨٨٨

بالتيتش ياكو: أحداث السنة وتغيير الوقت في البوسنة ١٧٥٤ - ١٨٨٢ سراييفو رغرب ٢٠٠٣

ملا مصطفى باشيسكي: دفتر الصيف ١٧٤٦ - ١٨٠٤ سراييفو ١٩٦٨

بلاؤ د. باؤل: Leben und Wirken eines Auslanddeutschen im vorigen Juhrunder لايبسينغ ١٩٢٨

ذكريات شيفكو سرنوغرشيفيتش مجموعة أكاديمية البوسنه للعلوم والفنون (آ ن أُ ب إ هـ) إعداد ميلنكو س. فيليبوفيتش كتاب ١٤، قسم العلوم اللغوية، كتاب ١٠، سراييفو ١٩٦٦

جورجفيتش مارتن: ذريات من البلقان ١٨٥٨ - ١٨٧٨ سراييفو ١٩٩٧

غيلفردينغ أ. ف.: الرحلة في هرسغوفينا، البوسنه وصربيا القديمة سراييفو ١٩٧٢

صالح صدقي حاج حسينوفيتش: تاريخ البوسنه ٢، سراييبفو ١٩٩٩

حاج سليموفيتش عمر: على بوابة الشرق، سراييفو ١٩٩٩

يوكيتش إ. ف. بانيالوشانين: الأعمال الكاملة، سراييفو ١٩٧٣

مارينكوفيتش دييونزيا: انطباعاتي، إعداد فويسلاف بوغيتشفيتش في مجموعة أكاديمية البوسنه للعلوم والفنون (آ ن أُ ب إ هـ) كتاب ١٤، قسم العلوم التاريخية و اللغوية، كتاب ١٠، سراييفو ١٩٦٦

مارتيتش فرا غرغا: الأوراق المختارة ذكريات، سراييفو، ١٩٥٦

ماؤرر فرانز: Eine Reise durch Bosnien, die Savelander und Ungarn، برلين ١٨٧٠

ألكساي بوبوفيتش ، سير أعلام سراييفو، كتاب ١، سراييفو ١٩١٠

هنرك رنر: البوسنه والهرس طولا وعرشا، ميتروفيتسا، ١٩٠٠

يوهان روسكييفيتش:Studien uber Bosnien und die Hercegovinaلايبسنغ و فيينا ١٨٦٨.

روفينسكي ب. : الملاحظات من الرحلة في البوسنة ١٨٧٩، سانكت بيتريسبورغ ١٨٨٠

شاميتش مدحت: المسافرون الفرنسيون في البوسنه والهرسك في القرن التاسع عشر ١٨٣٦ - ١٨٧٨، سراييفو، ١٩٨١

فوتشكوفيتش غورو: مرآة العدالة أو الهروب إلى الحرية ١، بوفي ساد، ١٨٧٠

المصار والمراجع

آديموفيتشفاضل: الأمير المحرق للبيوت هجوم أوغي سافويسكي على سرايفو سنة ١٦٩٧م، سراييفو ١٩٩٧م

آليتشيتش أحمد: الحركات الاستقلالية ما بين ١٨٣١ ـ ١٨٣٢م ، سراييفو ١٩٩٦م

آليتشيتش أحمد: تنظيم ولاية البوسنة من ١٧٨٩ ـ ١٨٧٨م، سراييفو ١٩٨٣م

آرياس فيليب ، جورج ديبي : تاريخ الحياة الخاصة ١ ،بلغراد ٢٠٠٠

آرياس فيليب ، جورج ديبي : تاريخ الحياة الخاصة ٢ ،بلغراد ٢٠٠٠

آرياس فيليب ، جورج ديبي : تاريخ الحياة الخاصة ٣ ،بلغراد ٢٠٠٢

آرياس فيليب ، جورج ديبي : تاريخ الحياة الخاصة ٤ ،بلغراد ٢٠٠٣

آرياس فيليب ، جورج ديبي : تاريخ الحياة الخاصة ٥ ،بلغراد ٢٠٠٤

باليتش إسماعيل: ثقافة البوشناق العنصر الإسلامي زاغرب ١٩٩٤م

بيغوفيتش فهيم: سراييفو القديمة، الطبعة الثانية، سراييفو ٢٠٠٥

بيتيتش علي: فهرس المطبوعات عن سراييفو/ سراييفو ١٩٦٤

بلياكاشيتش ليليانا: الملابس التقليدية للمسلمين في سراييفو، زغرب ١٩٨٧

بلياكاشيتش ليليانا: ملابس أهالي المدن في البوسنه والهرسك في القرن التاسع عشر، فهرس المتحف القومي في سراييفو

بيلينسكي ليؤن: البوسنه والهرسك في ذكريات ليؤن بيلينسكي، سراييفو ٢٠٠٤

براأدل فردنارد: محيط البحر المتوسط أيام فيليب الثاني، زغرب ١٩٩٧

شوريتش خير الدين: النظام التعليمي للمسلمين حتى ١٩١٨، سراييفو ١٩٨٣

جورجيفيتش فلادان: ذكرات ١، نوفي ساد ١٩٢٧

فيليبوفيتش ميلفكو س.: غجر فيسوكو ، مكتبة أتنولوشكا رقم ١٧ زاغرب ١٩٣٢

هانغي آنتون: حياة المسلمين وعاداتهم، سراييفو ١٩٠٦

هلر أغس: اليوميات، بلغراد ١٩٧٨م.

تاريخ الدولة العثمانية والحضارة : إعداد أ . إحسان أغلو سراييفو ٢٠٠٤

هورمان كوستان: الأغنيات الشعبية للمسلمين في البوسنة والهرسك، سراييفو ١٩٣٣

كاسوموفيتش عصمت: المدارس والتعليم في ولاية البوسنه أيام الحكم العثماني، سراييفو ١٩٩٩

كلايتشيتش براتيليوب: معجم اللغات الأجنبية زاغرب ١٩٧٤م

كريشيفيلياكوفيتش حمديا: المختارات ١، سراييفو ١٩٩١

كريشيفيلياكوفيتش حمديا: المختارات ٢، سراييفو ١٩٩١

كريشيفيلياكوفيتش حمديا: المختارات ٣، سراييفو ١٩٩١

كريشفيلياكوفيتش حمديا: المختارات ٤، سراييفو ١٩٩١

كريشيفيلياكوفيتش حمديا: الحرف والمهن في سراييفو القديمة، سراييفو ١٩٥٨

كروشفاتش تودور. سراييفو تحت الحكم النمساوي المجري ١٨٧٨ -١٩١٨ ، سراييفو ١٩٦٠

فيكوسلاف كوشان : الأوضاع الصحية في سراييفو القديمة ، بلغراد ١٩٤٣

لوي مورتز: اليهود الصفرد (من الأندلس) في البوسنه، سراييفو ١٩١١، إعادة الطباعة ١٩٩٦

لفيس رافاألا: Everyday Life in Ottoman Turkey، لندن ١٩٧١

ميلان ليلياك: البريد والتلغراف والتلفون في البوسنة والهرسك سراييفو ١٨٧٥

ماشيتش عزت: النظام الصحي في البوسنه والهرسك أثناء الحكم العثماني، سراييفو ١٩٩٤

مييوتوفيتش فيسنا: البعثات الدبلوماسية من دوبروفنيك في اسطنبول ، الأكاديمية الكرواتية للعلوم والفنون معهد العلوم التاريخية في دوبروفنيك زاغرب سنة ٢٠٠٣

ملادينكوفيتش ليوبيتسا: سراييفو أثناء الإقطاعية التركية سراييفو ١٩٥٤

بالافسترى فلايكو: الروايات التاريخية من البوسنة والهرسك، سراييفو ٢٠٠٤

بيانوفيتش جورج: سكان البوسنه والهرسك، الأكاديمية الصربية للعلوم والفنون، قسم العلوم الإجتماعية، كتاب ١٢، بلغراد ١٩٥٥

بيليديا أنس: ولاية البوسنة من صلح كارلوفاتس إلى بوجاريفاتش ، سراييفو ١٩٨٩

بيليديا أنس: معركة بانيالوكا أسباب ونتائج ، سراييفو ٢٠٠٣م

بنتو أفرام: يهود سراييفو والبوسنه والهرسك، سراييفو، ١٩٨٧

بوبوفيتش ألكسا: آخر كبار قساوسة اليونان في البوسنة ، سراييفو ١٩٠٥

المساهمات في دراسة تاريخ سراييفو، الأوراق المقدمة في الندوة العلمية نصف الألفية لمدينة

سراييفو، سراييفو ١٩٩٣

تاريخ الحياة الخاصة في الأراضي الصربية في القرون الوسطى، بلغراد ٢٠٠٤

تاريخ الحياة الخاصة في الأراضي الصربية مطلع القرن الحديث، بلغراد ٢٠٠٥

برستويفيتش ميروسلاف: سراييفو المنسية، سراييفو ١٩٩٢

سجيل دائرة القضاء تشاني ١٧٤٠ – ١٧٥٢ ترجمة وتحقيق خديجة شار درندى، سراييفو ٢٠٠٥

سكاريتش فلاديسلاف: المختارات ١، سراييفو ١٩٨٥

سكاريتش فلاديسلاف: المختارات ٢، سراييفو ١٩٨٥

سكاريتش فلاديسلاف: المختارات ٣، سراييفو ١٩٨٥

سوكولوفيتش عثمان آ.: الإحصاء الجزئي للتجار المسلمين من البوسنه والهرسك، سراييفو، ١٩٤٣

شكاليتش عبد الله: الكلمات التركية في اللغة الصربية والكرواتية، سراييفو ١٩٦٦

شليفو غالب: عمر باشا لاتاس في البوسنة ١٨٥٠ ـ ١٨٥٢م سراييفو ١٩٧٧

شليفو غالب : البوسنة والهرسك ١٨٢٧ ـ ١٨٤٩م ، بانيالوكا ١٩٨٨

شليفو غالب: البوسنة والهرسك ١٨٦١ ـ ١٨٦٩م تشاني ٢٠٠٥

تيبيتش إبراهيم : التجارة في البوسنه والهرسك ١٨٥٦ ـ ١٨٧٥، رسالة ماجستر غير مطبوعة، بلغراد١٩٧٨

تيبيتش إبراهيم : البوسنة والهرسك في المصادر الروسية ١٨٥٦ ـ ١٨٧٨، سراييفو ١٩٨٨

وثائق الوقف من القرن الخامس والسادس عشر، سراييفو ١٩٨٥

زلاتار بهية: العهد الذهبي لسراييفو، سراييفو ١٩٩٦

المقالات

أحمد أليتشيتش : دور سراييفو في الحياة السياسية في البوسنة والهرسك على عهد الحكم العثماني في الأوراق المقدمة في الندوة العلمية (نصف الألفية لمدينة سراييفو) سراييفو ١٩٩٧

إنس آشريتش : بعض الملاحظات عن المشاكل في تاريخ زاوية عيسى بيك في مجلة اللغات الشرقية ٢٠٠٢/٣/٥٣ ـ ٥٢ سراييفو ٢٠٠٤م

علي بيتيتش : حارة علي باشا في سراييفو نصوص في دراسة تاريخ سراييفو ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، سراييفو ١٩٦٦

علي بيتشيتش : الراحة الشخصية والمنزلية في البوسنه والهرسك في القرن الثامن عشر، المجلة اليوغسلافية للتاريخ، بلغراد ١٩٧٤

يوفو حاج بيساروفيتش : من تاريخ سراييفو والبوسنة، فيلا بوسانسكا ١٨٨٦

ريستو بيساروفيتش : الحياة الموسيقية في سراييفو ١٨٧٨ ـ ١٩١٨م في مجلة دراسات تاريخ سراييفو سنة ٤ كتاب ٤ ، سراييفو ١٩٧٤

الملاحظة من حياة سراييفو النكاح، سرايفسكي ليستـ رقم ١١، ١٨٩٦

شافكيتش فيض الله، بوسيلجيه، سرايفسكي ليست، رقم ١٧٨، ١٩١٧

زوريتسا شرنيفسكي يانيتش ، حدائق سراييفو وباحاتها ، مقالة من مجلة دراسة تاريخ سراييفو : سراييفو ١٩٧٤م

شورشيتش فيسيل: بيت أعيان المسلمين في سراييفو، نارودنا ستارينا، كتاب ٦، مجلد ١٤، زغرب، ١٩٢٧

فكرت كارتشيتش موقف العلماء المسلمين البوسنيين تجاه الإصلاحات في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ،(أنال) مجموعة مقالات مكتبة غازي خسرو بيك رقم ١٧ ، ١٨ ، سراييفو ١٩٩٦م

حامد ديزدار قائمة الخانات والتكنات والشحاذين في سراييفو في مجلة الأرشيف والموظفين في الأرشيفات ، سنة ١ ، كتاب ١ سراييفو ١٩٦١

الدكتور فلادان جورجيفيتش الجولة خلال سراييفو قبل ٩٠ عاماً في البريد اليوغسلافي رقم ٢٩٤١ سنة ١٩٣٠

فيليبوفيتش ميلنكو: الغجر من فيسوكو، في مكتبة أتنولوجي، رقم ١٦، زغرب ١٩٣٢

غرابيان دوشان: البيت التركي، في مجلة دراسة تاريخ سراييفو سنة ٣، كتاب ٣، سراييفو ١٩٧٠

محمد حاجي ياهيتش : النساء الصالحات في سراييفو والبوسنة ، مجلة المكتبة غازي خسرو بيك ٧ ـ ٨ سراييفو ١٩٨٢م

محمد حاج ياماكوفيتش : حاج أحمد عاصم بيك متوليتش : مجلة المكتبة غازي خسرو بيك سراييفو ١٩٨٥

راشيد حيدارفيتش : تركة أحمد منيب أفندي غلوجو ناظر الوقف غازي خسروبيك ، منشورات المكتبة ٢ ـ ٣ سراييفو ١٩٧٨

خيرالدين شورشيتش: تفتر من ليكاريا فرا غرغا مارتيتش، شيفوت، سنة ٢٣، رقم ٩، سراييفو ١٩٧٤

آدم خنجيتش : أهمية معافيتناما لتطور المدن في البوسنة في القرن السادس عشر ، مجلة يوغسلافيا للتاريخ ١ ـ ٢ بلغراد ١٩٧٤م

محمد أنوري كاديتش : طوبال عثمان باشا ، فشونيا بوشتا رقم ٧٢٨ ـ ١٩٢٣/١٢/٧م

سلافكو كالوجريتش : من إحصائيات سراييفو منشور جمعية الأساتذة اليوغسلاف المجلد ١٩ آب ١٩٣٩ القسم ١١ـ١٢ بلغراد ١٩٣٩

ستيفو كالوجريتش : من تاريخ سراييفو ـ الحياة الاجتماعية : بروسفيتا ١٩٣١

محمد كانتارجيتش قلعة الساعة ودار المؤقت لغازي خسرو بيك وطريقة تحديد الزمان في مجلة رقم ٢ ـ ٣ سراييفو ١٩٧٨

كاشيكوفيتش : احتفالات المهنيين في البوسنة ، بوسانسكا فيلا سنة ١٧ ،١٩٠٢م رقم ٢١

ديسانكا كوبيتش كوفاتشيفيتش : عن الميدان في القرون الوسطى في مكان سراييفو في مجلة كلية الفلسفة كتاب ١١ بلغراد ١٩٧٠

كريشيفيلياكوفيتش حمديا، آفداغا شودورجيا ، نارودنا أزدانيتسا التقويم سنة ٦، سراييفو ١٩٣٨

كريشيفيلياكوفيتش حمديا: الأصناف والمهن في البوسنة ١٤٦٣ ـ ١٨٧٨ في مجلة الحياة الشعبية وعادات السلاف الجنوبيين كتاب ٣٠ /١٩٣٥ مجلد ١

كريشيفيلياكوفيتش حمديا: الحرائق والفيضانات والأمراض المعدية في سراييفو، نابرداك، ١٩٢٨

كولير آ. هـ: الأمسيات والجلسات والاحتفالات، نابرداك، ١٩٣٤

أندريا كولير : من المهد إلى اللحد عادات النصارى الكاثوليك في سراييفو ـ نابرداك ـ ١٩٣٠م

آمنة كوبوسوفيتش : وثيقة الوقف لعيسى بيك أسحاقوفيتش الورقة المقدمة في الندوة العلمية نصف الألفية لمدينة سراييفو، سراييفو ١٩٩٧

روسمير ماهموتشيهليتش ، المقال عن الموسيقى في سنة ١٨٦٧ الأصول من مكتبة الغازي خسرو بيك في ضوء بعض ملامح الثقافة الموسيقية الشعبية في البوسنة والهرسك ، مجلة المكتبة ٢ ـ ٣ سراييفو سنة ١٩٧٤

ماكانس ألفريد كيف ولماذا أحرق أوغن سافويسكي سنة ١٦٩٧م في جريدة يوغسلافيا رقم ٣٠٤ السنة ١٩ ، ١٩٣٨

كوستا مانديتش من سراييفو القديمة في أوسلوبوجينيا رقم ٢٠٠٢ ، ١٩٥٣/٣/٨م

ماتاسوفيتش يوسيب : الأمير أوغن سافويسكي في سراييفو سنة ١٦٩٧م في (نارودنا ستارينا) كتاب ٦ مجلد ١٤ زاغرب ١٩٢٧م

مينكا ميميا : معنى الحكمة وصورة الحكماء في أدب الحامييادو ، مجلة المكتبة ١٧ ـ ١٨ سراييفو ١٩٦٦

ميلوفانوفيتش ميهايلو : ميرازوشا ماري في صحيفة سراييفو سنة ٢١ رقم ٧٩ لعام ١٨٩٨

محمد موييتش مكانة الغجر في البلد اليوغسلافية تحت الحكم العثماني في مجلة اللغات الشرقية ٣ ـ ٤ ، ٥٣ ـ ١٩٥٢م

انظر محمد موييتش : مساهمة لدراسة الإدمان على الخمور في البوسنة والهرسك تحت الحكم العثماني، في مجلة اللغات الشرقية ٣ ـ ٤ ، ٥٣ ـ ١٩٥٢م

عمر موشيتش : أغنية تركية عن سراييفو من القرن ١٨ ـ مجلة علوم اللغات الشرقية ٣ـ٤ ١٩٥٢/١٩٥٣م

نامتاك علي: من هوامش تاريخنا الثقافي، مجلة مكتبة غازي خسروبك ١ ، ١٩٧٢

برتو فاطا زوكانوفا صور من سراييفو القديمة، سرايفكس ليست، سنة ٢٩، ١٩٠٦

سكاريتش فلادسلاف : تأسيس سراييفو ونموه الموقعي في القرن الخامس عشر والسادس عشر في مجلة المتحف القومي ١٥ سراييفو ١٩٢٩

فلاديسلاف سكاريتش: حارة سراييفو فرحات باشا ١٨٥٠ ـ ١٨٥٥ في فيلا بوسنة رقم ٢٣

سكاريتش فلادسلاف: أمير أوغن سافويسكي في سراييفو أكتوبر سنة ١٦٩٧م في وحدة الشعب تقويم درينسكا بانوفينا سراييفو ١٩٣١م

عاطف بوصفية والدكتورة عائشة سماعيلبيغوفيتش ـ حاجي خليلوفيتش عن المؤلف في العلاقة الحميمة من مكتبة غازي خسرو بيك ـ مجلة المكتبة ٢ ـ ٣

فهيم سباهو : من الحياة العامة والخاصة أيام الأتراك في كتاب البلقان، معهد البلقان، بلغراد، ١٩٣٦

فهيم سباهو : أول المقاهي في بلادنا : نوفي بيهار ١٩٣١/٥ رقم ٣

ماريان ستايكوفيتش : أيام الأفراح والأطراح غي مجلة الحياة الشعبية وتقاليد السلاف الجنوبيين ي آ ز أ الكتاب ٣٠ مجلد زاغرب ١٩٣٦م

الاستقبال الاتفالي عند طوبال عثمان باشا ١٩٦٩، أسلوبجنيا، رقم ٢٠٥٠، ١٩٥٣

حازم شعبانوفيتش تاسيس ونمو مدينة سراييفو في أعمال الجمعية العلمية للبوسنة والهرسك ١٣ قسم العلوم التاريخية واللغات الكتاب ٩ سراييفو ١٩٦٥م

شاميتش مدحت: سراييفو والعيش فيها بداية القرن التاسع عشر، مجلة دراسة تاريخ سراييفو، سنه١ ، سراييفو ١٩٦٣

تيبيتش إبراهيم: بناء الطرقات في البوسنة من منتصف القرن التاسع عشر إلى الاحتلال النمساوي المجري في مجلة معهد التاريخ سنة ١٧ رقم ١٨ سراييفو ١٩٨١

سعيد م. تراليتش : ذكريات سراييفو عن زمان عثمان باشا ، نوفي بيهار سنة ١١ رقم ١٣ ـ١٦

تراليتش م. سعيد: تأثير الأتراك على حياة المسلمين في البوسنة والهرسك، نارودنا أزدانيتسا، تقويم للسنة ١٩٣٨، سنة ٦، سراييفو ١٩٣٩.

توبينوفيتش يوفو: عادات اتحاد الحرفيين في سراييفو، بوسانسكا فييلا، رقم ١٧، ١٨٨٦

رودولف زابلاتا : المبعوثون الدبلوماسيون في البوسنة والهرسك على عهد الأتراك في تقويم غايريت سراييفو ١٩٣٧

بهية زلاتار : سراييفو باعتبارها مركز التجارة في ولاية البوسنة في القرن السادس عشر في مجلة العلوم الاستشراقية رقم ٣٨ سراييفو ١٩٨٩

اختصارات

Analiمجلة مكتبة غازي خسرو بيك

ANUBIHأكاديمية البوسنه للعلوم والفنون (آ ن أُ ب إ هـ)

GDI مجلة اتحاد المؤرخين

IISA معهد التاريخ سراييفو (إ إ س آ)

JIČ مجلة يوغسلافية للتاريخ (ي إ ش)

OISA معهد الاستشراق (أُ إِ س آ)

POF مجلة اللغات الشرقية)ب أُ ف)

قائمة الصور

٤,١ عشق فانيا على الباب

٤,٢ عشق فانيا وراء الشباك

٤,٣ العمر المناسب للزواج

٤,٤ لباس الفرح للعروسين

٤,٥ صندوق مزخرف مع إرث العروس

٤,٦ شورما ـ منديل العروس مثال للتطريز اليدوي من سراييفو

٤,٧ بوشالوك

٥,١ لباس الرجال مع ساورك (العمامة) حول الطربوش

٥,٢ ملابس الكاثوليك مع السراويل يشيرميا وباموكليا (قطنية)

٥,٣ اليهودية مع طاقية متميزة توكادو

٥,٤ الرداء من الحرير الشامي آلاجة ملابس الطبقة الوسطى للمسلمين

٥,٥ ليبادي مع الفستلن والقميص للعروس ـ ملابس الأرثوذوكس

٥,٦ رداء مزخرف بالخيوط الذهبية ـ ملابس المسلمين

٥,٧ بتشا تطريزها البديع لفرجة وبنسلاح (حزام)

٥,٨ تبلوك

٥,٩ ملابس نسائية للفتيات

٥,١٠ شبشب مزخرف

٥,١١ بافتا ـ قفل عمل الحرفيين من سراييفو

٥,١٢ أنواع الحجاب

٥,١٣ لباس الفتيات

٥,١٤ خزانة خشبية مزخرفة ـ صندوق الجواهر والأدوات الصغيرة

٩,١ المحكمة

٩,٢ النساء في الشوارع مع القناديل الاسطوانية

١٠,١ وادي بيستريتشكي

١١,١ باشتشارشيا سوق وسط المدينة

١١,٢ باشتشارشيا سوق وسط المدينة

١١,٣ باشتشارشيا سوق وسط المدينة

١١,٤ باشتشارشيا سوق وسط المدينة

١١,٥ بائعي القش المجفف

١١,٦ بطاقة معايدة من سراييفو ويظهر من خلالها توديع المسافرين لتأدية الحج

١١,٧ شارع

١١,٨ الدلال

١١,٩ صبية مع إبريق الماء

١١,١٠ بائع السحلب

١١,١١ شارع

١١,١٢ مدرسة القضاء ـ كلية الدراسات الإسلامية الحالية

١١,١٣ التمشي في الشارع

١١,١٤ باش تشارشيا سوق وسط المدينة وتظهر الملابس الشرقية والغربية

١١,١٥ باش تشارشيا سوق وسط المدينة

١١,١٦ باش تشارشيا سوق وسط المدينة والدكاكين

١١,١٧ باش تشارشيا سوق وسط المدينة والدكاكين

١١,١٨ حارة من حارات سراييفو

١١,١٩ رجل يتوضأ بالإبريق

١١,٢٠ قراءة القرآن على باب جامع غازي خسرو بيك

١١,٢١ التسوق في وسط المدينة ويظهر بائعي الحطب

١١,٢٢ تسوق في وسط المدينة

١١,٢٣ بائعي البرقوق بالجملة

١١,٢٤ ماء السبيل في وسط باش تشارشيا

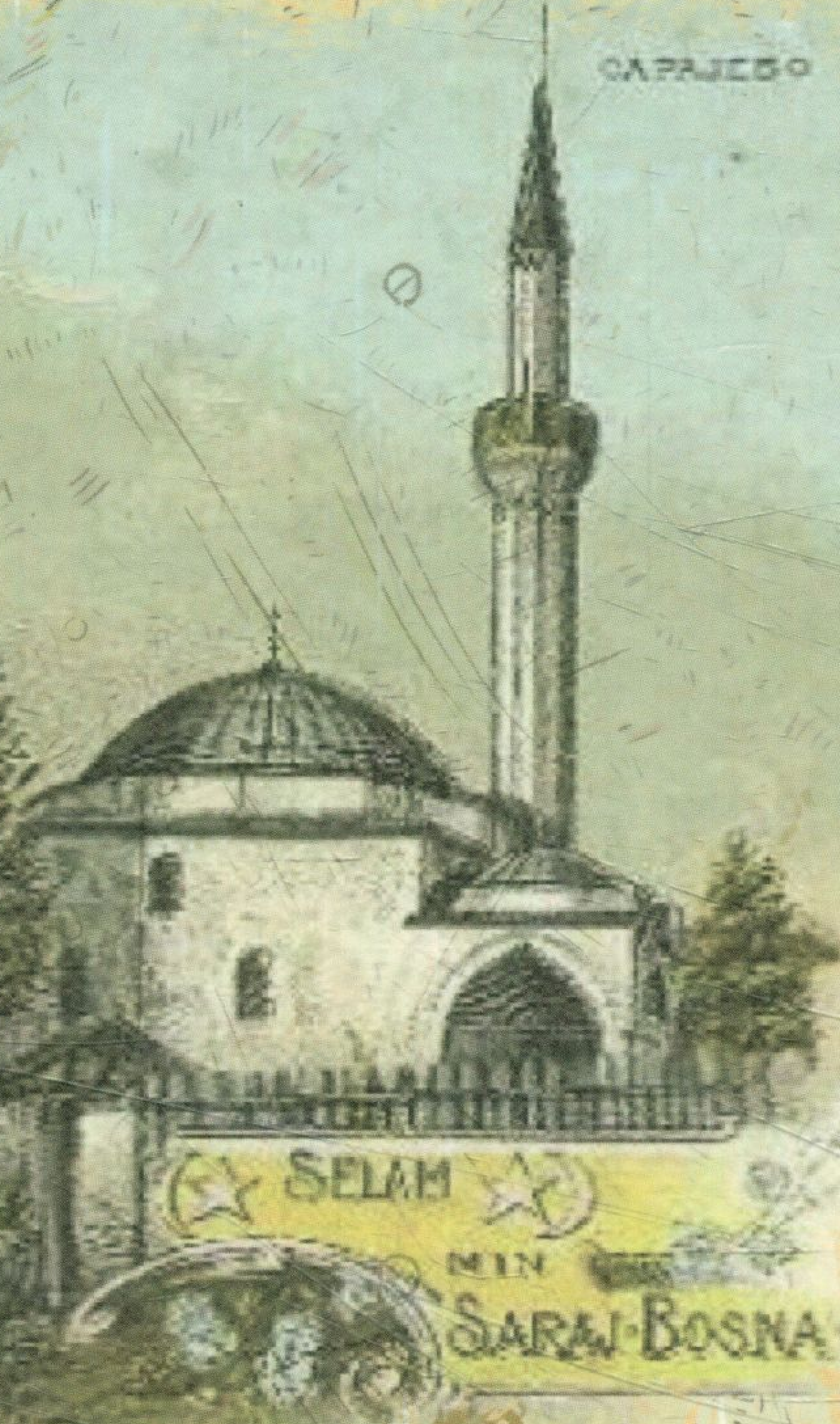
١١,٢٥ بائع الخروب

١١,٢٦ باش تشارشيا ـ نظرة على السوق والتسوق (الصورة للمصور الألماني فرانز ليو روبين في القرن التاسع عشر الميلادي)

١١,٢٧ بطاقة معايدة من سراييفو ويظهر فيها كلمة سلام من سراييفو

وأتقدم بالشكر للآنسة / ألما ليكا التي زودتني ببعض الصور من مجموعة الصور والبطاقات المتواجدة في المتحف التاريخي بسرايفو ، والشكر موصول لمتحف سراييفو خاصة الأستاذ / عدنان موفتاريفتش المشرف على مجموعات الصور والذي قام بإهداء الصور الوارد ذكرها .





SELAM
MIN
SARAJ-BOSNA
